

الجيش في مصر القديمة

د. عبد الرحمن زكى

كانت الجندية فى مصر القديمة، من أهم المهن التى تُسبغ الشرف على صاحبها، وتمنحه ميزة - إن لم تكن ميزات - على أقرانه، بل أكثر من ذلك فإن الجندى حظى بالتقدير والاحترام مثلما حظى الكاهن نفسه.. وإمعانًا فى السمو بروح الجندية، ظلت وقفًا على طبقات خاصة من الشعب، كما ظلت محتفظة بسمعتها وقيمتها، وإن كان هذا لم يمنع أن تكون خدمتها إجبارية فى الظروف الطارئة، وهى - كما لا يخفى - ظروف الحرب.

المؤرخ د. عبد الرحمن زكى يؤرخ لتلك المرحلة من تاريخ مصر فى هذا الكتاب المهم.

ISBN# 9789779100951

6 221149 035546

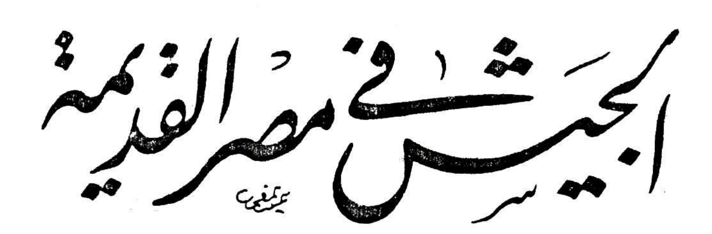
الهيئة المصرية العامة للكتاب

نها مصطفى

الجيش في مصر القديمة

زكى، عبد الرحمن.
الجيش فى مصر القديمة/ عبد الرحمن زكى. -
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤.
٣٠٠ص؛ ٢٤ سم
تدمك ١ ٠٠٩٥ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - مصر - القديمة - تاريخ.
٢ - التاريخ الحربى.
أ - العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٥٩٦٣/ ٢٠١٤
I. S. B. N 978 - 977- 91 - 0095 - 1
ديوى ٩٣٢

صدرت الطبعة السابقة
عن إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة



دكتور عبد الرحمن زكي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٥



سلسلة تصدر عن
الهيئة المصرية العامة للكتاب

بالتعاون مع الشئون الإجتماعية
للقوات المسلحة

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص.ب: ٢٣٥ الرقم البريدى: ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
e-mail:info@gebo.gov.eg

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لكل أمة من أمم العالم — عدا تاريخها السياسى والاقتصادى — تاريخ حربى يتألف من المعارك العسكرية المتتابعة التى حارب فيها الشعب ، ويتضمن هذا التاريخ أحوال جيوشها أو تطورها والوقائع التى خاضتها والقادة الذين أبلوا فيها ، وما الى ذلك من شئون تتصل بالحياة العسكرية ويلخص من ذلك دروس قومية يتلقاها الخلف عن السلف .

لقد أهملت دراسة التاريخ الحربى للبلاد العربية ، ولاتزال بعض حلقات للتاريخ الحربى المصرى مفقودة لم يتناولها باحث أو منقب . فالمعارك التى خاض أوارها المصريون ،منذ فجر حياتهم ظلت غامضة ، شأنها كطلاسم القدماء ، ومع أن الحوادث العسكرية لو تمحصت وجرت عليها البحوث بصورة فنية علمية ، لتبدد من حولها الغموض ، ولكانت عاملا ذا شأن فى صقل الروح الوطنية بين شبيبة البلاد . فلا ريب أن تواريخنا العسكرية إن لم تك قد فاقت أمثالها فى تاريخ الأمم الأخرى ، فلا تقل عنها خطورة .

نهض الجيش الوطنى منذ تكوينه بأروع الواجبات . وصلة هذا الجيش بتاريخ مصر — وثيقة منذ ستة آلاف عام . وهذه المدة على وجه التقريب هى أيضا تاريخ الجيش المصرى . فقد عاشت مصر أمة مستقلة ذات سيادة خلال معظم تلك السنين الطوال بفضل زعمائها من رجال الإدارة والجيش وبجهود شعبها الحى .

وقد ساعد الموقع الجغرافى مصر مساعدة عظمى — فكان من أشق الأمور واصعبها إغارة الجيران القدامى وكانت صحراء ليبيا أو سيناء أو النوبة ، إلى حد ما عائقا يقف عقبة امام المغيرين عليها — على حين أن سواحلها الشمالية لم تعرضها لأى خطر كبير .

فى ذلك العهد ، لم يكن لمصر اعداء لهم اساطيل قوية تهاجم شواطئها . اما الأقوام الذين يقطنون وراء حدودها الشرقية والجنوبية ، فانهم كانوا أقل منها مدنية وثقافة وقوة ، فكان خطرهم بتهديد سلامتها شيئا لا يحسب له حساب . ثم نهض المصريون للحفاظ على رقعة وطنهم ، وكانوا فى ذلك مدفوعين بغريزة الحرص على الحياة ، والدفاع عن النفس ، فانطلقت الجيوش المصرية إلى هضاب آسيا الصغرى ، وروابى سورية ، وبادية شبه الجزيرة ، والصحراء الليبية ، واعالى النيل .

ولم تكن المراحل التاريخية التى مرت بمصر مراحل كلها مراحل تقدم وظفر ونصر فحسب ، بل مرت بها ايضا فترات خمول كالتى مرت على جميع دول العالم التى سادت فى يوم من ايامها أو تسود اليوم ، فكما لا يغيب عن البال لاتوجد أمة خلقت قوية أو ظلت محتفظة بحيويتها طــوال حياتها ، فهى فى ذلك كالفرد يتعرض للعلل والأمراض ، أى عوامل الضعف والوهن . ومصر إحــدى هذه الأمم ، غزاها أقوام ، كان اولهم بدو سيناء ، فالهكسوس ، فدانت لهم الأرض المصرية ، ولــكن لم تعترف بسلطانهم على النفوس ، واعقب احتلالهم بعث ونهوض ، فأضاف المصريون تراثا جديدا ، وادركوا أين وكيف يحمون دولتهم .

فمن يجهل الجندى المصرى ، الذى نسج لوادى النيل تاريخا من اظهر تواريخ الأمم على الاطلاق ، وخلف تراثا سيظل معينا للفخار على الأيام ؟

حارب المصرى فى آسيا وإفريقية واوروبا . فوطئت قدماه ارضها ، وامتطى ظهر مياهها ، وامتزجت دماؤه بتربتها ، وخلد ذكرى قلما يدانيها جندى مثله ، فقد حمل الجندى أعلام النصر ، والأمم كلها تتيه فى بيداء الجهالة .

أقتاد هـؤلاء الرجال — رجال أمثال مينا وأحمس وتحوتمس ورمسيس وبسماتيك وصلاح الدين وابن طولون وبيبرس وقطز وقـلاون وعلى الكبير وابراهيم وغيرهم .. فكان كل منهم يضيف نصراً على نصر ، ومجداً إلى مجد ..

ولماذا نرتد إلى الماضى البعيـد ، لنستمد الصفحات الناصعة ، ونسترجع الذكريات الخالدات ؟ ألم يرفع هذا الجندى ، أعلام نصره على روابى كريت واليونان والأناضول ، وما جاورها من البلدان ؟ أنسينا أن بفضل هذا الجندى المخلص امتدت حدود بلادنا إلى منابع النيل التى أكتشفها رجالنا ، كما أستطالت إلى سواحل المحيط الهندى . أنسينا أن أباطرة وملوكا استنجدوا بالجيش المصرى فى معارك شتى ، بعد أن باءت قواتهم بالفشل .

ودعنا نحدثك بعض الشئ عن هذا الجندى — فعلى عاتق جنود أبناء النيل ، عاشت مصر مثلما تعيش أمة مستقلة ، ومن هـذا الوادى الأخضر تدفقت الجيوش المصرية رافعة علمنا الخالد .. لا تستحثها رغبة التوسع على حساب الآخرين ، ولاتلهبها سياط السوء للاعتداء على المجاورين .. لا . فان المصريين — فى شتى حروبهم — كانوا أبدا دائبين للوصول إلى حدودهم الطبيعية ليأمنوا غزوات المعتدين أو نقض المتعاقدين أو من أجل الدفاع عن حليف ..

كانت الجندية ، فى مصر القديمة ، فى طليعة المهن التى تسبغ الشرف على صاحبها ، وتمنحه ميزة — إن لم تك ميزات — على أقرانه . بل أكثر من ذلك أن الجندى حظى بالتقدير والاحترام مثلما حظى الكاهن نفسه ..

وامعانا فى السمو بروح الجندية ، ظلت وقفا على طبقات خاصة من الشعب ، كما ظلت مستأسرة بسمعتها وقيمتها ، وأن كان هذا لم يمنع أن تكون خدمتها إجبارية فى الظروف الطارئة ، وهى كما لايخفى — ظروف الحرب .

وغنى عن القول إن أعمال الجيش أنذاك كانت تحل محل الأعجاب والتقدير ، وتستهوى فى القلوب موضع الحب .

ومثل هذه الحقيقة تتبدى بجلاء حين نشاهد النقوش الأثرية مشتملة صورة الفتية ، وهم يتنقلون فى صفوف منتظمة ، او فى افنية التدريب ، يعدون او يتلقون دروس الرماية بالقوس ، او الطعن بالحراب . ولما عرفت مصر ميزات الأسلحة للدرعة والسريعة ادخلتها فى جيوشها ، ودربت جندها على استخدامها .

بل ان هذا الإجلال الذى بسطته الدولة على الجندية جعلت الشباب يطمح فيها ، ولاينفك يسعى اليها . فلم يك بدعا ان تموج للدن المصرية ، فى ايام الفراعنة ، بالشبيبة المتوقدة حماسة ونشاطا ، الزاخرة بالأقدام وحب الجندية .

وانا كلما نتأمل فى متباين تمارين القتال البادية على النقوش الأثرية كلما تمثل قبالتنا صورة وضاءة لأمة حربية ألفت الحرب لأنها آمنت بأن العيش السعيد لايتأتى إلا فى ظل النصر .

وليس هذا فحسب كل ما أحرزه الجنود المصريون من مزايا ، فقد منحهم الملوك اشتاتا من المزايا ، لم يشاركهم فيها احد من الطبقات الأخرى سوى رجال الدين . فقد جرى على منح الجندى الذى يذود عن حياض الدولة ويرفع علمها الظافرماينوف على عشرة أفدنة معفاة من الضرائب . يستغلها اهله إذا ولى وجهه شطر ميدان الجهاد فتقتات منها الزوجة والأبناء طيلة فترة غيابه ، فى سورية او النوبة او الصومال او ليبيا ... فاذا عاد من حومة الوغى خلع عدة القتال وأسلحته ، وركن إلى مزرعته . حتى إذا ماناداه الفرعون لكى يشمر عن ساعده التى الجندى فأسه جانبا وتقلد سلاحه وغادر ارضه إلى حيث يكافح ويناضل .

ولعل مايقال من ان الجنود المصرية كانت تمتلك ثلث الأراضى الزراعية ، على عهد حكم اسرة سنوسرت مايكفى للدلالة على صدق ماروبناه .

ومن الامتيازات التى كان يتمتع بها الجندى المصرى ايضا ، ان لايودع السجن إذا لم يدفع دينا فى عنقه ، ولايتولى القبض عليه رجال السلطة المدنية ، بل كانت جل شؤونه يهيمن عليها العسكريون . وكان كل جندى يحافظ على جميع ادوات القتال

الضرورية كما يحافظ عليها الجندى السويسرى اليوم . فقد كان على أهبة القتال لدى نداء الوطن ، او حينما يستدعى لتأدية الخدمة العسكرية ، فى إحدى الحاميات او قلاع الحدود . ولم يك ليقبض على الجندى لغير جنايتى السرقة والقتل بشرط أن يضبط متلبسا بارتكاب ايهما .

وفى مصر الفرعونية لم ينقد الجندى أجرا ما ، ولكن إذا انطلق للحرب كانت توزع عليه إدارة الجيش طعامه وشرابه . ولم تصل الينا مقادير الكميات التى كان يتناولها الجندى ، ونظن أنه كان يتساوى وجندى الحرس الملكى الذى كان يتلقى تعيينا يوميا مؤلفا من رطلين من لحم البقر وخمسة ارطال من الخبز وكمية من الشراب . ومثل هذه الكمية — بلا مراء — وفيرة للغاية ، يحسده عليها جندى اليوم ، وفى اى جيش .

وكان حظ الجندى المصرى من الغنائم يجرى بطريقة عادلة ، فبعد انتهاء المعركة يبدأ المسجلون (الكتبة) فى إحصاء أكوام الأيدى التى تقطع من اجساد القتلى من الأعداء ، وعندما يتم هذا تصنف الغنائم وتوزع على الجنود بما يناسب نصيب كل وحدة من قتلى الغرماء ، ومايتبقى من الغنائم من الأسلحة والنفائس فيجمعها الحراس ويعاد احصاؤها ، ومن ثم تنقل إلى مصر ليشهدها الشعب عن كثب .

ولا يغرب عن الفكر ، ان الجيش المصرى كان اول جيوش العالم فى استخدام الموسيقى ليسير الجند على انغامها ، فى خطى متزنة ، يمين شمال يمين شمال. وكان الجندى المصرى اول من استخدم وسائل التخفية (الكاموفلاج) لكى لا يظهر للعدو فى وضوح فكان يطلى غطاء رأسه وملابسه واسلحته وعربته وجواده ، بطلاء ملون فى غير انسجام وعلى نسق مايفعل اليوم الجند فى عرباتهم المسلحة ودباباتهم وعتادهم الحربى .

ومما يجمل ذكره ان كلمة « نفر » التى يعرف بها جندى اليوم كلمة فرعونية (Nefer) ، كانت تطلق على الجندى ومعناها الشاب الصالح — وكلمة امير التى تطلق على قائد الوحدة الكبيرة ترجع إلى كلمة امير . فمثلا يعادل رتبة لواء لفظة « اميرا ميشا » .

وفى بداءة الفتح العربى لم يشترك المصريون فى القوات الدفاعية ، وربما اتهج العرب تلك السياسة خوفهم من ان يحيى المصريون روح القومية المصرية على حسابهم وأن يقوموا بطردهم من بلادهم متى سنحت لهم الفرصة . ولكن بمرور الأيام اندمج المصريون ، وقد دخلوا فى دين الله افواجا ، فى الجيش الاسلامى ، وصاروا من اظهر عناصر الجهاد . وقد حرم الخليفة على الجند بمصر — وفى سائر الأقاليم المفتوحه الأشتغال بالزراعة أو امتلاك الأرض ، لئلا يركنوا إلى الكسل ويسيطر عليهم حب المال ومتاع النعيم . والحق ان العرب بهرتهم ثروة البلاد التى فتحوها ، وقد بدأ خطر هذه الروح للخليفة عمر بن الخطاب فأراد كبح جماح المجندين لأن واجب الجهاد كان يناديهم فى كل مكان ، فلم يرض بتقسيم الأرض بينهم ومنعهم من احتراف الزراعة ، حتى لايميلوا إلى الرخاء والتقاعد عن الحرب ، وحتى لايتوطنوا فى اقليم من الدولة الاسلامية ، فيصعب عليهم الانتقال إلى اقليم آخر إذا دعوا لحمايته أو فتحه أو الدفاع عنه .

وكتب الماوردى أن من واجبات أمير الجيش ألا يمكن أحدا من جيشه أن يتشاغل بتجارة أو زراعة يصرف الاهتمام بها عن مصابرة العدو صدق الجهاد، وهذا الأمر يراعى تنفيذه إلى اليوم . فان قانون الجيش يحرم على الضباط والجنود ممارسة أية مهنة أو عمل غير الجندية .

وجاء احمد بن طولون، الذى استقل بحكم مصر فأنشأ جيشا كبيرا مدربا وجعل لأفراده ملابس خاصة . وقد ذكر الكندى المؤرخ العربى المعروف ان الجيش الطولونى بلغ فى أمجد أيامه مائة الف مقاتل — ومن المحتمل أن يكون فى هذا الرقم بعض المبالغة ، لكننا نجد فى تاريخ الكندى أن عدد القوات المصرية التى اشتركت فى معركة الطواحين بلغ سبعين الفا بقيادة خمارويه .

وفى أيام دولتى المماليك البحرية والبرجية ، عنى السلاطين عناية فائقة بتدريب الشبان المماليك وتثقيفهم ثقافة عسكرية بحتة . فقد ارتأوا أن دولتهم لن تقوم إلا اذا وجدت لها سواعد مفتولة ، وقلوبا تملأها الشجاعة والحمية وعقولا امهرتها الدربة

والمرانة فى ضروب الفروسية والقتال . فكان لامناص لهم — والحالة هذه — من الاحتفاظ بقوات على أهبة الاستعداد — أسكنوا فتيانها فى ثكنات خاصة بقلعة الجبل أو قلعة الروضة ، وكان يطلق عليها الطباق .

وكان النظام الذى يطبق عليهم شديدا للغاية ، حتى لقد حرم عليهم النزول الى المدينة إلا فى القليل النادر وبصحبه قادتهم ، لكى لايمتزجوا بالغوغاء . وكان تدريبهم يمر فى مراحل ثلاثة ، لايتجاوز إحداها إلا اذا بلغ مستوى خاصا من التدريب ، والفروسية والثقافة العسكرية .

وقد اضطلع الفرسان المماليك بطائفة من الحروب ، فقضوا على حملات الصليبين فى مصر والشام ، ثم صدوا التتار فى عدة حملات أهمها فى معركتى « عين جالوت » « ومرج الصفر » وناهضوا هجمات الترك فى وقائع شتى .. إلى أن تساقطت دولتهم فى مرج دابق .

ولما ولى محمد على حكم مصر ، لم يك فى البلاد جيش مصرى . فقد تألفت قوات الدفاع من أخلاط متباينة منها : الشركسى ، والألبانى ، والكردى ، والمغربى ، والتركى فعمل جهده للتخلص من كل هذه الأجناس الشتيتة والغريبة عن وادى النيل وأنشأ الجندية الوطنية من أبناء البلاد الخلص .

وعرف محمد على أن الجيش هو الدعامة القوية التى يؤسس عليها الدولة المصرية فبذل همته وعزيمته فى إنشاء قوات برية وبحرية ، هيأ لها المصانع ، وأقام عليها المدارس ، وأعد الثكنات والمصالح المتنوعة .. فجعل من البلاد معسكرا يعج بالجنود والضباط والقادة ، وبعث بالمتقدمين منهم إلى البلدان الأوروبية ليستحوذوا على المعلومات المستحدثة ، ويمارسون ألوان الخبرة والتجربة .

وغنى عن التعريف أن جيش مصر ، فى أوائل القرن التاسع عشر قد بلغ عشرات الآلاف بين مشاة وفرسان ومدفعين ومهندسين وما إليه . وهذا الجيش قضى عشرات السنين وهو يحارب بقيادة ابراهيم ، فى ميادين اجتمعت لها القساوة

والمشقة فى نجاد وفلوات بلاد العرب ،وسهول وجبال الشام، و بطاح الأناضول وفيافى السودان ، وأراضى اليونان الوعرة ، وجزر البحر المتوسط وغيرها . . وما كان يختتم ظفرا إلا ليبدأ ظفرا جديدا حتى تسنى لمصر أن تنطلق حرة من كل حكم آل عثمان ، بيد أن الاستعمار كان واقفا لها بالمرصاد ، فاحتل البلاد . ولكن روحها ظلت سليمة ، فلم تحتضر وتذهب هباء ، وواصل أبناء الشعب الكفاح ، وظلوا يجاهدون ويعملون حتى خلعوا عن وطنهم الذل والهوان وظفروا بالحرية واستعادوا الاستقلال لوادى النيل .

عبد الرحمن زكى

القاهرة أبريل ١٩٦٧

تمهيد

لكى نوضح للقارئ تتبع المراحل التاريخية التى مر خلالها الجيش المصرى فى عصوره المجيدة ، رأينا أن نقدم للقارئ فى صفحات قلائل الترتيب التاريخى لتعاقب الدول المصرية القديمة والأسرات التى تتابعت على حكم البلاد ، وذلك منذ أن نهض مينا بتوحيد القطرين البحرى والقبلى ، وقيام الدولة المصرية الموحدة فى وادى النيل (١)

١ — ماقبل الأسرات

كان ثمة مملكتان قبل الأسرة الأولى ، وقد عرفت أسماء عدد قليل من ملوك الشمال ، وملوك الجنوب من لوحة بالرمو .

١ — اختلف المؤرخون فى تقدير تواريخ الأسرات والملوك . والتواريخ المذكورة هنا يمكن أعتبارها تقريبية إلى عام ٥٠٠ ق . م وأن مابعدها لا يكاد يصل إليها الشك .

الدولة القديمة

(ح ٣٢٠٠ — ٢٤٣٠ ق . م)

الأسرة الأولى(٣٢٠٠ — ٣٠٠٠ ق . م تقريبا) :

فاتحو الشمال من أهل الجنوب ، وموحدو مصر . تأسيس منف . العقرب أ ب — نعرمر (يحتمل مينا) — عحامن — ... الخ .

الأسرة الثانية (٣٠٠٠ — ٢٧٨٠ ق . م تقريبا) :

لعل أصلها من الشمال — حتب سخمرى — رع نب كا كاو — نتر ... الخ .

الأسرة الثالثة (٢٧٨٠ — ٢٦٥٠ ق . م تقريبا) :

منف تصبح العاصمة : خع سخمرى بثى (ببى) — زوسر ح ٢٧٠٠ ق . م فاتح شبه جزيرة سيناء .

الأسرة الرابعة : (٢٦٥٠—٢٥٠٠ق.م)

عهد الأهرام الكبرى ، تبلغ الذروة فى السلطان والغنى .
(ح ٢٦٥٠ ق م) ، ويقول بعض رجال الآثار ، إنها تبدأ فى ٢٧٢٠ ق م .

سنفرو
خوفو (كيوبس) (ح ٢٦٠٠ ق . م)
رع دف ؟
خفرع (كفرن) (ح ٢٥٦٠ ق . م)
منكاروع (ح ٢٥٢٥ ق . م)

الأسرة الخامسة : (ح ٢٥٠٠ — ٢٣٥٠ ق . م) :

يقول بعض رجال الآثار أنها تبدأ فى ٢٥٦٠ ق.م .

أوسركاف — ساحروع — نفـر اركادع — أوناس .

الأسرة السادسة : (حوالى ٢٣٥٠ — ٢٢٠٠ ق.م):

يقول بعض رجال الآثار أنها تبـدأ عام ٢٤٢٠ ق م .

تيتى (توتى)
أوسكا (؟)
ببى الأول (ح ٢٣٢٥ ق . م)
مرن رع الأول
ببى الثانى (٢٢٧٥ — ٢١٨٥ ق . م)
مرن رع الثانى ؟

الأسرة السابعة والثامنة والتاسـعة والعاشرة : (ح ٢١٨٠ — ٢٠٥٠ ق . م):

فترة الفوضى الأولى — غزو الأسيويين — أسرتان تحـكمان فى أهناسيا . أنقسمت البلاد خلالها . وعندما تعود السلطة المركزة (الدولة الوسطى) إلى الظهور بالأسرة الحادية عشرة تـكون طيبة فى الجنوب هى قاعدتها .

(الدولة الوسطى)[1]

(ح ٢٠٥٠ — ١٨٠٠ ق . م)

الأسرة الحادية عشرة : طيبة (٢١٣٤—١٩٩١ق.م):

يذكر بعض رجال الآثار أنها تبـدأ عام ٢٠٦٥ ق . م أهم ملوكها : أنتف الأول ، فالثانى — منتوحوتب الأول .

١ — يعتبر بعض المؤرخين الأسرة الحادية عشرة من أسرات الدولة القديمة .

منتوحتب الثانى (؟ — ٢٠٧٨ ق . م) .

منتوحتب الثالث (٢٠٧٨ — ٢٠٣٠ ق . م) .

منتوحتب الرابع (٢٠٣٠ — ٢٠٠٠ ق . م) .

الأسرة الثانية عشرة : (١٩٩١ — ١٧٧٨ ق.م) :

ويذكر بعض رجال الآثار أنها تبدأ عام ٢٠٠٠ ق . م .

أمنمحعت الأول (ح ١٩٩١—١٩٧١ق . م) .

سنوسرت (أو سيزوستريس) الأول

(١٩٧١ — ١٩٣٦ ق . م) .

أمنمحعت الثانى (١٩٣٩ — ١٨٩٤ ق . م)

سنوسرت الثانى (١٨٩٧ — ١٨٧٨ ق . م)

سنوسرت الثالث (١٨٧٨ — ١٨٤٠ ق . م)

أمنمحعت الثالث (١٨٤٠ — ١٧٩٢ ق . م)

أمنمحعت الرابع

سبك نفرو ـ رع (ملكة)

الأسرة الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة (ح ١٧٥٠ ق م)

فترة فوضى كاسحة وتفقد فيها طيبة سلطتها ، ويفد غزاة من الشرق . وأخيرا تحكم مصر كلها تقريبا أسرتان من الملوك الهكسوس (الرعاة) الأجانب . (١٧٨٨ — ١٥٨٠ ق . م)

الاسرة السابعة عشر : (١٦٦٠ — ١٥٧٠ ق . م)

استقل بالحكم فرع من ملوك طيبة فى أيام آخر ملوك الهكسوس ويبدأ النضال النهائى فى عهد سكنن رع الثالث .

سكنن رع الأول (١٦٣٥ — ١٦١٥ ق . م)

وفى تقدير آخر (١٦٠٠ — ١٥٨٥ ق . م)

سكنن رع الثانى	(١٦١٥ — ١٦٠٥ ق . م)
سكنن رع الثالث	(١٦٠٥ — ١٥٩١ ق . م)
وزخبر رع كاموزا	(١٥٩١ — ١٥٨١ ق . م)
سنخت أن رع	(١٥٨١ — ١٥٧٠ ق . م)

الدولة الحديثة

(١٥٧٠ — ٦٦٣ ق . م)

الاسرة الثامنة عشرة : (١٥٧٠ — ١٣٠٥ ق . م)

أحمس (احموزا ـ أمازيس) :	(١٥٧٠ — ١٥٤٥ ق . م)
أمنمحتب (أمنوفيس) الاول :	(١٥٤٥ — ١٥٤٥ ق . م)
تحوتمس الأول	(١٥٤٥ — ١٤٩٥ ق . م)
تحوتمس الثانى حتشبسوت (ملكة) تحوتمس الثالث	(ح ١٤٩٥ — ١٤٦٨ ق . م)
تحوتمس الثالث	(١٤٦٠ — ١٤٣٦ ق . م)
أمنمحتب الثانى	(— ١٤٢٠ ق . م)
تحوتمس الرابع	(١٤٠٦ — ١٣٩٨ ق . م)
أمنمحتب الثالث	(١٣٩٨ — ١٣٦١ ق . م)
اخناتون (أمنمحتب الرابع)	(١٤١١ — ١٣٧٥ ق . م)
سمنكارع	(١٣٥٨ — ق . م)
توت عنخ آمون	(١٣٥٨ — ١٣٥٣ ق . م)
آ ى	(١٣٥٣ — ١٣٥٠ ق . م)

الأسرة التاسعة عشرة : (ح ١٣٤٢—١٢٠٠ ق . م):

عهد جديد عقب ما أحدثه الملك اخناتون

حرمحب	(ح ١٣٤٢ — ١٣٠٣ ق . م)[1]
رمسيس الأول	(ح ١٣٠٣ — ١٣٠٢ ق . م)
سيتى الأول	(١٣٠٢ — ١٢٩٠ ق . م)
رمسيس الثانى	(١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق . م)
مرنبتاح (منفتاح)	(١٢٢٤ — ١٢١٤ ق . م)
أمن سيس ، سابتاخ	(الاثنان ١٢١٤ — ١٢٠٩)
سيتى الثانى	(١٢٠٩ — ١٢٠٠ ق . م)

الأسرة العشرون : (ح ١٢٠٠ — ١٠٩٠ ق . م):

ست نخت من أسرة رمسيس / ٢ يعيـد النظام بعد فترة وجيزة من الفوضى . حـكم فى خـلالها أرسو بضع سنوات . ضياع الأمبراطورية المصرية فى سورية .

ست نخت	(١١٩٧ — ١١٩٥ ق . م)
رمسيس الثالث	(١١٩٥ — ١١٦٣ ق . م)
رمسيس الرابع	(١١٦٤ — ١١٥٧ ق . م)
رمسيس الخامس	(١١٥٧ — ١١٥٣ ق . م)
رمسيس السادس	(١١٥٣ — ١١٤٩ ق . م)
رمسيس السابع	(١١٤٩ — ١١٤٢ ق . م)

١— يعتبر بعض المؤرخين ان الملك — القائد حورمحب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وأن الأسرة ١٩ تبدأ فى عام ١٣١٤ بالقائد رمسيس الأول .

رمسيس الثامن	(١١٤٢ — ١١٣٨ ق . م)
رمسيس التاسع	(١١٣٨ — ١١١٩ ق . م)
رمسيس العاشر	(١١١٩ — ١١١٦ ق . م)
رمسيس الحادى عشر	(ح ١١١٦ — ١٠٩٠ ق . م)
رمسيس الثانى عشر	(ح ١٠٩٠ ق . م)

الأسرة الحادية والعشرون : (ح . ١٠٩٠ — ٩٤٥/٩٥٠ ق.م) :

لمامات رمسيس ١١ استولى حرحور الكاهن الأعظم على السلطة وأسس أسرة الملوك الكهنة . وفى تلك الأثناء استقل بالملك أمير من أمراء تنيس يسمى ممندس (نسوبا بندد) ، واحتفظت طيبة باستقلال مهدد .

الأسرة الثانية والعشرون : (٩٤٥/ ٩٥٠ — ٧٤٥ ق . م) :

مؤسس هـذه الأسرة من نسل بعض الجنود المرتزقة الليبيين وقد اختيرت بوبسطة حاضرة للملك .

شيشنق الأول	(٩٤٥ — ٩٢٥ ق . م)
أوسركن الأول	(٩٢٥ — ٨٨٩ ق . م)
أوسركن الثانى	(٨٨٩ — ٨٦٥ ق . م)
شيشنق الثانى	(٨٦٥ — ٨٥٠ ق . م)
يوبوت	(٨٢٥ — ٨٢١ ق . م)
شيشنق الثالث	(٨٢١ — ٧٦٩ ق . م)
باماى	(٧٦٩ — ٧٦٣ ق . م)
شيشنق الرابع	(٧٦٣ — ٧٥٥ ق . م)
أوسركن الرابع	(٧٥٥ — ٧٤٥ ق . م)

الأسرة الثالثة والعشرون : (ح ٧٤٥—٧١٨ ق.م):

فى عهد أوسركن الثانى تولى فرع أصغر من البيت اللوبى منصب كاهن آمون الأعظم فى طيبة ، فكانت منه الأسرة الثالثة والعشرون .

الأسرة الرابعة والعشرون: (ح ٧١٨—٧١٢ ق.م):

الأسرة الخامسة والعشرون : (٧١١—٦٦٣ ق.م):

هبط شباكا الذى اشترك مع بعنخى النوبى من حوالى ٧٢٥ ق . م على مصر واسترد سيادة النوبة وأسس الأسرة الأثيوبية .

شاباكا	(٧١١/٧١٥—٧٠٠ ق.م)
شاباتاكا	(٧٠١ — ٦٨٩٠ ق . م)
طهارقة	(٦٨٩ — ٦٦٦ ق . م)
تانوت آمون	(٦٦٦ — ٦٦٣ ق . م)

الأسرة السادسة والعشرون : (٦٦٣—٥٢٥ ق.م):

فى عهد طهارقه خضعت لملكى آشور المتعاقبين عزر هرون وآشور بانيبال — حاول طهارقه وخلفه أن يطرد الاشوريين ولكنهما فشلا . وأقام آشور بانيبال — بسمتيك حاكما فى ساو بعدفتن واضطرابات . وفى هذه الأسرة ومضت ومضة أخيرة من الانتعاش الحربى .

بسمتيك الأول	(٦٦٣ — ٦٠٩ ق . م)
نخاو	(٦٠٩ — ٥٩٣ ق . م)
بسمتيك الثانى	(٥٩٣ — ٥٨٨ ق . م)
واحب رع	(٥٨٨ — ٥٦٩ ق . م)
أحمس	(٥٦٩ — ٥٢٦ ق . م)
بسمتيك الثالث	(٥٢٦ — ٥٢٥ ق . م)

الأسرة السابعة والعشرون : (٥٢٥—٤٠٤ ق.م).

يفتح قمبيز مصر (٥٢٥ — ٥٢١ ق . م) ويحكمها ملوك من الفرس يتخذون الألقاب القديمة .

الأسر ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ : (٤٠٤—٣٤١ق.م):

استرد بعض الأمراء شيئا من الإستقلال حينا بعد حين . كان نقطانب من الأسرة الثلاثين آخر ملك وطنى حكم مصر . واسترد اخيرا الفرس السيطرة التامة على البلاد حوالى سنة ٣٤٠ ق . م وبعد دارا الثالث الفارسى (ارديشر) مؤسس الأسرة الحادية والثلاثين .

البطالمة

(٣٠٥ — ٣٠ ق . م)

انتزع الاسكندر الأكبر مصر من دارا الثالث (٣٣٢ ق . م) وحكم خلفاؤه فيليب اريد ايوس ، واسكندر الثانى والبطالمة وفى جملتهم كايوباترة (٥١—٣٠ق.م) البلاد فى الاسكندرية حوالى ٣٠٠ سنة . واخيرا آلت مصر إلى الامبراطورية الرومانية (٣٠ ق.م) ، فالبيزنطية ، ثم انتزعها العرب عام ٦٣٩ بقيادة عمرو بن العاص.

القسم الأول

الجيش فى مصر القديمة

المقصود بالجيش ، مجموعة الأفراد المسلحين والمنظمين الذين يكلفون بأعمال القتال البرية . ويتألف من الأفراد الذين يتدربون عسكريا للدفاع عن الدولة . ويطلق هذا التعريف العام على جميع الذين يحترفون مهنة الجندية ويتخذونها عملا مستديما ، وكذلك أفراد قوات الاحتياط الذين يدربون على القتال . وقد تطورت فى خلال التاريخ نظم الجيوش تبعا لتغير النظم الاجتماعية والعقائد السياسية عند الشعوب . وآخذت الجيوش تبعا لذلك أنماطا مختلفة على مر العهود ولايخفى أيضا مدى ما كان لتطور الأسلحة من آثار على تنظيم الجيوش ، فضلا عن التطور التكنولوجى ففى زمن من الأزمنة ، كانت المشاة عماد الجيش ، وفى زمن آخر استبدلوا بالفرسان المسلحين . ونرى اليوم المدرعات الميكانيكية هى التى يقع على عاتقها أعنف مراحل القتال . وكانت الجيوش فى بعض العصور تؤلف من الجنود المحترفين أو المتطوعين أو المرتزقة . . هؤلاء الذين يحاربون سعيا وراء الغنائم والحصول على المال أو الشهرة والمغامرة . وفى بعض الأزمنة تألفت الجيوش من الوطنيين الذين يقاتلون فى سبيل الدفاع عن أوطانهم ومن أجل المثل العليا . وهؤلاء يعتبرون القتال حقا لهم وليس واجبا .

وهكذا تنوعت وتطورت نظم الجيوش بين الشعوب ، مواكبة تطور الأحوال الاجتماعية فى العالم . ولقد كانت مصر منذ القدم أسبق الأمم فى تكوين الجيوش المنظمة والمدربة منذ أيام الدولة القديمة .

وقبل أن نتحدث عن أحوال الجيش منذ أقدم عصور مصر التاريخية ، ينبغي أن نلم بالمراحل التي مرت بها البلاد في العصر العتيق (ما قبل التاريخ) . وقد أوجز المؤرخون تلك المراحل في أربع هي ، الآتية:

١ — كانت البلاد منقسمة إلى مملكتين : مملكة الشمال وعاصمتها بوتو (بالقرب من دسوق) ، ومملكة الجنوب وعاصمتها نخن (الكوم الأحمر بمركز ادفو) .

٢ — بعد أن استولت مملكة الشمال على الجنوب ، وحدت البلاد وكانت كل فترة من هاتين الفترتين طويلة جدا .

٣ — توصل الجنوب في فترة يصعب تحديدها إلى التمرد على الشمال ، وفي خلال هذه الفترة حكم الملكان عقرب ، ونعرمر .

٤ — توحدت مصر من جديد ، لكن ملوك الجنوب هم الذين كانت لهم الغلبة هذه المرة على ملوك الشمال . ومنذ ذلك الوقت دخلت مصر في الحقبة التاريخية . وبدأ عصر الأسرات المصرية .

ومن المحتمل أنه كانت هناك محاولات في سبيل توحيد مصر قبل مينا ، بيد أن تلك الوحدة لم يكتب لها الاستمرار . أما وحدة مينا أو « نعرمر » فهي التي بقيت واستقرت ، وجعلت مصر دولة واحدة ، تولى أمرها عدد كبير من الأسرات المصرية حتى فتحها الفرس واسكندر الأكبر .

وفي خضم تلك الأحداث ، أصبح للعسكريين قطاع هام في المجتمع وكانوا يجندون من أفراد جميع الطبقات ، ولذلك لا يمكن اعتبارهم طبقة ممتازة أو مميزة عن غيرها . أما بعد وحدة البلاد ، فمن المحتمل جدا أن يكون المحاربون جميعا من شعب البلاد التي ينتمي اليها الملك الحاكم . ولما استتب السلام والأمن في ربوع مصر واستقرت سلطة الملك في طول البلاد وعرضها ، امتد التجنيد حتى عم جميع أفراد الشعب دون استثناء .

الدولة القـــديمة

ونلاحظ أنه فى عهد ملوك طينة وفى أثناء الدولة القديمة (ح ٣٢٠٠ — ٢٤٣٠ ق . م) كان إلى جانب الجنود المصريين ، عناصر من الجنود المرتزقة . وكان الأولون لا يستدعون للقتال إلا فى الحروب الكبرى . وكان يقود الجيش قائد عام . ولم يكن الجيش اقطاعيا مؤلفا من جماعات من المقاتلين يقود كل منها سيد الاقطاع ، بل أن هناك فى الواقع جيشا للحكومة المركزية مؤلفا من وحدات حربية تحت قيادة ضباطه المحترفين الذين تفرغوا للأعمال الحربية . ولم يكن لهم عمل مدنى آخر . وكان للجيش سلاح وملابس واحدة فى كل فرقة . ويؤيد ذلك الرسوم التى عثر عليها فى معبد سحورع ، حيث الجنود يخطون خطوات منتظمة ومجهزون بعتاد وسلاح حربى واحد ،.وقابضون على أسلحتهم بأسلوب واحد . وكان الجنود المرتزقة من النوبيين أو من الليبيين . وقد اشترك هؤلاء أيام ببى الأول تحت أمرة القائد «ونى» فى حملة لإخضاع البدو . وكان للمرتزقة ادارة حربية وقيادة . وقد ترك لنا ونى ثبتا بأسماء الأشخاص الذين جاءوا على رأس جنودهم ، مرتبة حسب مكانة كل منهم .

ولما تولى زوسر (الأسرة الثالثة) حكم البلاد ، ودعم سلطانه بحكومة مركزيه ، فكان لابد له أن يستعين بجيش قائم منظم لحماية الدولة من الاعتداء الخارجى ، فقسم البلاد الى مناطق أطلق عليها أسم أبواب المملكة وجعل فى كل منها حامية . وقد نصب على كل من هذه المناطق حاكم خاص، يلقب «مرشد الارض» وقد كان لهؤلاء الحكام الكلمة العليا على حكام المقاطعات ، وكان فى يدهم ادارة الشرطة . ولذلك كانوا مسئولين عن الأمن فى هذه المناطق . وقد أقيمت لهذه الحاميات معاقل ، لكل منها ادارة عسكرية خاصة ، فكان له مخازن غلال خاصة . وقد حفظت أسماء بعض هذه المعاقل ، ومنها معقل « بطولة الأرضين » .

كان الجيش فى عهد زوسر يتبع الحكومة المركزية وكانت الوحدة العسكرية الصغيرة فى أثناء الدولة القديمة مؤلفة من الشبان الصالحين (نفرو) ، يقودهم رئيس (خرب) وكان يتألف من هذه الوحدات سرايا ، أطلق على قائدها لقب (خرب عبر ن نفرو) وكانت تعتبر السرية الوحدة التكتيكية فى الجيش .

وفى ايام الأسرة الرابعة كان على رأس الجيش البرى قائد الجيوش (إمرامشع) وكان فى الغالب ابن ملك ، ويجلس بين اعضاء مجلس العشرة العظام ، مثل الامير « مرايب » ابن الفرعون خوفو .

وفى أيام الأسرة الخامسة لم يطرأ على تأليف الجيش تغيير يذكر عما كان عليه فى ايام الأسرتين الثالثة والرابعة ، فقد كان مؤلفا من مجندين كان يطلق على الواحد منهم « الشاب الصالح » . وتتألف منهم وحدات « عبر » كل منها تحت أمرة ضابط يحمل لقب رئيس الوحدة أو الفرقة « خرب عبر » . ومن هذه الفرق مجتمعة تألفت كتائب الجيش « عبر مشمع » . وعلى رأسها قائد يحمل لقب قائد كتائب الجيش اما حرس الفرعون فى القصر فيتألف من فرق مختلفة من الجندين بامرة « قائد فرق المجندين » . وكانت تحمل كل واحدة منها اسما خاصا بها . وكانت توجد فرق اخرى تتألف منها حاميات ثابتة فى داخل البلاد وكانت توضع تحت إمرة السلطة المدنية لحفظ النظام . وكان الجيش يرسل بعوثا الى الصحارى كمحاجر ومناجم سيناء ووادى الحمامات بالصحراء الشرقية ، ومحاجر طرة .

وكانت العناية بالمجندين عظيمة ، فكانوا يدربون على الأعمال الحربية ، ويتلقون الدروس العسكرية ، وقد خصصت لها مصلحة قائمة بذاتها فكان يشرف على ادارتها العليا القائد الأعظم للجيش . ونذكر على سبيل المثال « كا ام ثننت » الذى كان يحمل لقب قائد جيوش البر والبحر ومدير التعليم للجيش .

لقد كان جيش مصر الدائم وقلاعه ، واسطوله يستلزم قيادة ماهرة لتصريف الأمور — كانت تتمثل فى بيت السلاح الذى عرف منذ الأسرة الثالثة . وقد كانت إدارته دائما موكلة إلى امير ملكى أو إلى زوج اميرة ملكية ، فكان مستقلا عن الادارة المدنية . وفى عهد الأسرة الخامسة اصبح هناك بيتان للسلاح (رئاستان) احدهما للوجه القبلى والآخر للوجه البحرى . وقد كان موظفوه ينتخبون من أعلى طبقات الموظفين ، وغالبا ما يكونون من قادة الجيش وكان لهذا القائد لقبان فى وقت واحد: احدهما « سيشيمو اميرا استى نتر وثانيهما خرب استى نفر » ومعناهما مدير جنود الإله

الحربيين الاثنين . والمقصود من كلمة الإله هنا — الفرعون. ويحتمل أن تشير كلمة الأثنين فى اللقب جنود جيشى مصر العليا ومصر السفلى .

ويشمل بيت السلاح عدة مديريات (مصالح) وخاصة مديرية الأشغال ، لذلك كان كل قائد أعلى للجيش يحمل لقب مدير أشغال الفرعون . وكان يدخل فى اختصاص بيت السلاح إدارة شئون الغلال لتموين أعمال الحرب وخزن ما يلزم من المؤن فى القلاع ، وتجهيز الجيش بالسلاح والملابس والمعدات . وهكذا نرى أن الجيش فى مصر لم تكن عصابات تقوم على السخرة أو على السلب ، بل كان جيشا منظما على الادارة الحربية فى عدته وعتاده وطمامه .

ويظهر لنا من النقوش التى خلفها « ونى » كيفية تجمع الجيش بوساطة حكام القاطعات والمراكز ، فقد كانوا يأتون بالجنود المجندين من الحصون والمدن التى كانوا يحكمونها . وكان حكام القاطعات المصرية مكلفين بفحص المجندين وتسجيل أسمائهم .

ونلاحظ أنه فى ختام الأسرة السادسة ،لا يقابلنا لقب « القائد العام » (امر مشعو) ، فقد بدأ حكام القاطعات يستولون على القيادة الحربية بعد أن أصبحوا أمراء اقطاعات ، ويجندون الجند لخدمة ملكهم . ويظن أنه قد حدث انقلاب فى عهد ببى الأول فى نظام الجيش بسبب انحلال الدوله وتقسيمها إلى مقاطعات تكاد تكون مستقلة . ونلاحظ فى أواخر عهده أن الوظائف الحربية أصبحت نتيجة لهذا الانقلاب وراثية تقريبا ، كما أننا نلاحظ أيضا أن القيادة العليا كانت فى سبيل التغيير . فنجد أن لقب القائد العام للجيش أخذ يختفى وكذلك أصبح تجنيد الجنود باشراف الفرعون مستحيلا . ويرجع ذلك إلى قيام الامارات الاقطاعية . ومنذ ذلك الحين لم يبق فى قبضة الفرعون إلا جيشه المرتزق الذى كان يقوده مدير القوافل وقد أصبح قواد هذا الجيش من النفوذ فى عهد ببى الثانى إلى درجة أنهم أصبحوا أمراء اقطاعيين فى جزيرة الفنتين ، وأصبحوا من أهم حكام الاقطاع فى الجنوب .

الخدمة العسكرية

كانت الخدمة العسكرية فى أيام الدولة القديمة اجبارية بطريق التجنيد ، فكانت كل مقاطعة يجند منها الجنود للعمل فى المحاجر أو للقيام بالأعمال الحربية فى الجهات التى تتطلبها . وتدل الأحوال أن النظام كان سائداً فى فصائل الجنود الحربية منذ أيام الدولة القديمة . فقد دلت الرسوم المنقوشة على جدران الطريق الجنازى لهرم الفرعون « أوناس » أن كل فصيلة من الجنود كانت تحت أمرة ضابط ، فكان من بينهم ضابط الخمسة ، وضابط العشرة . وتدل رسوم أخرى على تنظيم الجيش وفرقه وتسليحه . ونجد فى مقابر الأسرتين ١١ ، ١٢ فى بنى حسن والبرشه وغيرها مناظر تدل على عناية القوم بتدريب الشباب على الألعاب الرياضية . وكذلك على مناظر توضح معارك حربية وحصار القلاع مما يدلنا على انتشار الروح الحربية .

ولم تكن الخدمة العسكرية وراثية، ومع ذلك فقد كان معظم الرجال الذين أدوا الخدمة العسكرية ، يخرطون أولادهم فى سلكها . وقد كان يؤخذ المجند ، وهو صغير السن إلى الثكنات ، حيث كان يتعلم كيفية الرمى بالقوس واستخدام بلطة القتال والدبوس والرمح والدرقة ، وكذلك كانوا يتدربون على الألعاب الرياضية التى تجعل الجسم مرنا ، وتدريبهم على فنون الحرب والسير المنظم والكر والفر والقفز والمصارعة بأيديهم أو الملاكمة . وكانوا يعدون أنفسهم للمعركة على شكل رقص حربى منظم أو بالوثب واللف والتلويح بالقوس فى الفضاء وعند الانتهاء من التعليم كانوا يدمجون فى الفرق الحامية ، ويمنحون امتيازات الجندوعندما تكون الحاجة ماسة الى واحد منهم ، كان يطلب بعضهم أو جميعهم للانخراط فى سلك الجيش (المركزى) وكانت الأسلحة التى فى بيت السلاح توزع عليهم ، ثم يقادون إلى ساحة القتال .

امتيازات الجند :

كانت جيوش الاقطاعيات منظمة على شكل مستعمرات، فكان كل جندى يأخذ من حاكم الاقطاع مقدارا معينا من الأرض ليعيش هو وأسرته من ريعه . ويظهر أن هذا النظام بقى متبعا فى مصر أثناء حكم الفراعنة ، بل والإغريق . فى القرن الخامس قبل الميلاد كان كل جندى يملك حوالى سبعة أفدنة و نصف فدان من الأراضى الصالحة (١) ، ولم يكن يفرض الملك سنوسرت الثالث ضرائب على الجنود . وكانوا معفون من أعمال السخرة فى أثناء تأديتهم وظائفهم فى ساحة القتال . وفى غير هذا كانوا كباقى أفراد الشعب . كان أكثرهم لايملك ثروة أخرى فكانوا بذلك يعيشون عيشة الفلاح فيفلحون الأرض ويحصدونها ويرعون ماشيتهم ما بين كل حرب وأخرى أما أصحاب اليسار منهم ، فكانوا يؤجرون نصيبهم من الأرض بأجر معتدل مما كان يزيد فى دخلهم .

ولما كان يخشى أن ينسى هؤلاء الجنود الشروط التى تملكوا بها تلك الأراضى أوأن يعتبروا أنفسهم ملاكا حقيقيين ؛ كانت لاتترك نفس قطع الأرض فى أيديهم مدة طويلة إلا نادرا . وقد أكد هيرودوت تلك الحقيقة . وكانت أسماء الجند تدون فى سجلات خاصة مع بيان مايمتلكه كل واحد منهم فى وقته . وكان هناك كاتب حربى خاص بتدوين هذا السجل فى كل مقاطعة ملكية أو مقاطعة اقطاعية وكانت وظيفته توزيع الأراضى وتسجيل الامتيازات ، يضاف إلى ذلك أنه كان فى زمن الحرب يقود الجند الذين كانوا يجندون من الأقليم الخاص بسجله ، وفى هذه الحالة كان له مساعد يقوم نائبا عنه فى الحروب إذا اقتضت الضرورة ذلك .

وكان يصرف لجندى الحرس الملكى تعيين يومى مؤلف من رطلين من اللحم ، وخمسة أرطال من الخبز وأربعة « كوبات » من الجعة ومن الامتيازات التى كان يتمتع بها الجندى أن لايودع السجن إذا لم يف بالدين ، ولايقبض عليه بواسطة السلطة المدنية . وكان الجندى يحتفظ بسلاحه .

---

(١) ذكر المؤرخ هيرودوت ان الجندى كان يمنح عشرة أفدنة (١٢ أرورى) معفاة من الضرائب

الدولة الوسطى

وبعد فترة طويلة من الفوضى فى أعقاب سقوط الدولة القديمة، تمتع حكام المقاطعات بسلطات كبيرة و بنفوذ قوى فى أثناء الدولة الوسطى . ومن أجل ذلك سمح لهم باستبقاء جيوشهم الاقطاعية [1] وأسوة بما كان متبعا فى القرون الوسطى بأوروبا كان يلتزم هؤلاء الحكام بارسال بعض قواتهم للخدمة الملكية . ومع ذلك فقد كان هناك جيش ملكى قائم ، يجند أفراده بالاقتراع العام . وهناك نصب تذكارى نقشت عليه بعض الكتابات التى ذكرت أنه فى العام الخامس والعشرين من حكم أمنمحعت الثالث انتدب أحد كتاب الجيش للسفر الى الجنوب لاختيار وجمع مجندين من مقاطعة أيدوس الجنوبية .

ويذكر لنا القائد خوسبيك الذى خدم فى الجيش على أيام سنوسرت الثالث والثانى وأمنمحعت تاريخ حياته الذى دونه على نصب تذكارى وكيف تبدأ الأعوام الأولى من حياة الجندى ويصف التجارب الحربية التى مر بها ، قائلا : —

ظهر جلالة ملك القطرين « خع كاورع » المرحوم لابسا التاج المزدوج على عرش « حور » وأمر جلالته أن اشتغل جنديا خلف جلالته وبالقرب منه ، ومعى ستة من رجال الحاشية ، ومن أجل ذلك كنت بجانبه على استعداد ، ثم أمر جلالته أن أعين حاجبا للفرعون ، ورددت ستين رجلا عندما سار جلالته الى الجنوب ليهزم رجال قبائل النوبة . وهناك أسرت أسودا بجوار المدينة التى كنت مرابطا فيها . وبعد ذلك اتجهت شمالا مع ستة من رجال الحاشية . ثم عينني قائدا للاتباع وأعطانى مائة رجل مكافأة ...وفى مكان آخر يصف بعض تجاربه تحت قيادة الملك سنوسرت ٣ فى حملة ضد النوبة . وفى تلك الحملة رقى خوسبيك الى ضابط لمائة من الجند .

---

(١) تعتبر الأسرة السادسة الحد الفاصل بين العصر الملكى الفردى والعصر الاقطاعى . وبانهيار الأسرة السادسة لم تشهد مصر حكومة مركزية قوية تجمع شتات البلاد حتى قيام الأسرة الحادية عشرة حين أعاد أمنمحعت الأول توحيد البلاد فى ظل حكومة مركزية مرة أخرى .

وفى أثناء السنوات الأخيرة فى الدولة الوسطى، سقطت البلاد فى قبضة الهكسوس الذين جاءوا من آسيا، وبقيت مصر فى حوزتهم باستثناء بعض أجزاء النوبة مدة مائة وخمسين سنة تقريبا، فضعفت البلاد فى أثنائها وفقدت حيويتها، حتى تمكن بعض أمراء طيبة من التغلب عليهم وطردهم من البلاد، ثم أسس « أحمس » الأسرة الثامنة عشرة، واستأنفت مصر حياتها المتدفقة نشاطا وازدهارا، فأسست امبراطورية قوية سادت على قسم كبير من بلاد غرب آسيا.. ويبدأ بهذه الأسرة، مجد مصر الحربى الذى قام به التحامسة والرعامسة. ويمكن القول أن هذه الحقبة للجيش المصرى، تعتبر أزهى أيامه دون جدال. وقد أخذ ملوك الاسرتين ١٨ و ١٩ على عاتقهم وقاية مصر من أى غزو آخر يأتى من الشرق أو الغرب. ولذلك قام ملوك الأسرة ١٨ : أحموسى وأمينوفيس الأول والثانى والتحامسة جميعا فى طليعة جيوشهم مندفعين الى سورية للقضاء على أى تحالف يشن ضد مصر، وشيدوا المعاقل والحصون فأمنوا البلاد من الاعتداء والغزو. وكان أعظم هؤلاء الملوك جميعا : تحوتمس الثالث الذى مد حدود مصر فى الشرق حتى بلغت الفرات.

وكان الفرعون آنذاك هو القائد الأعلى للجيش وهو الذى يقوده إلى ساحة القتال. وكان يساعده قائد كوزير للحربية ومجلس أعلى للجيش للمشاورة. فاذا ماعزم على القتال، أقبل قواده لتسلم أوامر الملك وتعليماته. وكان الجيش آنذاك ضخما مدربا ومسلحا بالعربات الحربية ومنظما على مستوى وطنى وليس على مستوى اقطاعى، وكل جنوده محترفون. كان الجيش يتألف من عدة فرق، كل فرقة منها تعتمد اعتمادا كليا على نفسها بقواتها المشاة والفرسان (العربات الحربية) والرماة وكان يقدر عدد الفرقة بحوالى خمسة آلاف رجل تحت أمرة قائد أو أمير. ويقود إحداها الفرعون نفسه. وكانت أسماء الآلهة تطلق على هذه الفرق. وكان يعتمد على العربات فى الهجوم الأول بقوات العدو ثم يتبعها المشاة بأسلحتهم الخفيفة والرماة بقسيهم، ويحملون الدرقات والرماح أحيانا. كان يحيط بالملك فصيلة مختارة من الحرس الشجعان، أطلق عليهم « الشجعان ». فقد كانوا مسئولين عن شخص الملك فى ساحة القتال.

وكان نقل العتاد يقوم به الحمير، ومع ذلك فقد استخدم تحوتمس ٣ فى حملته إلى الفرات العربات التى تجرها الثيران فى نقل قطع السفن المفككة حينما دعت الحاجة إلى عبور نهر أو مانع مائى.

الرتب العسكرية

وكان تنظيم الجيش فى فرق وكتائب وفصائل يتطلب تعيين قادة لمختلف هذه القطاعات الحربية . ولذلك كان لكل قائد رتبة عسكرية تتناسب مع نوع قيادته ، وقد عرف منها ما يلى :

قائد عام القوات / القائد الأعلى . . . . إميرا ميشاو	Imira Meshaou
لواء — زعيم . . . . إميرا ميشا	Imira Mesha
قائد سرية الجنود المستجدين . . . خرب أبر نفرو	Kherf aper neperou
قائد المستجدين . . . . خرب نفرو	Kherp neferou
قائد السرية . . . . خرب أبر	Kherp aper
يوزباشى — رئيس . . . . إيمى إرتى	Imi irti
يوزباشى فى منصب هام . . . . إيمى إرتى أور إميرا	« « our imira
رئيس القوافل العامة . . . . سهدج إميرا أ	Sehedj imira a
» » . . . . أميرا أ نب	Imira a neb
ملحق بخدمة القوافل . . . . ميخيت أ	Mekhet a
رئيس الأسلحة . . . . إميرا بر أها	Imira per aha
رئيس التعليم العسكرى . . . . إمير سبيت	Imira sebait
قائد الجنود للأجورين . . . . إميرا جيس بر	Imira ges per

وكانت أهم وظائف الأسطول :

أميرال الأسطول . . . . سهدج ديت	Sehedj depet
قبطان . . . . إيمى إرتى أبرن ديت	Imi irti aper n depet
ضابط البحرية . . . . خرب أبرن ديت	Kherp « « «
فنى بالأسطول . . . . مدح ديت	Medeh depet
كاتب » . . . . سيش ديت	Sesh depet

التدريب العسكرى

أمدتنا المتون والنقوش الأثرية بفيض من المعلومات عن تدريب الجنود للقتال في معسكراتهم ، وفى أثناء سيرهم للمعركة وفى أوضاع مختلفة فى معاركهم وطرق حمل أسلحتهم ، بل وكيفية استخدام تلك الأسلحة . وكيف كان نافخ البوق ينظم خطوات الجند أثناء مسيرتهم ، وكيف كان الجند يتدربون على تسلق الجدران ، أو يتبارزون بالعصى ، أو كيف يعدون قسيهم وكيف يمهرون فى الرماية . يقابلنا كل هذا فى الرسوم المنقوشة على جدران المعابد والمقابر والنصب .

كان المجند يلحق عادة بجماعة من ستة أفراد ، يطلق عليهم أسم « جامون خربو » بمعنى جماعة الناشئين ، ويسمى أفرادها باسم « نفرو » بمعنى الناضجين أو الصالحين للتجنيد ، و « حونو نفرو » بمعنى الصغار الناضجين ، و « أيدو » بمعنى الغلمان ، و « مجاو » بنفس المعنى تقريبا . وتعهدت الدولة هـؤلاء بالمؤونة والملابس ، وكان يشرف عليهم مقدمون أصحاب رتب محددة .

وتطلبت تربية الضباط والقادة تحصيل قدر مناسب من الثقافة العامة إلى جانب الثقافة الحربية ، ويرجع هذا الأسلوب إلى الدولة القديمة التى جمع بعض قادتها بين لقب القائد ولقب الكاتب فى آن واحد ، فضلا عن لقب الكاهن فى بعض الأحيان ، واستمر هذا التقليد خـلال عهود الدولة الوسطى ، ثم اتضحت خطوطه وأساليبه وضوحا كبيرا فى أثناء الدولة الحديثة .

وقد وصل إلينا حوار دار بين شابين من شباب الجيش فى عصر الرعامسة ، يصور جوانب الثقافة العامة لرؤساء الجيش . هذان الشابان هما حورى وأمنموبى ، وقـد تلقب الأول بلقب « الضابط مربى أفراس الملك » ، ولقب « معـلم المساعدين فى ديوان الكتابة » ، وحرص على الافتخار بثقافته العسكرية والكتابية ، وروى عن نفسه أنه تفقه فى تعليمات رب الحـرب « مونتـو » وأنه تعرف على أسرار السماء والأرض .. وتلقب زميله « أمنموبى » بلقب كاتب الأوامر الملكية للجيش المظفر ولقب « ماهر » .

وراسل كل من الشابين زميله ، وحاوره . وبدأ حوارهما رقيقا لينا ، ولكنه تحول بعد قليل إلى هجاء عنيف . وتعمد كل منهما أن يعرض على صاحبه فى رسائله مايعرفه ، ويعرض به فيما لايعرفه .

وأراد حورى أن يتهكم على زميله ، فافترض فيه ثقافة الضباط كاملة ، وبدأ يحاوره على هـذا الاعتبار ، فسأله عن الأدب القديم المشهور ، وأدب تحرير الرسائل ، ومسائل الحساب والأحجام ، وطريقة تقدير أرزاق الجند وتوزيعها ، وسأله عن أسماء بعض المدن الداخلية ، وسأله عن شهرتها . ثم كان أمتع ماسأله عنه هو مدى معرفة الضابط المثقف بظروف البلاد الخارجية التى يتعين عليه أن يجوس خـلالها ويعمل فيها ، وقال له فى ذلك :

« تدعى أنك كاتب وماهر ، وتكرر ذلك ، ونود أن نصدقك ولكن تعال نمتحنك أولا :

« هب أنه أسرج لك جواد سريع يشبه ابن آوى فى سرعته ويشبه عاصفة الريح إذا انطلقت وهب أنك أطلقت عنانه ، وشرعت القوس . فدعنا إذن نر ماتستطيع أن تفعله وخبرنى عما أسألك عنه :

« ما الذى تشبهه ميناء ميرا سوسو ؟ وعلى أى جانب منها تقع مدينة حلب ؟ وما هيئة مجراها ؟ » .

وكانت ميرا سوسو ميناء شهيرة فى فينيقيا ، نسبها المصريون إلى رمسيس الثانى الذى دللوه باسم سوسو . وقد تحدى حورى زميله ان يعرف عنها ثلاثة امور ، وهى : هيئتها العامة ، وموضع مدينة حلب بالنسبة إليها ، وشكل نهرها الصغير . وأصر ، على أن يعتبر هذه المعرفة جانبا من الثقافة الضرورية لكل ضابط امتطى عجلة القتال ، وأمسك القوس ، وتلقب بلقب ماهر . (١)

١ — عبدالعزيز صالح : تاريخ الحضارة المصرية ، مجلد ١ ص ٢٠٥ — أنظر ايضا :
Adolf Erman : The Literature of the Ancient Egyptians.
L. Cottrell : Life under the Pharaohs. Pan Edition, P.94-99.

الدولة الحـــديثة

ومن أهم الصور العسكرية التي أوضحت لنا أسلوب التدريب على القتال ، ما خلفه لنا أمنمحوتب الثاني فرعون مصر وخليفته تحوتمس الثالث خلال روايته لقصة حياته وقد أوجزها الينا الدكتور عبد العزيز صالح [1] :

كان أبوه قد تعمد أن يربيه تربية حازمة تؤهله للمحافظة على الزعامة العسكرية التي حققتها مصر في عهده . فاختار لتربيته قاعدتين من قواعد الجيش ، وهما جرجا التي كانت تشرف على طرق الواحات وتشرف على أمنها ، ومنف العاصـمة التي تركزت فيها معسكرات الخيالة وبعض المصانع الحربية .

وتتلمذ أمنحوتب في جرجا على حاكمها القائد « مين » وتدرب معه على رماية النشاة . وكان مين قد جمع بين الثقافتين شئون الكتابة والعسكرية ، وساهم في حروب تحوتمس ٣. وصور مين في جانب من مناظر مقبرته درسا في الرماية ، ظهر خلاله وهو يعلم الأمير امنمحوتب كيف يستغل قوة ساعده في شد القوس الى نهاية مداه ، وكيف يثبت السهم فيه وكيف يطلقه .

واستمر الأمير يتلقى تدريبه في جرجا حتى اشتد عوده ثم انتقل إلى منف وانضم إلى معسكراتها الكبيرة ، وشاطر جنودها معيشتهم ، والتحق بفرقة الخيالة بادئا بأدنى درجاتها ، فانضم الى اسطبل التربية أي تربية صغار الخيل وبقى فيه حتى خبر طباع الخيل وعرف كيف يربيها وعرف ميزات اصائلها وبرع في قيادتها وسمح له بامتطاء ظهور الخيل . وتعلم امنمحوتب الرماية راكبا في العجلة ، ويبدو أنـه

---

(١) الحضارة المصرية ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ . أنظر أيضا :
سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء الرابع ص ٦٤٥ — ٦٥٥ . وذلك عن اللوحة التذكارية التي أقامها امنحوتب الثاني بجوار « ابو الهول » وأكتشفت عام ١٩٣٦ .

أجادها الى الحد الذى شجعه على ان يتحدى فيها رماة الجيش ويعجزهم . وقد بلغ من بأسه فيما روى عن نفسه ، انه رمى من فوق عجلته ، ذات مرة ، اربعة سهام على أربعة أهداف نحاسية متتابعة ، فاخترقها بسهامه . واستكمل امنمحوتب تدريباته مع بحارة الأسطول . واعتاد ان يسابقهم ويتحداهم فى التجديف وهو فى قاربه « الصقر » .

مقبرة « وسرحات » فى جبانة شيخ عبد القرنه :

ومن بين مناظر هذه القبرة — مقبرة « وسرحات » الذى كان من أكابر رجال الدولة على ايام امنحوتب الثانى ، لوحة تمثل هذا الملك وهو يشرف على تجنيد طائفة من الجنود ليقوموا بالخدمة فى الميدان ، وتوزيع جراياتهم عليهم . فنلاحظ ان وقت وجبة الغذاء قد حلت ، وقدمت مائدة الفرعون له على حدة ، ويبده بلطة ونشاهد الضباط يتناولون غذاءهم فى حجرة مجاورة . اما الجند فيكتفون بوجبة تحوى الخبز والماء . اما الذين هم ارقى منهم ، فكان يقدم لهم بالاضافة للخبز لحم ونبيذ مكان الماء . ويشاهد الجنود فى الخارج وقد صفهم ضابطهم فى ساحة ، وكل منهم يحمل حقيبته ليضع فيها نصيبه من الخبز . اما المجندون الأحداث ، فلما كانت شعورهم طويلة ، فكان لابد من حلقها ، ومن اجل ذلك نراهم فى اللوحة قد جلسوا فى الساحة الخارجية ينتظر كل منهم دوره ليحلق شعره . وقد كان حلاقو الكتيبة يقومون بهذه العملية(١) .

مجلس شورى الحرب :

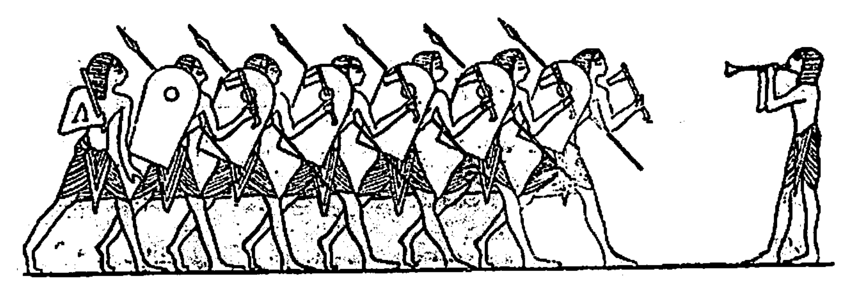
وقد استن بعض الفراعنة العسكريين تقليدا طيبا ، وهو تبادل الرأى مع القادة عند مواجهة موقف او وضع مفاجىء فى أثناء القتال ، أو قبل دخول المعركة الكبرى. فإن لم يقتنع الفرعون برأى قادته بعد مشاورتهم ، اخذ يقنعهم بصواب رأيه بكل سبيل ، وأوضح ما يستشهد به حوار دار بين تحوتمس الثالث ومجلس حرب قبيل دخول معركة مجدو ضد بقايا الأمراء المتحالفين ضده فى سورية .

(١) لوحة رقم ٤٠ ص ٦٩٦ فى مصر القديمة ، ج ٤ للدكتور سليم حسن .

تنظيم الجنود للقتال :

كان التشكيل المتبع عادة عن سير الجنود للحرب كما يلى :

المشاة الثقيلة بالقلب ، تسبقها او تليها العجلات الحربية كما تحرس جانبيها . اما المشاة فتكون دائما فى المقدمة . وعند دنو القوات من العدو ، يعقد الملك مجلسا يحضره رؤساء الجيش وضباطه ، ليبتهلوا للالهة فى طلب النصر على الأعداء . ثم يتسلم الملك قيادة الجيش ، ويتقدم الى العدو ، تسبقه فرقة صغيرة من المشاة ، ومعها نافخو الابواق ، تتلوها عربة تحمل صاريا كبيرا (عاما) يعلوه قرص الشمس رمز المعبود آمون رع ، كأنه يقود الجيش الى محاربة اعداء مصر . يقبل الفرعون فوق عجلته الحربية ، يحف جنوده الرماة وضباط الحرس الملكى ... ثم يشتبك الجيشان وتدور رحى المعركة . فاذا تم النصر نهض الفرعون خطيبا بين الضباط ، ثم يتقدم أسرى الأعداء للعرض امام الملك . ويتلو ذلك إحصاء الأيادى المقطوعة من القتلى لمعرفة عدد الموتى من قوات العدو . ويختم العرض بخطاب يشكر الملك فيه الجنود ، ثم يأمرهم بالعودة الى الوطن .



جنود نتناميون — حملة الدروع والرماح والبلط

(ش ١)

الجنود الفرسان
فى الدولة الحديثة

ظهر فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة سلاح جديد ، وهو العربة الحربية التى تجرها الجياد ، ويعزى فى العادة إدخال عربة القتال وكذلك الخيل فى مصر إلى عهد الهكسوس . وقد جلبت من بلاد سورية التى أخذتها عن أقوام الشمال وكانت قد استعملت فعلا فى عهد الملوك الأول من الأسرة الثامنة عشرة ، وهم « كامس » و « احمس » و « تحتمس الأول » ، وقد استعملها الملوك والأهلون على السواء لأغراض سلمية وحربية ، وقد دخلت العربات والجياد البلاد اولا بمثابة اسلاب حربية وجزية ، ومن ثم كانت تحتفظ بأسمائها الأجنبية التى سميت بها فى بلادها الأصلية غير انه لم يمض طويل زمن حتى انشئت صناعة خاصة فى البلاد المصرية تصنع العربات ولكن للمواد اللازمة لهذه الصناعات كانت تجلب من الخارج . ولقد كان من الأمور الشاقة تربية الخيول فى مصر ، وكانت على ما يظهر تربى فى ضياع الفرعون وضياع معابد الآلهة الكبيرة وحسب . وكان لابد من تكوين إدارة خاصة للخيل وعربات القتال ، وكان على رأس هذه الادارة بضع قواد فرسان ، ولكن من المحتمل انهما كانا قائدين فقط . احدهما للوجه القبلى والآخر للوجه البحرى ، وقد وصلت الينا أسماء كثيرة من هؤلاء القواد من أول عهد « تحتمس » حتى « عهد حورمحب » آخر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة . وقد كان يظن من مدلول اول قائد فرسان ، ان هذه الوظيفة كانت مدنية محضة ، ومع ذلك فان تفسيرها فى هذا الوقت بقائد فرسان كان

فعلا على معنى حربى ، وقد كان « مين بخت » موظفا إداريا مدنيا يحمل لقب مدير مخزن الغلال وكان بجانب هذه الوظيفة الرئيسية يدير إدارة خيل الحكومة ، ومن الجائز انه كان قد بدىء فى عهد « تحتمس الثالث » لأول مرة فى تكوين جنود لعربات القتال ، وقد ظهرت فعلا فى عهده العربات فى ميدان الحروب ، ولكن سرعان ما ظهر كذلك فى الوظائف قائد فرسان من جنود القتال الذين أحيلوا على المعاش .

والواقع ان مثل هذا الوظف قد وصل إلى أعلى رتبة فى صفوف الميدان وهى برتبة « فارس » عند نهاية خدمته العسكرية ، وبعد ذلك منح لقب « قائد فرسان » بعد إحالته على المعاش ، فالوظيفة اذن كانت رتبة شرف تمنح بعدالاحالة على المعاش ولم يكن يستخدم فى قيادة عربات القتال هذه الجنود إلا من كان من أهل اليسار وهم الذين يكون فى مقدورهم ان يقتنوا لأنفسهم العربات ويصرفوا عن سعة على جيادها ويخصصون الخدم للعناية بها . وظهر فى الوقت نفسه انهم كانوا لا يقبلون فى فرقة الفرسان إلا بواسطة أقرباء عريقين . ومن ثم ارتفعت مكانة هذا الصنف من الجنود على كل انواع الجنود الآخرين المقاتلين ، وعلى ذلك كانت وظيفة قائد الفرسان شرفا لحاملها ، ولكن الفرعون على العكس كان يشغل هذه الوظيفة بأفراد يريد ان يرفع من شأنهم فقد رقى « تحتمس الرابع » كاتب المجندين « حور محب » إلى مرتبة « قائد فرسان » بعد ان كان قد نصبه فى وظيفتين خطيرتين وهما (مربى الأميرة امنهابت) ، والمشرف على كل الكهنة ، وذلك فى لحظة كان الخلاف فيها على اشده بين الملك وحزب كهنة آمون .

على ان تتبع سير ترقية « آى » إلى وظيفة قائد الفرسان فى عهد « اخناتون » يظهر من الأمور الصعبة ، ولكنه فى الحقيقة كان فى الأصل من ضباط القتال وهم الذين يرقى منهم قواد الفرسان . ولا نزاع فى ان علاقته بالبلاط جعلت مسألة رفعه إلى هذه المرتبة امرا ضروريا بل عاديا ، وذلك لأنه تزوج مرضعة الملكة « نفرتيتى » ولكنه على مايظهر فضلا عن ذلك كانت له علاقة اخرى تربطه بالبلاد لا نعرفها على وجه التحقيق وكل مايقال فى هذا الصدد انه حصل على لقب « والد الاله » .

أما الذين كانوا يعملون تحت إمرة قائد الفرسان فهم رؤساء الاصطبلات . وكان لديهم عدد من الجياد يرعونها ، هذا إلى مايتبعها من الرجال الذين كان من أهم واجباتهم العناية بهذه الحيوانات وأطعامها .

وهناك درجات فى داخل حدود وظيفة رئيس الاصطبلات فهناك الرئيس الأول لاصطبلات الفرعون ومن المحتمل أنه كان مدير الاصطبل الملكى ، وهو المكان الذى يقيم فيه جنود الحرس الذين فى ركاب الملك ، ويوجد قسم خاص يسمى اصطبل الغيار حيث تجهز الخيل للغيار وحيث يمرن المقترعون فى القسم نجد مثلا أن « بقنخنسو » ، الذى اصبح فيما بعد الكاهن الأعظم لآمون كان يشتغل من سن الخامسة حتى السادسة عشرة وفى نهاية هذه المدة حصل على لقب « فارس » وكذلك كاتب الورقة الهجائية المشهورة التى تسمى الآن ورقة « أنستاسى الأولى » كان يسمى نفسه « الذى يعلم جياد الحاكم » ، وكذلك تدلنا هذه الورقة فى الوقت نفسه أنه كان يلقن الجنود المقترعين المعلومات لتثقيفهم فى حرفتهم ، وهذا على النقيض التام من جنود المشاه . وهذا مفهوم بطبيعة الحال لأن الجنود الفرسان كانوا ينتخبون من أحسن الأسر المصرية ، ولذلك كانت توجه إليهم تلك العناية الممتازة . وكان السواد الأعظم من هذه الطبقة يرغبون فى خرط أبنائهم فى سلك الفرسان ، ولهذا نجد كذلك أن المعلم الذى نقل الخطابات النموذجية التى وصلتنا فى ورقة « أنستاسى الثالثة » كان يلقب الرئيس سائق عربة جلالته على أن وظيفة السائق الأول لعربة الملك التى ذكرناها كانت ذات مرتبة عالية ويستدل على قيمتها من مدلولها ، أى أنه كان يقود العربة الملكية ، وبذلك كان يشغل وظيفة خطيرة جدا .

وكان الفرعون يكلف سائق عربته الأول بالقيام ببعثات خاصة لجلالته فى الخارج وفى هذه الحالة كان يسمى « مبعوث الملك فى كل أرض أجنبية » فمثلا قام رئيس الأصطبل « أمنماتب » بتفتيش فى بلاد كوش ، أو نشاهد سائق عربة الملك الأول المسمى كذلك « المناتب » يحمل لقب مبعوث الملك إلى سورية من « سيله » حتى « يافا » ومن المحتمل أن « خانى » الذى أرسل فى عهد « أمنحتب الثالث » إلى سورية ليهدأ الأحوال هناك ، كان يحمل هذا اللقب .

أما الجنود الذين كانوا يحاربون بالعربات فهم السائقون، وكان تحتهم فى المرتبة المحارب الذى يقف فى العربة على مايظهر . ويتضح لنا ذلك من ذكر هذه الوظائف الحربية التى دونت بالترتيب على حسب درجاتها فى ورقة « هود » وكما جاء ذلك أيضا فى موقعة « قادش » وقد كان للسائقين نظام داخل اصطبلاتهم ، غيرأنه يلاحظ هنا أن كل الخدم وأتباع عربات جنود القتال الذين ذكروا فى عهد الرعامسة لم يكونوا قد عرفوا بعد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

وكان مركز معسكرات الفرسان فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فى عاصمتى البلاد وهما « طيبة » و « منف » حتى عهد « أخناتون » . أما فى « تل العمارنة » التى انتقل اليها « أخناتون » فكانت الثكنات مجهزة بساحات عظيمة للتمرين ، وقد عثر فى « منف » على صورة تمثل تمرين جرب العربات .

والظاهر أن العلم الذى كانت تحمله فرقة الخيالة فى « طيبة » كان يتألف من قضيب عليه تمثال جواد ، وقد عثر على جزء من منظر فى الدير البحرى عليه رسم علم مثل عليه جواد أن وجها لوجه ، ومن الجائز أنه خاص بفرقة الخيالة وهذا أقدم رسم لعلم من هذا النوع . (١)

وقد كانت رتبة قائد الفرسان آخر مايناله ضابط القتال من الرقى بعد ختام خدمته العسكرية ، ونذكر هنا أن وظائف الكهانة كان يمكن أن يشغلها أفراد من الجنود القدماء ، وأن لم يحدث ذلك كثيرا على وجه التحقيق . فنشاهد مثلا أن « معى » الذى خدم فى عهد « تحتمس الثالث » ونال مكافأة من الذهب لأنه أظهر كثيرا من ضروب الشجاعة قد وضعه الفرعون فى وظيفة فخرية وهى الأمير الوراثى ومدير كهنة المقاطعة العاشرة من الوجه القبلى .

---

١ — راجع كلامنا عن الأعلام فيما بعد .

ادارة الجيش والنظم الحربية

كان الموظفون فى إدارة الجيش من المدنيين ، وهم يختلفون بالنسبة لطبيعة عملهم عن جنود الميدان ، وذلك أن الموظفين الحربيين كانوا يبدؤون حياتهم بالتلمذة فى وظائف إدارية صغيرة ، فكان الواحد منهم يعمل بوصفه مساعد كاتب ملكى ، وكان أمثال هؤلاء التلاميذ يدربون على تصريف الأمور ، ولم تمدنا الوثائق بالمدة التى كانوا يقضونها فى ممارسة هذه المرحلة من التعليم ، وتدل شواهد الأحوال على أن وظيفة « كاتب الجند » كانت تقع فى دائرة الوظائف الصغيرة وكان هؤلاء الكتاب يجلسون فى مكتب إدارة الجيش وينفذون أوامر « رئيس الإدارة » دون أن يكون لهم دائرة عمل محدودة . وكان لكل وحدة فى الجيش كاتب من هؤلاء . والظاهر أن هؤلاء الكتاب الحربيين هم الذين نشاهدهم يمشون خلف رؤسائهم فى رسوم الناظر التى تصور توزيع الطعام والجرايات كما نشاهدهم فى رسوم مقبرة « آمون امحب » ومقبرة « بحسوخر » وهؤلاء الكتاب يختلفون فى ملابسهم عن ضباط الجيش العاملين إذ كانوا يرتدون فوق قمصانهم لباسا آخر .

وقد جرت العادة أن ينتخب الموظفون أصحاب الرتب العالية فى الجيش من كتاب الجند ، فنهم من يكون مديرا للكتاب الحربيين ، وكاتب المجندين ، ثم القائد .

وقد كان عمل مدير الكتاب الحربيين هو تدوين التقارير لما يحدث فى خلال المعارك فى أثناء الحملات الحربية فهو إذا كان الموظف الذى يدون اليوميات الرسمية عن سير المعارك . وقد دون لنا « تننى » على جدران قبره ، أنه كان يسير فى ركاب سيده « تحتمس الثالث » خلال المعارك التى شنها ، سجل أعمال الشجاعة التى قام بها فى كل بلد أجنبي وقد دونها كما حدثت ، وهذه الألفاظ التى ذكرها « تننى » تنطبق على يومياته الحربية التى خلدت ذكراها بمنتخبات منها لا تزال باقية منقوشة

على جدران معبد الكرنك ، ومما يؤسف له أن نقوش ترجمة حياته فى مقبرته قد وجدت مهشمة ، ولكننا نستخلص منها أنه كان يعمل كذلك فى عهد « امنحتب الثانى » وفى عهد « تحتمس الرابع » ومن أجل أعماله العظيمة رقى إلى منصب « كاتب المجندين » .(1)

كاتب المجندين :

يظهر أن هذه الوظيفة لم تكن شائعة الاستعمال قبل عهد الأسرة الثامنة عشرة وان كانت قد وجدت منذ الدولة القديمة ، ويقول البعض أنها أنشئت فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، أما فى خلال الأسرة الثامنة عشرة فنجد عددا عظيما من الموظفين يحملونها ، وخاصة فى عهد « تحتمس الثالث » و « امنحتب الثانى » و « تحتمس الرابع » و « أمنحتب الثالث » و « امنحتب الرابع » ثم « حور ـ محب » . والواقع أنه كان لكل من الوجه القبلى والوجه البحرى كاتب مجندين ، وقد كان كثرة الموظفين الذين يحملون هذه الوظيفة معلوما واضحا من تعدد درجة القائد التى تليها فى درجات الرقى ، ومع هذا فمن المؤكد أنه لم يذكر لنا فى أية وثيقة تقسيم سلطة هذه الوظيفة فى الوجهين القبلى والبحرى ، وكذلك لم يتضح أمامنا على النقوش إلى الآن كاتبان للمجندين أو اكثر فى وقت واحد أبدا .

ويدل ماجاء فى حياة « أمنحتب بن حبو » على أن هذه الوظيفة كانت فى الوجه البحرى الذى كان يعد أهم من الوجه القبلى من الناحية الحربية ، وما وصل الينا عن كتاب المجندين لا يدل قط على أن تقسيم هذه الوظيفة كان ممكنا ، وذلك لأن الترقيات التى كانت تلى هذه الوظيفة ليس لها أى أثر قط فى النقوش المصرية .

التجنيد :

وصف لنا « أمنحتب بن حبو » فى النقوش التى تركها لنا أعماله بوصفه كاتب المجندين ، فقد بدأ أحد نقوشه بالكلمات التالية : لقد جمعت المجندين لسيدى ،

(1) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٥ ، ص ٤٧٨ ـ ٤٨٢ .

وأحصى قلمي عددا لانهاية له . ووضعت الشباب مكان القدامى من الجنود ، فتصبح عصا الشيخوخة ممثلة فى أبدانهم الحية ، وأحصيت ضريبة بيوتهم على حسب أفرادها وأعفيت بيوتهم من الضرائب .. فمن هذا الاجراء يتضح أن التجنيد كان ينقسم إلى صنفين مختلفين ، ولكن لا يمكن ان نستخلص منه ما إذا كان هذا التقسيم يعالج الجنود النظاميين أم جنود الرديف ، إذ نعلم بدورنا أنه منذ تكوين جيش عامل فى عهد الدولة الوسطى ، كان تنظيم المجندين من هذين الصنفين من الناس مختلفا ، فقد عرفنا أنه فى « البرشة » فى عهد الفرعون « سنوسرت الثالث » كان جميع جنود الجيش العامل منفصلا عن المجندين فى المقاطعة .

والواقع أنه كان للجنود النظاميين فى عهد الدولة الوسطى أراض معفاة من الضرائب زمن الخدمة العسكرية وبعدها ، فكانت بمثابة رزق أساسى لهم ولأسرهم ، هذا أن ملوك الدولة الوسطى كان لهم حرس ينتخبون من صنف من الضباط العاملين وهؤلاء خصص لهم حقول وماشية وعبيد ، وذلك لأن الفرعون كان مضطرا فى أوائل هذه الدولة إلى معونة عدد عظيم من الجنود فى الحروب التى كان يشنها لتحرير البلاد من جهة ، وللمحافظة على الأقاليم التى فتحها وضمها لمصر فى سورية والسودان من جهة أخرى .

وكان للفرعون فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة أراض شاسعة ، وبخاصة الأراضى التى استولى عليها من حكام المقاطعات بعد القضاء على سلطانهم وتشتيت شملهم ، وكذلك الأراضى التى استولى عليها بعد طرد الهكسوس من البلاد .

ومن أجل ذلك نرى أن ضياع الجنود فى هذه الفترة كانت منتشرة فى أنحاء البلاد لدرجة عظيمة ، فكان ربان السفينة « أحمس بن أبانا » يمتلك فى ذاك الوقت بهذه الوسيلة أراضى شاسعة فى مقاطعات « الكاب » وهو يقص علينا بنفسه أن معدات سفينته كان ينفق عليها من أراض منحها . وفى عهد حكم الفرعون « أحمس » كان مدير السفن المسمى « نسى » يملك حقولا فى « منف » تبلغ مساحتها نحو خمسة عشر ومائة أرورا قد وهبها أيام الفرعون ، وقد أقيمت من أجلها قضية نزاع

على ملكيتها فى عهد « حورمحب » واستمرت فى يد القضاء حتى عهد « رمسيس الثانى » .

وكذلك عثر على لوحة حدود جاء فيها أن « تحتمس الأول » قد منح راكب العربة « كرى » حقلا تبلغ مساحته نحو خمسين ومائة أرورا « الأرورا تساوى ٢٩٣٥ مترا أى ثلثى فدان) . وكان كذلك حامل العلم « نب آمون » يملك حقولا قبل أن يعين صاحب الشرطة فى عهد « تحتمس الرابع » فى « طيبة » الغربية ، ومن هذا يمكن القول بأن الاعفاء الذى ناله « نب آمون » عن أملاكه بوصفه رئيسا للشرطة يدل على أن الأراضى التى يمنحها الجنود لم تكن معفاة من الضرائب .

هـذا وقد جاء فى رسوم القائد الفرعون « حورمحب » ذكر مستعمرات عسكرية ، إذ نجد مع القوائم التى تحتوى على الأفراد المدنيين قوائم تشمل جنودا عاملين يملكون سفنا وحدائق . وذكر لنا كذلك « رمسيس الثانى » مرة أخرى فى موقعة « قادش » بعض الحقائق فى هذا الصدد إذ يقول : أنى صرحت لكم بالسكنى فى ضياعكم وأملاككم مع أنكم لم تقوموا بالخدمة العسكرية ، فهذه الكلمات التى فاه بها « رمسيس الثانى » كان يقصد بها منح هذه الأراضى المعفاة من الضرائب لتكون بمثابة أساس لإنشاء جيش عامل فى البلاد ، إذ أنه قرن استغلالها بأن يكون مالكها على تمام الأهبة دائما ليقوم بواجبه العسكرى كلما دعا داعى الحرب للدفاع عن الوطن ، وإذا حدث أنه أصبح مالك هذه الأرض المعافاة من الضرائب غير قادر على حمل السلاح ، فان ابنه الذى يرث هذا الاقطاع من بعده يجب عليه أن يحمل السلاح بدلا منه ، وإذا اتفق أن ليس فى الأسرة ذكر قادر على حمل السلاح فان الاقطاع يرجع ثانية ملكا للفرعون ، فيعطيه بدوره غيره من القادرين على حمل السلاح .

ولا ريب فى أن الإدعاء الذى ذكره لنا « رمسيس الثانى » من أن المبدأ القائل بأن المالك لمثل هذه الأراضى كان من حقه أن يواصل تملكها حتى ولو كان غير قادر على حمل السلاح ، وليس له ولد يحل محله ، مبالغ فيه ، وذلك لأن

القانون الأصلى معروف تماما وهو يقضى بأن ملكية الأرض والانخراط فى سلك الجيش العامل كانا يتمشيان معا جنبا إلى جنب منذ أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، إذ يقص علينا فى هذا الصدد « أحمس » الذى أصبح فيما بعد مديرا لمعدات السفن فى عهد آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة « وكان والدى جنديا فى جيش الفرعون» « سقنن ..... ثم أصبحت جنديا بعده مع أنى كنت لا أزال صبيا » . ومن ذلك نستخلص أن معظم جنود الجيش العامل كانوا أولاد جنود يضاف إلى ذلك أن « امنحتب بن حبو » (كاتب المجندين) أعلن فى نقوشه أنه يجعل المجند الصغير يحل محل سلفه لتكون بذلك عصا شيخوخته ممثلة فى ابنه الذى يحبه ، وكان يشير إلى أنه تحت سلطانه بوصفه كاتب المجندين — الإدارة التى تجعل الولد يحتل مكان والده فى الأملاك التى وهبها الفرعون إياه مقابل خدمته فى الجيش العامل ، وكذلك كان يقصد الكاتب « تننى » نفس المعنى بكلماته التالية التى ذكرها لنا فى تاريخ حياته . . . ولقد رافقت الفرعون « تحتمس الرابع » ودونت له أسماء جنوده العدة ، وكذلك نجد نقوشنا تفسر لنا صورة تدل على تدوين أسماء كل أفراد جيوش جلالته . واقتراع المجندين من بين كل الشبان ، وجعل كل رجل يعرف واجبه فى عامة الجيش على يد كاتب الملك الحقيقى محبوبه ، وكانت الجيوش « تننى » وهذان النصان يدلان على ما كان يحدث فى هذه الأدارة الحربية . فقد كان من الواجب التأكد من هذه القوائم بمراجعتها وكذلك التحقق من قدرة كل جندى على الخدمة فى الجيش أو عما اذا كان ابنه سيحل محله فياخذ أملاكه بدون ضريبة . ونجد أمثال هذه المراجعات لقوائم الجنود فى نقوش قبر كل من « تننى » و « حور محب » وكان كل منهما يحمل لقب « كاتب المجندين » فنجد فى المناظر الجنود مقسمون فرقا بقيادة حامل العلم أمام « كاتب الأدارة» فى صفوف، ونشاهد « كاتب المجندين » يراجع القوائم وهى التى كانت الأساس فى تنظيم الجيش ، إذ بها يستطيع الأنسان أن يتأكد عند ما يوجد أى شك فى موضع أى جندى أو ضابط ، وكانت الجيوش تعبأ على حسب هذه القوائم ، وعلى هذا الأساس من النظام أصدر ولى العهد فى حكم « رمسيس الثانى » إلى الضباط أن ينادى الشبان

من الشجعان المدونين فى قوائم الفرعون ، وأنه يجب عليهم أن يحملوا السلاح أمام جلالته[1]

والظاهر أن أولاد جنود الجيش العامل كانوا يدربون فى سن محددة ، ولكن مما يؤسف له أنه لم تصلنا نصوص صريحة عن ذلك فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، مع أننا كما سبق قد وجدنا « أحمس » قد حل محل والده ، وهو لا يزال صبيا ، غير أنه قد بين لنا أن حالته كانت حالة خاصة ، ومع ذلك فقد ذكر فى بردية من العهد الآهناسى ، (أى الأسرة العاشرة) أن سن التدريب كانت فى العشرين ، ولكن فى ذلك خلاف عند علماء الآثار وكان هؤلاء المجندون يجمعون فى فرق خاصة حيث كانوا يدربون كما يستخلص ذلك من لقب « حامل العلم » « منى سو » الذى كان يطلق عليه لقب « مدرب فرق البحارة » ، وهذا الجندى بعينه هو الذى نراه مصورا على جدران مقبرة « كاتب المجندين » « تننى » وقد رقى إلى وظيفة « كاتب المجندين » . كما نجد ذلك فى نفس الصورة نظام سير هذه الفرق ذهابا وإيابا تحت إشراف ضابط يحمل لقب «حامل العصا» أى أنه مصلح بالعصا ، ولكن من الجائز أن تكون كل مناظر مقبرة « تننى » تمثله نفسه فى وظائفه المختلفة .

كان التدريب العسكرى يجرى فى حاميات لا نعرف موقعها على وجه التحقيق ، فنعرف أن واحدة منها كانت فى طيبة ، حيث كان يدرب حرس الفرعون ، وهؤلاء كانوا يرافقون الفرعون عندما يغادر طيبة وكان الفرعون يرافق الجيش نفسه أحيانا كما ذكرنا ذلك من قبل عندما خرج « أمحتب الثالث » للصيد والقنص وكانت توجد حامية أخرى كذلك فى «منف» التى كانت مقر القائد الأعلى لجيوش الدولة فى خلال الأسرة الثامنة عشرة .

ولم تكن هناك حاميات أخرى فى الدلتا إلا إذا استثنينا معاقل الحدود والحاميات التى فى المقاطعات . ولا شك فى أن جزءا عظيما من هذه الفرقه التى كانت تحمل السلاح هم الجنود الذين يتألف منهم الجيش العامل ، ويقضون وقتا غير محدود

---

(١) سليم حسن : المرجع السابق ذكره ، ص ٤٨٤

فى تلك الحاميات يدربون تدريبا عسكريا قبل أن يطلق سراحهم ويؤذن لهم بالعودة إلى اقطاعاتهم التى منحوها .

وكان تجنيد العساكر الرديف كذلك تحت ادارة « كاتب المجندين » وكانوا يشتغلون كثيرا فى خلال الأسرة الثامنة عشرة فى شئون النقل .

أما فى الحروب فكانوا لا يستعملون الا عند الضرورة الملحة ، فنشاهد مثلا على جدران معبد الدير البحرى فرقة الجنود الخاصة ينقلون مسلات الملكة « حتشبسوت » وعلى مقربة منهم مجند والجيش أى الجنود الذين كانوا يدربون ليصبحوا جنودا نظاميين وهم الشباب المقترعون . وفى نص آخر ذكروا بأنهم من بلدة « اطفيح » أى المقاطعة العاشرة من أعمال الوجه القبلى . ولا نعلم أن كان هذا التخصيص يدل على أنه كانت توجد نسبة مئوية للتجنيد أم لا . وكل ما وصل الينا الى الآن من معلومات فى هذا الصدد وثيقة واحدة ترجع الى عهد الاسرة الثانية عشرة ذكر فيها أن النسبة كانت ١ ٪ ، وذلك حينما أريد جمع جيش من الرديف للقيام بحملة الى الواحات والواقع أنه لا يمكننا أن نحدد النسبة المئوية الحقيقية للمجندين الذين كانوا يؤخذون من الأهلين لاختلاف أنواع المجندين أنفسهم ، وبخاصة فى الجيش العامل الذى كان يتألف من عدد عظيم ، ومن المحتمل ان هذا التجنيد كان ينفذ قهرا ، اذ نجد فى مقبرة رئيس الشرطة « نب آمون » « بطيبة » الغربية منظرا نشاهد فيه عدد عظيم من الشباب قد جمعوا فى مكان واحد لينتخب منهم من تتوافر فيه شروط التجنيد وعلى مقربة منهم نشاهد ذويهم يرجون من أولى الأمر اعفاءهم.

وكان من الضرورى لهذا اعداد قوائم دقيقة بأسمـــاء كل الأهلين ومكانتهم الاقتصادية وعلى حسب هذه القوائم كان يقرر « كاتب المجندين » ضرائب كل جهة تناسب عددها ويشاهد وضع هذه القوائم ومراجعتها فى منظر على جدران مقبرة « كاتب المجندين « ثنى » وقد كتب معها الشرح التالى : « تسجيل كل البلاد أمام جلالته ، ومراقبة كل الأشياء ، ومعرفة الجنود ، والكهنة ، وخدم الفرعون ،

وكذلك كل الصناعات فى جميع البلاد ، وكذلك الثيران ، والبط والماعز بوساطة ... « ثنى » . (١)

ولم تكن دائرة نفوذ « كاتب المجندين » تنحصر فى الأمور الحربية الخاصة بفرق المجندين ، بل كانت تمتد كذلك إلى فرق العبيد من أسرى الحروب ، وهم الذين كانت تملكهم الحكومة وقد بين لنا ذلك « أمنحتب بن حبو » فى تاريخ حياته حيث يقول « لقد أنجزت أعمال السخرة برجال من أحسن الأسرى الذين أسرهم جلالته فى ساحة الوغى ، وراقبت جنوده . ويقول : « لقد أحصيت أسرى جلالته الذين كنت رئيسا لهم » وقد كان يوزعهم على حسب أمر الفرعون على المعابد المختلفة ، وكان هـؤلاء الأسرى من العبيد يستوطنون ضياع الفرعون ، أو يحتلون ضياع المعابد الموقوفة عليها فكان الرجال منهم يفلحون الأرض أو يصيرون رعاة ، أو منظفين للذهب ، أو يعملون بنائين .. الخ . أما النساء من الأسرى فكن يحترفن الغزل ، أو يعملن غسالات أو يقمن بتقديم البخور وطاقات الأزهار . وقد كانت هذه القوائم تدون بدقة وإحكام ولا شك أن ذلك هو الأساس الذى تقوم عليه كل إدارة محكمة النظام وقد كان يشترط فى كل قسم منها أن يكون قائما بذاته ، فلا يتعدى قسم على آخر تجنبا لعدم الارتباك فى سير العمل .

حماية الحدود :

تدل النقوش التى ذكرها « أمنحتب بن حبو » فى تاريخ حياته ، وهى التى تصف لنا اشرافه على التجنيد وإدارة جنود الجيش العامل وجنود الرديف والجنود العبيد على أن كاتب المجندين كان يشرف على دائرة حيوية أخرى إذ يقول : «لقد وضعت كذلك فرقا على الطريق لترد الأقوام الأجانب على أعقابهم إلى بلادهم . وهؤلاء الأقوام يحيطون بكلتا الأرضين . كذلك كان من واجباتهم منع تنقلات البدو الرحل ، وقمت بنفس العمل على الشواطىء عند مصبات النهر التى كانت

(١) سليم حسن : المرجع السابق ذكره ص ٤٨٧—٤٨٨

مغلقة . إلا لبحارة الفرعون لقد كنت مرشد طرقهم وكانوا طائعين أوامرى وكذلك كنت الفم الأعلى (الرئيس الأعلى) الذى كان يرأس الشجمان ، وأدبت همج آسيا .. .. .. » .

ومما سبق يتضح أن الأماكن التى كانت فى حاجة إلى حماية من المغيرين على شواطىء الدلتا وحدودها أو بعبارة أخرى الجزء الشمالى من أرض الدلتا هو الذى كان تحت إدارة أمنحتب بن حبو « بوصفه كاتب المجندين » على أنه لم يرد فى نقوش الأسرة الثامنة عشرة ذكر حماية الشواطىء . حقا نعرف أنه كان لهـذه الشواطىء مشرف خاص يحمل لقب « مدير مصبات البحر » هذا إلى أنه قد جاء ذكر موظف يحمل هذا اللقب فى عهد الفرعون « تحتمس الثالث » وكان مكلفا بقيادة حملة إلى سينا فى « سرابة الخادم » .

الواقع أنه كان من الضرورى اتخاذ قواعد حربية على حـدود الدولة من الشرق والغرب فى خلال الأسرة الثامنة عشرة ، وقد كانت إدارة الحـدود فى عهد الدولة الوسطى مقسمة تقسيما عظيما محكما فكان يشرف على الحدود الشرقية أمير المقاطعة السادسة عشرة (بنى حسن الآن) . إذ كان يسيطر على قواعد المعاقل وعلى رجال شرطة الصحراء من الدلتا حتى مقاطعته ، وكان يحمل من أجل ذلك لقب « مدير الصحراء الشرقية » وهو اللقب الذى كان يحمله « خن » قبل عهد « امنمحات الأول » وكان يحمله « نخن » بعد عهد « أمنمحات الأول » وكذلك « نترنخت » فى عهد « سنوسرت الأول » وكذلك كان يلقبنه « خنوم حتب » فى عهد « سنوسرت الثانى » أما الجزء الباقى بعد المقاطعة السادسة عشرة حتى بلاد النوبة فكان على مايظهر يشرف عليه قائد الجيش فى الصحراء وهو المشرف العام على شرطة الصحراء .

ومن الغريب أنه بينما نجد معلوماتنا عن حراسة الحدود الشرقية فى الدلتا تحتل مكانة عظيمة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، تتضاءل معلوماتنا جدا عن حراسة الحدود الغربية فى الدلتا بالنسبة لنظيراتها ، على أننا من جهة أخــرى نعلم أن « أمنحتب بن حبو » ، قد ذكر لنا أنه أحاط شاطىء الدلتا بنقطة حراسة ، وهذا يدل على أنه كان على الشاطىء الأيمن للدلتا معاقل حربية وقد كانت نقطة الحراسة هذه فى غرب الدلتا موجودة من قبل منذ الدولة القديمة ، فقد ورد ذكر لقب « مستشار ثغور البلاد الأجنبية فى شقى الدلتا » وكذلك لقب « حارس حصن باب الغرب » غير ان هذه المعاقل لم يات ذكرها فى النقوش فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وكان أول ذكر لمعاقل الحدود الغربية فى عهد الفرعون « مرنبتاح » ثم فى عهد « رمسيس الثالث » ، والظاهر أن النظام فى هذه الجهة كان يختلف عنه فى الجهة الشرقية يدل على ذلك أنه كان فى الجهة الغربية قائد يحمل لقب « قائد فرع النهر الأيمن » (الفرع الكانوبى) . ونرى فيما بعد أن هذا اللقب كان يحمل فى الوقت نفسه لقب « حاكم فرع النهر العظيم » كما كان القائد الأعلى يحمل فى الجهة الشرقية لقب « حاكم سيله » غير أنه مما يؤسف له أن اللقب وصل إلينا مهشما. ومهما يكن من أمر فإن لقب « حاكم النهر العظيم » قد وصل إلينا فى نقوش الأسرة الثامنة عشرة ولكن من غير لقب حربى معه .

أما عن حدود الوجه القبلى من جهة الصحراء فلم توجد أية معاقل بل كان يقوم بالحراسة هناك « شرطة الصحراء » وهم رجال خفاف الأجسام ، سريعو الحركة ، معظمهم نشأ فى الصحراء نفسها وكان يسيطر عليها مشرف يحمل لقب « مدير الصيادين » وهؤلاء المديرون هم الذين كانوا بدورهم فى عهد الدولة الوسطى حكام مقاطعات أو قواد الصحراء ، وفى خلال الدولة الحديثة كانوا تحت سيطرة كاتب الجندين ، ولم تكن مهمة هؤلاء الحراس قاصرة على أعمال الشرطة أو الأمور الحربية ، وذلك بتعقبهم الفارين إلى الواحات أو حماية عمال

مصنع الأحجار من غارات البدو الجائلين الذين يعيثون فى الأرض فساداً ، أو صيانة الطرق المؤدية إلى مناجم الذهب ، فقد وجدنا فى قبر رئيس كهنة « آمون » المسمى « منخبرع سنب » فى عهد « تحتمس الثالث » منظر مدير صيد ، ومعه جزية الذهب من « قفط » ، بل كانوا كذلك على الرغم من كل هذه الخدمات التى يقومون بها باقين على حالتهم الأصلية يزاولون الصيد والقنص وهى مهنتهم الأصلية التى فطروا عليها ، من أجل ذلك نشاهد « رئيس البدو » و « مدير الصحراء » « نفرخاوت » ممثلا على لوحته التذكارية حاملا أثقاله على كتفه ، وكان ابنه « منخبررع سنب » يلقب كوالده « مدير الصيادين » ومدير الصحراء ورئيس البدو وكان مقر كل منها سكان الصحراء لا من سكان المدن المصرية . (1)

---

(1) سليم حسن : المرجع السابق ذكره ، ص ٤٩٠ — ٤٩٦

قائــــد الجيــــش

كانت السبيل ميسرة لـكاتب المجندين ان يرقى فى وظيفته إلى أعلى رتبـة فى الجيش ، وأعنى بذلك رتبة « قائد » والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقد كان كل من « ثنى » و « سات است » و « رعمسو » ثم « معى » كاتب مجندين ، قبل أن يصبحوا قوادا . وكذلك كانت الحال مع القائد الأعظم « حـور محب » فإنه على حسب ماوصل إلينا من المعلومات عن ألقابه كان فى بادىء أمره « كاتب مجندين » ولـكن الأمثلة الأخرى التى لدينا لمن رقوا قوادا لانعرف منها عن سلك ترقيتهم شيئا يحـول لنا أن نحكم بأنهم شقوا طريق رقيهم المعتادة فمن هـؤلاء « تحـوتى » و « بتاح مى » الذى عاصر حـكم « تحتمس الرابع » . « وامنحتب » فى عهـد « امنحتب الثالث » ثم « بآتون محـب » . ولم يشذ عن هـذه الأمثلة إلا القائد الأعظم « امنهانت » فانه رقى إلى رتبة قائد من الجيش العامـل نفسه . ولا بد أن نلاحظ هنا أنه قد ظهر عدة قواد فى وقت واحد فى البلاد ، وليس هذا بغريب فقد كان بطبيعة الحال لكل من الوجه القبلى والوجه البحرى قائد قائم يقـود الجنود المدربين ، وهم الذين كان لايوجد منهم إلا نفر قليل فى المعسكرات ، وهؤلاء هم الذين كانوا فى أغلب الأحيان يعفون من الضرائب التى كانت تفرض على اقطاعاتهم أما مكانة القائد بين كبار رجال الدولة فقد عرفناها من منظر على جدران مقبرة « رئيس الـكهنة » فى عهد الفرعون « توت عنخ آمون » تمثل مقر الإدارة العامة فنجد الوزير يحتل المـكانة الأولى ، ثم يأتى بعده « مدير أمـلاك الفرعون » ثم « مدير المالية » «فمدير محكمة العدل » وخلف هؤلاء يأتى«مدير مكتب الوزارة » فمدير بيت المال وهو تحت إمرة « مدير المالية » ثم يأتى بعد كل هؤلاء « القائد » ومما هو جدير بالذكر هنا أن هؤلاء القواد كانوا فى عهد « اخناتون » يرقون إلى وظيفتهم هذه من وظائف كتابية وحسابية . والواقع أن القائد لم يـكن المجال فسيحا أمامه ليستعمل مواهبه ودرايته الحربية قط ، على أنه إذا اتيحت له الفرصة ، فانه

كان يفوق عدوه في الحال لأن ثقافته كانت أكبر عون له على ذلك ، إذ كان من واجبات القواد أن يعرفوا طرق مواصلات جنودهم ، والاعتناء بجراياتهم وعدد الجنود اللازمة لهم ؛ هذا إلى أن الجيش المصرى لم تكن مهمته القيام بالحروب وحسب ، بل كان فى أغلب الأحيان يستخدم فى انجاز مشاريع البناء ، ونقل الأحجار اللازمة لأعمال الحكومة ، ومن ثم كان من الضرورى للقائد أن يكون ملما بكل مايتعلق بهذه الأمور ، مما جعل الأعمال الحربية المحضة تتضاءل أمام الواجبات الأخرى ، التى كان يضطلع بها القائد لتنظيم تلك الأعمال وتنفيذها . من أجل ذلك تعدد لنا ورقة « انسطاسى » [1] المعلومات التى كان يجب على كل موظف حربى أن يلم بها ، وفى قدرته حل معضلاتها اذا واجهته . وأهم شىء لفت اليه النظر مؤلف هذه الورقة ، هو ما كان يجب أن يقوم به القائد من أعمال البناء قبل قيامه بحملته فيجب على القائد أن يحسب حساب الجرايات اللازمة للرجال لحفر بحيرة أبعادها معلومة ، أو لأجل نقل مسلة ذات أبعاد معينة وحجم معين ، وكذلك حساب منزلق لأجل بناء ما ، وكذلك عدد الرجال اللازمين لإقامة تمثال ضخم ، وبجانب هذه الأعمال يوجد عمل آخر بالإضافة إلى الأعمال الحربية ، ولكن لايختلف فى جوهره عن الأمور السابقة ، وهذا العمل هو توزيع قوات الجيش والمؤن اللازمة لحملة مسافرة إلى بلاد « سوريا » هذا فضلا عن أن كاتب هذه الورقة يفرض فى وثيقته هذه على كل موظف حربى ، أن يكون عالما بتخطيط البلدان التى سيندلع فيها لهيب الحرب وأن يكون عالما بلغة أهلها وان يكون فى المستوى العلمى الذى تتطلبه وظيفته العالية .

---

(١) سليم حسن : الأدب المصرى القديم ، جا ، ص ٣٧٨ — ٣٨٤

القائــــد الأعـــلى

كان الفرعون الرئيس الأعلى لكل القواد كما كان هو أعلى قائد فى الجيش ، وعلى أية حال فانه كان يظهر أمام العالم فى الوثائق الرسمية بهذا المظهر وكان لايعين بدلامنه قائدا للجيش إلا نادرا ، إذ كان لايحدث ذلك إلا فى الحملات الصغيرة التى كان يتولى قيادتها « نائب الملك » فى بلاد « كوش » (ابن الملك) .

وحقيقة الأمر أن الفرعون كان يعين نائبا عنه أو ممثلا له ، يقوم بكل مايقوم به القائد الأعلى ، وكانت العادة المتبعة أن يعين ولى العهد فى خلال الأسرة الثامنة عشرة كما كانت الحالة فى عهد الدولة الوسطى . ففى عهد « تحتمس الأول » مثلا كان أكبر أولاده ، « أمنمس » هو القائد العام للجيوش ، إذ وجدت وثيقة تبين ذلك ، جاء فيها بكر أولاد الملك القائد الأعلى لجيوش والده « أمنمس » .

كان الفرعون يرسل أكبر أولاده لينوب عنه فى قيادة الجيش العليا فى «منف» القاعدة العامة للجيش ولذلك كان لزاما على ولى العهد بوصفه القائد الأعلى أن يتدرب علميا على الفنون الحربية ، وكانت العربة وقتئذ أحسن أداة للحرب . ومن المحتمل جدا أن أولياء عهد غير من ذكرنا كانوا يشغلون مركز القائد العام للجيش ، وقد ظهر فى عهد « امنحتب الثالث » أمير صغير يحمل لقب « ابن الملك القائد العام للجيش » اسمه « تحت مين » أما فى عهد « امنحتب الرابع » فلا نعرف من كان القائد الأعلى ، لأن هذا الفرعون لم يعقب ذكرا هذا إلى أن خطابات «تل العمارنة» لم يأت فيها ذكر لاسم القائد العام ، ومما لاشك فيه أن «حور محب» لم يكن وقتئذ قائدا أعلى للجيش ، إذ لم يأت اسمه فى النقوش بما يدل على ذلك . ومن الجائز أن « تحوتى مو » الذى كان يحمل لقب « قائد الجيش الأعلى » ، وقتئذ وكذلك لقب « الامارة » كان يشغل هذا المنصب ، وبخاصة إذا أضفنا إلى ذلك أن سوطه قد وجد فى حجرة دفن الفرعون « توت عنخ آمون » . أما فى عهد « توت عنخ آمون » نفسه فقد تولى هـذا المنصب الرفيع « حـور محب » ، وكان مركز قيادته مدينة « منف » . ولقد كان لتعيين أفراد من غير الأسرة المالكة فى هذه الوظيفة الحربية

وهى التى كانت حتى الآن لا يشغلها إلا ولى العهد أو أمير - أول مبرر لاتخاذ الخطوة الأولى لقيام الأسرة التاسعة عشرة واختفاء الأسرة الثامنة عشرة . [1]

وظائف المسنين

كانت السنة المرعية حتى عهد « اخناتون » أن يحال كل موظف حربى إلى التقاعد بما فى ذلك القائد الأعلى للجيش، إذا كان من غير البيت المالك غير أن الفرعون لم يترك أصحاب الكفايات منهم يتقاعدون نهائيا ، فقد كان يوجد للكفء منهم عملا مفيدا فى وظيفة ما من الوظائف التى تليق برجل عظيم حنكته التجارب ، وضحى بثمرة حياته فى خدمة بلاده ، والذود عن حياضها ، فكان القائد مثلا يعين بعد تقاعده عن العمل فى الجيش ، فى وظيفة « مدير أملاك » وغالبا ما كان يعين مدير أملاك الفرعون نفسه ، أو مدير أملاك احدى نساء البيت المالك ، وبذلك يصبح وفى يده وظيفة تشعر بالثقة فى شاغلها ، وأحيانا كان يعين الواحد منهم مدير الأملاك المعبد ويساوى هذا معبد الاله أو معبد الفرعون نفسه ، وهذا المركز كان يستمد سلطانه من الحكومة التى تضمن من جانبها للموظف المتقاعد معيشته المادية ، فتجعل له دخلا يضمه إلى معاشه ، وبهذه الطريقة كانت الحكومة تضم دخل المعابد ، فتستولى على بعض رأس المال الذى كان محجوبا عنها اغتصابا ، ففى عهد « اخناتون » كان مدير أملاك « بيت آتون » كما كان فى الوقت نفسه « مدير أملاك معبد رع » فى عين شمس .

وكان « أمنحتب بن حبو » فى آخر مجال حياته مدير أملاك أكبر بنات « أمنحتب الثالث » « سات آمون » وهى التى قد تزوجت من والدها كما تقص علينا النقوش ، وبذلك بقى « أمنحتب بن حبو » مدير أملاكها بعد زواجها وكان يدير أملاك الملكة « تى » زوج « أمنحتب الثالث » كاتب حربى يدعى « نخت مين » أما فى إدارة أملاك المعابد فكان يتولى شئونها القائد « ساست » بوصفه مديرا لمعبد الاله « أوزير » فى عهد « أمنحتب الثالث » بالعرابة . وكذلك كان يتولى نفس

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٥ ، ص ٥٠٣

الوظيفة فى المعابد الجنازية لكل من الفرعون « أحمس » و « تحتمس الثالث » ثم « تحتمس الرابع » وكان « رع — سو » قائد الفرعون « اخناتون » مديرا لمعبد « أمنحتب الثالث » الجنازى . وكذلك كان « أمنمأنت » قائد الفرعون (حور محب) مديرا لمعبد « تحتمس الثالث » وقد ثبت أنه حتى كاتب الجنود « سبك نحب » كان يشغل وظيفة « مدير أملاك معبد آمون » ولكن هذا العمل كان فريدا فى بابه فى خلال الأسرة الثامنة عشرة ؛ فقد كانت العادة أن يعين الموظف الحربى القديم بعد انتهاء مدة خدمته فى الجيش العامل فى وظيفة إدارية ، وقد بقى هذا النظام متبعا إلى عهد الرعامسة ، إذ ذكر لنا فى ورقة « هاريس »(1) أن أملاك المعبد كانت تحت إدارة رجال من قواد الجيش الذين أحيلوا على المعاش ومن الغريب المدهش أن الوظائف التى يتولى إدارتها المتقاعدون من الموظفين الحربيين لم تكن ذات أهمية كبيرة . وتدل الظواهر على أن المصالح الحكومية والإدارات التى كان فيها للتعليم أو التخصص وشرف المحتد شأن ، كان يقصى عنها المتقاعد ، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا « حور محب » كاتب المجندين فى عهد « تحتمس الرابع » فقد كان على اتصال وثيق بالبيت المالك ، إذ عينه سيده « تحتمس الرابع » مربيا لإحدى بناته ورقاه فى الوقت نفسه على ما يظهر إلى رتبة « قائد فرسان » إذ كان يجد فيه خادما مخلصا ، فهو الذى قاد جيوش الفرعون لمحاربة كهنة « آمون » لأول مرة . وقد وصفت هذه الحروب على إحدى اللوحات التى أقامها « أخناتون » على تخوم بلدة « اخناتون » عاصمته الجديدة ، غير أن هذا النقش قد وصل إلينا مهشما ، ولم يبق منه إلا بعض كلمات تمكننا أن نلتمس منها ما كان يقصده هذا الفرعون .

---

(1) قرطاس يضم حجة بأوقاف المعابد من عهد رمسيس الثالث نسخت فى عهد ولده رمسيس الرابع ، وتعد هذه الحجة من وثائق التاريخ الاقتصادى الهامة ، ولقد عثر عليها قرب مدينة هابو ، وسمى القرطاس باسم مشتريه البريطانى هاريس ، ثم آل إلى المتحف البريطانى .

على أننا لا نعلم بالضبط من النقوش مقدار نفوذ هذه الوظيفة لأنه لم يصل إلينا نص صريح فى ذلك ، ومع ذلك يمكن القول بأن صاحبها كان يسيطر على وظائف الكهانة فى طول البلاد وعرضها ، وعلى مرافق الكهانة الحيوية والاقتصادية فى كل مقاطعات القطرين ، وكانت هذه الوظيفة حتى عهد « تحتمس الرابع » فى يد رئيس كهنة « آمون » فى « طيبة » ولكن لما أعلن هذا الفرعون الحرب على الكاهن الأعظم وانتصر عليه إستولى على هذه الوظيفة وقلدها « حور محب » كاتب المجندين ، ومربى الأميرة ابنة الفرعون لما كان يعهده فيه من الإخلاص والولاء . ومن ذلك يتضح أن الفرعون قد عاد ثانية واتخذ من موظفى الجيش رجلا من المخلصين له يقوم بأعباء هذه الوظيفة الخطيرة ، على أن يتولى « حور محب » منصب رئيس كهنة القطرين لم ينه الحرب بين البلاط والكهنه إذ أعادها ثانية « أمنحتب الثالث » للكاهن الأعظم للاله « آمون » « بتاح سو » ، ولكنه لم يلبث أن نزعها مضطرا من كهنة آمون « ثانية كما لمح بذلك « اخناتون » فى لوحة الحدود السالفة الذكر ، وقلدها هذه المرة الكاهن الأعظم للاله « بتاح » بمنف ، وهو « تحوتى سو » ابن « بتاح سو » السابق الذكر ، وكان يرمى من وراء ذلك أن يبعد هذه الوظيفة عن كهنة « آمون » بطيبة مقر حكمه ، وبذلك يستريح باله من مناوآتهم ومشاركتهم إياه السلطة . وسنرى فيما بعد أن هذا الفرعون أقصى كذلك « مدير البيت المظيم » للأملاك الفرعونية عن مقر ملكه ، وجعل مركزه « منف » عندما شعر بازدياد سلطانه ونفوذه فى العاصمة .

وخلاصة ما سبق ذكره عن مجال حياة الموظف الحربى ، وما كان يقوم به من الأعمال بعد التقاعد ، وأنه كان لا يعد فى سلك كبار الموظفين ، وإن كان صاحب سلطان مدة خدمته العسكرية ، ولا يمكن التقليل من شأنه ، غير أنه عندما كان يترك العمل فى الجيش ، لم يكن يقلد وظيفة ذات نفوذ ، وذلك لأنه لم يكن من فئة الموظفين الذين كانت تسند إليهم وظائف ذات نفوذ فى البلاط الفرعونى أو الذين كانت لهم قوة عظيمة خارج حدود وظيفتهم فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة ، مما يمهد لهم الطريق للإستئثار بالسلطة لأنفسهم ، لذلك كان يلزم للوصول لجمع السلطة ، والقبض على زمام الأمور فى البلاد صنف آخر من رجال الجيش ، وهؤلاء هم رجال الجيش العامل .

جنـــدى الميــــدان

كان الجندى يقترع من بين طائفتين مختلفتين من الشعب . فطائفة منهم كانوا يجندون من بين أولاد الجنود القدامى ، وهؤلاء كان لزاما عليهم أن يحلوا محل آبائهم ، وكانوا أحيانا يحتلون مراكزهم ، وطائفة أخرى كانوا يجندون من بين الشبان الذين قضوا فترة طفولتهم فى البلاط الفرعونى ، يتلقون العلم ويدربون مع أمراء البيت المالك أنفسهم ، فكانوا بذلك يؤلفون فرقة مختارة من الغلمان المثقفين ، ومن ثم نشأت العلاقات الشخصية بين الفرعون وضباط الميدان ، وهذه العلاقات كان لا ينقطع سببها فى الميدان مادام الفرعون يقود جيشه فى ساحة الوغى . وهــذه الوسيلة كانت سببا هاما لا يستهان به فى ترقية هؤلاء الضباط ، لأن الفرعون كان قد تربى معهم فى صغره ، كما كان يقودهم فى رجولته .

وكان آباء هؤلاء الأطفال الذين ينشئون فى صغرهم فى بلاط الفرعون يحملون لقب « غلام بيت التعليم الفرعونى » أى الأطفال الذين تعلموا مع الأمراء فى قصر خاص فى أثناء طفولتهم . وكان هؤلاء التلاميذ يحملون هذا اللقب بكل فخار وكبرياء مدة رجولتهم ويدعون به كما كانوا يحملونه وهم لايزالون غلمانا فكان « سن من » أخو « سنموت » أكبر رجل فى الدولة فى عهد الملكة « حتشبسوت » يلقب بهذا اللقب على أن موجة تحقير كل فرد غير موظف جعلنا نفهم بداهة أن السواد الأعظم من هؤلاء الأطفال كانوا ينتسبون الى طبقة صغار الموظفين والكهنة والمستخدمين اذ نجد والد أحدهم كان كاتب ثيران وآخر كان والده حارس باب الادارة ، وهناك ثالث كان والده رساما الخ .. ولكن لما كان معظم أولاد الأمراء الذين كانوا فى المرتبة الثانية بين الأمراء يصبحون ضباطا عاملين فى الجيش كان الجم الغفير من هــؤلاء الغلمان الدربين أولاد الطبقة الدنيا ينخرطون معهم فى هذا السلك الحربى ، هذا الى أنهم كانوا يشغلون معهم مراكز صغيرة تتناسب مع طبقتهم فى البلاط الفرعونى

يضاف الى ذلك أنه قد ظهر بين هؤلاء الغلمان عدد ضئيل جدا ممن كانوا يشغلون وظائف حكومية ، هذا الى أنه كان يوجد بينهم بعض الأجانب . ويحتمل جدا أنهم أرسلو رهائن الى مصر ، وقد شغل بعضهم فيما بعد وظيفة مرب فى البلاط الفرعونى فكان الواحد منهم يحمل مع وظيفته الممتازة لقب مرب لأميرة أو أمير فى القصر ، وقد كان عدد هؤلاء المربين عظيما جدا فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

أما عن كيفية تعليم هؤلاء الصبية فلم نجد فى الرسوم التى عثر عليها حتى الآن إلا صورا تمثل تدريبهم على الرماية بالقوس والنشاب . وعلى أية حال فان أحسن ما كان يتفاخر به الملوك فى هذا العصر هو التدريب الرياضى كما جاء فى لوحة «أمنحتب الثانى» وكان هؤلاء الغلمان يشاطرون الملوك هذا التدريب .

الضابط

وأما حياة الضابط العامل فى الميدان فكانت عادية ، اذ كان يبدأ مجاله فى الجيش جنديا بسيطا فى أحد الفرق المعسكرة فى حامية من الحاميات ، أو فى سفينة من السفن ، وكان يعرف بجندى تابع لفرقة كذا بحامية كذا ، أو جندى تابع لبحارة كذا فى سفينة كذا ثم يلقب حامل العلم فى فرقة كذا أو حامل العلم فى سفينة بحارة كذا ، ولا ندرى إذا كانت هناك درجات للجنود — كما نعرف اليوم . الأمباشى والجاويش . . وغيرها .

أما الخطوة الثانية فى مجال رقى الضابط العامل بعد رتبة حامل العلم فهى ترقيته الى رتبة « فارس» وقد وضحت هذه النقطة عند ذكر الوظائف التى جاءت مرتبة على حسب تدرجها فى مرسوم « نورى » الذى صدر فى عهد « سيتى الأول » وكذلك جاء هذا الترتيب على مقار ، غير أننا نلاحظ فى مرسوم « نورى » وجود رتبة أخرى قبل رتبة فارس ، وعلى ذلك يكون مجال رقى الجندى كما يأتى . أولا حامل العلم ،ثم رئيس اسطبل، ثم رتبة فارس . [1]

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٥ ص ٥١٠ — ٥١٤ .

وكان الفارس يظهر بوصفه قائد جنود فى الحاميات التى على حدود الدولة اوفى القاطعات على أننا لانعرف بصفة قاطعة الى أى مدى كانت سيطرة هذا القائد على الجنود والأسرى. كما أننا لانعرف على وجه التحقيق عدد الفرق التى كانت بقيادته هذا الى أننا لانعرف اذا كان الجنود الذين كانوا بقيادته يشملون جنودا مرتزقة من غير المصريين .

أما فى بلاد النوبة فكان يعمل هذا الفارس بإمرة نائب الملك فى « كوش » وكان يحمل هناك اللقب الثانوى « مدير البلاد الأجنبية الجنوبية » وكان فى الوقت نفسه يحمل لقب « قائد معقل فى النوبة » .

أما فى « سورية » فكان القائد يحمل لقب « قائد » ومدير البلاد الأجنبية الشمالية أى قائد الجنود الذين كانوا يعسكرون فى المدن والحاميات فى بلاد « سورية » والواقع أن « سورية » لم تكن منظمة تنظيما دقيقا كما كانت الحال فى بلاد النوبة ولم يكن يحكمها نائب ملك يسيطر على عامة أمورها ومن أجل ذلك كان من أول واجبات هؤلاء الضباط أو القواد أن يراقبوا الأمراء الوطنيين الذين كان فى يدهم حكم البلاط ، لهذا كان الفارس « آمنمسو » يطلق عليه لقب « اذنى الملك » فى عهد الفرعونين « تحتمس الثالث » وابنه « أمنحتب الثانى » وهذا اللقب يعيد إلى الذاكرة بوجه خاص لقب « رابيصو » ، وهذا اللقب بعينه كان يعطيه قائد المدينة (معناه المتربص أو المتسمع) وهذا الربيصو كان يقابله فى المصرية وقتئذ لقب « فارس » إذ نجد أن القائد « معى » كان يلقب « رابيصو » فى خطابات « تل العمارنة » وكان هو نفسه يلقب فى عهد « أمنحتب الثالث بالمصرية « الفارس مبعوث الفرعون فى الأراضى الأجنبية» مما يدل دلالة واضحة على أن اللقبين كانا يحملان معنى واحدا . ولكننا لانعلم بصفة مؤكدة من كان تحت أمرته ، ومن الجائز أن هذه البلاد الشمالية كانت بامرة قائد ويستند هذا الاستنباط إلى أن القائد «تحوتى» الذى عاصر الملك « تحتمس الثالث » كان قائدا فى هذه الجهات ، وفى آن واحد كان مديرا للأراضى الأجنبية الشمالية ، وبهذا يكون قد ظهر بوصفه قائدا له الكلمة العليا فى هذه الممتلكات . هذا ، وقد وجدنا فى خطابات « تل العمارنة » أن قائدا

قد كتب لأحد الأمراء السوريين بلهجة الآمر مما يشعر بأن القائد كان هناك هو صاحب القول الفصل . ولكن المدهش فى الأمر أن هذا القائد لم يذكر هنا . ولم تذكر لنا خطابات « تل العمارنة » موظفا كان يسيطر على بلاد « سوريه » سيطرة حقيقية إلا « نياخو » ، وكان يلقب « حامل المظلة على يمين الفرعون » . وهو من ألقاب الشرف العالية فى البلاط الفرعونى ، على أننا لا يمكننا بأية حال من الأحوال التحقق من هذه الوظيفة التى كان يقوم بها ولا عن مقر وظيفته « يريموتا » ولا شخصيته هو ، وكذلك جاء ذكر « أمنوبى » الذى كان يسيطر على مايظهر تمام السيطرة على ممتلكات مصر فى «سورية» وقد جاء ذكره فى خطابات «تل العمارنة» فى خطاب أمير « تاعنك » باسم « أمان حتبي » والظاهر أن مقر إدارة الحكومة المصرية لهذه البلاد كان فى غزة فى الجنوب ، وعلى أية حال فإن كل الشواهد تدل على أن كان صاحب السيطرة فى الممتلكات الأميرية فى « مجدو » كما كان له نفس السلطة فى الجنوب فى « غزة » . ومما يؤسف له أنه لم يصلنا أى لقب من الألقاب التى كان يحملها . ويجب أن نشير هنا أيضا إلى جنود الحاميات التى كانت خارج الحدود المصرية . فقد كانوا على حسب ماجاء فى ورقة « ساليه » [1] يسيرون على نظام الجنود فى البلاد نفسها ، يتألفون من جنود وضباط أعلام ومديرين ، ونذكر من وثائق الأسرة العشرين أن هؤلاء الجنود كان يشرف عليهم «فارس» . أما فى عهد أخناتون فكان هؤلاء الجنود يتألفون بصفه قاطعة من جنود أجانب فى كل المستعمرات المصرية كلها والظاهر أن المدير المسيطر عليهم كان يحمل رتبة أكبر من رتبة « فارس » ولم يصلنا حتى الآن من أسماء المديرين الذين كانوا يشرفون على الجنود الأجانب فى الأسرة الثامنة عشرة إلا اسم القائد « تحوتى » ، ويحمل لقب القائد ومدير الأراضى الأجنبية فى عهد « تحتمس الثالث » .

ويمكننا أن نستخلص أن النظام الذى كان قائما فى الأقاليم الغربية « لوبيا » التى كانت تحت سيطرة مصر يشبه تمام الشبه النظام الذى كان قائما فى سورية على الأقل

---

(١) سليم حسن : المرجع السابق ذكره ، ج ٥ ، ص ٥١٥ — ٥١٦

فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، فقد كان القائد الذى على رأس القوات هو الفارس ومدير البلاد الأجنبية فى « لوبيا » .

تقدير أبطال المعارك :

كان من بين الجنود العاملين نفر يسترعون النظر بما يأتونه من ضروب الشجاعة والمهارة فى فنون القتال مما كان يستهوى نظر الفرعون ويثير إعجابه ، فيكافئهم على حسن عملهم وإقدامهم بما كان يعبر عنه عند المصريين بعبارة « ذهب الشجاعة » أو « ذهب الثناء » . فكان الفرعون يهب شجعان جيشه مشابك ذهب ، وفئوس ، وخناجر وأساور ونياشين فى صور ذباب وأسود ، وصدريات الخ . وهذه كانت أشكال هدايا الشرف المادى ، أما الشرف الأدبى فكانت الألقاب التى يمنحها الفرعون من فاق من رجاله برجحان عقله وحسن تدبيره للأمور وأهمها لقب « شجاع الفرعون » .غير أن ألقاب الشرف الأدبية لم تكن قاصرة على الجندى العامل ، بل كان يمنحها كذلك للموظفين الذين يصحبون الفرعون فى غزواته ، ويقومون بأعمال مجيدة تدل على الشجاعة ، أو كان ينالها موظف وهو يؤدى خدمته بهمة فى أثناء معاملاته التجارية برؤوس أموال أخذت من الأعداء فكان بعض الضباط يمنحون لقب « صاحب الغنائم » وقد حمل هذا اللقب الفارس « آمون محب » الذى أصبح فيما بعد نائب الجيش فى « كوش »، وكذلك كان يتقلده حامل العلم « سور منوت » فى عهد « امنحتب الثانى » . ومن هذه الألقاب كذلك لقب « محارب الحاكم » (أى الفرعون) وكان يحمله الضابط « أحمس » فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة وكان يمنح الجندى الشجاع لقب « المحارب القديم » .

آلهة الحـــرب

كان لقدامى المصريين آلهة حرب ، كما كان لكثير من الشعوب القــديمة ، كالإغريق والرومان ، وقد ورد ذكر آلهة الحرب المصرية فى كثير من النصوص ورسمت على جدران المعابد ، وغيرها من الآثار . وكان فى طليعة تلك الآلهة :

الالهة منتــو :

هو الاله الشديد ذو القوتين ، وقد وجد فى وقت ما مع الاله « رع » ، فأصبح يدعى « منتورع » ، وكان يعبده الناس فى جهات عديدة كطيبة ومدامود ... الخ ، ولاسيا فى عصر الأسرة السادسة . ويظهر الاله « منتو » على هيئة رجــل برأس باشق عليه تاج يتكون من قرص الشمس مع ريشتين ، وهناك صور أخرى يظهر فيها هذا الاله برأس باشق ، وقد أمسك فى يده اليمنى سلاحا حربيا ، كما أن هناك صورة أخرى رسم فيها « منتو » وهو يحمل حربة طويلة صنع حدها من البرونز يطعن بها أحد الأعداء المقيدين . وعندما عبد هذا الاله فى مدينــة « زرت »[1] تغير شكله ، وان لم تتغير طبيعتــه فقد ظل إلها للحرب ، ولكنه رسم فى صورة رجل يعلو جسمه رأس ثور ، وقد أمسك فى يديه عددا من الأسلحــة كالقوس والسهام والمراوات والمدى وغيرهــا من أدوات القتال[2] وقد ذكر هذا الاله فى وصف طويل لمعركة قادش ورد فيه أن « الملك رمسيس الثانى أشرق كما يشرق الاله رع (الشمس) وأخذ أسلحة الأب « منتو » سيد طيبة ، وقد استل أسلحة فى يده واعتلى مركبته الحربية ووجهها إلى قلب المعــركة ففر الأعداء وكتب له النصر عليهم »

---

(١) الطود الحالية وتقع على مسافة ٢٠ كيلو مترا جنوبى الأقصر .

(٢) محرم كمال : آلهة الحرب عند قدماء المصريين . مجلة الهلال ، مارس ١٩٤٠ .

وقد أقيم معبد هذا الاله الرئيسي منذ عهد الدولة الوسطى في مدينة مدامود[1] ومن المحتمل جدا ، أن هذا المعبد بدأ تشييده للملك « سنوسرت الثانى » من ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وقد صورت على جدرانه عدة رسوم للاله « منتو » بشكل الباشق وشكل الثور أيضاً .

وقدكانت تختص مدينة مدامود بعناية ملوك مصر المحار بين الذين اشتهروا بالفتح ومن هؤلاء « تحوتمس الثالث » الذى أعاد بناء المعبد ووسعه من بعده « أمنحوتب الثانى » الأسرة الثامنة عشر » وتحوتمس الرابع ، وسيتى الأول ، ورمسيس الثانى الذى أقام فيه معبدا جديدا ، و بطليموس الثالث والخامس و بعض ولاة الرومان .

وكانت تقام الأعيادسنويا لهذا الاله برئاسة الفرعون فى المعبد وفى القصر . وقد استمرت تلك الحفلات تقام كتقليد متبع فى العصور التالية فكان القوم يخرجون بعد الحفلة الدينية فى المعبد ، فى جماعات وقد ارتدوا ملابس العيد فيهللون ويشربون ويمزحون حتى ساعة متأخرة من الليل .

الالهة سخمت :

والالهة سخمت التى تمثل أصلا حرارة الشمس المحرقة أراد البعض أن يعطيها صفة الحرب على اعتبار أنها الهة البطش والتدمير ، ولها فى الآداب القديمة أساطير طويلة .

الاله ريشيف :

والمعروف أنه أدخلت آلهة أجنبية إلى مصر نتيجة لغزواتها فى البلدان المجاورة ومن بين هذه الآلهة — المعبود المعروف باسم « ريشيف » ويرجع أصله إلى كنعان وقد كانت لهذا الاله عدة صفات كما أنه وصف بمميزات الاله « أبولو » الأغريقى ، وقد وجدت للاله ريشيف فى مصر عدة نقوش من أهمها : لوحة صغيرة صور عليها

---

(١) مدينة تقع بالقرب من الكرنك .

الاله فى شكل رجل متقدم بقدمه الأيمن فى يده اليمنى خنجر وفى اليسرى ترس وعلى رأسه مايشبه تاج الوجه القبلى وأمامه مذبح صغير، ويرجح أن هذه اللوحة كانت قديما فى معبد دير المدينة بالنوبة .

ولريشيف بقايا لوحة فى متحف برلين (رقم ١٤٤٦٢) ، وقد ظهرت عليها رأس الاله عليها لباس الرأس الذى يشبه تاج الصعيد وفى يده اليمنى الدبوس وقد كتب فى أعلا اللوحة الاله العظيم ريشيف الذى يقبل الدعوات .

وبالمتحف المصرى لوحة تحمل رقم ٧٠٢٢٢ يظهر فيها ريشيف حاملا الدبوس فى يده اليمنى وعلى رأسه نفس غطاء الرأس المذكور سابقا . وعلى جبهته نجد رأس غزال وهى احدى مميزاته ، وفى يده اليسرى نجد ترسا مستطيلا ينعطف مقدمه نحو وجه الاله ، وقد كتب على اللوحة عبارة «ريشيف الاله الأعظم » أما الدبوس الذى فى يد ريشيف فهو فى الغالب غريب عن مصر ويرجع ظهوره بها إلى أيام الدولتين الحديثة والوسطى [1]

---

(1) Leibovich J : Quelques nouvue les representations du Dieu Rechef
فى حوليات مصلحة الآثار المصرية ، الجزء ٣٩ ص ١٤٥ — ١٦٠ .

الحصون فى مصر القديمة

الدولة القديمة :

شيد المصريون القدامى الحصون فى أهم الأماكن التى كانت معرضة للغزو ، حيث كان يتيسر لهم صد العدو . وكانوا يختارون المواقع التى قد يستطيع الأعداء أن ينفذوا منها للبلاد ، وبخاصة عند أفواه الوديان المشرفة على الصحراء والتى يمكن البدو أو غيرهم أن ينقضوا منها على البلاد للنهب ، وكانت تعرف هذه الأماكن « بأبواب المملكة » ومن الحصون التى شيدت فى أوائل حكم الأسرات (١) حصن العرابة المدفونة ، وموقعه هو كوم السلطان الحالى ، وعرفت باسم حصن أبيدوس ، والمعروف عنه أنه شيد فى أثناء الدولة القديمة قبل أيام الأسرة الخامسة لان بعض نبلائها استخدموها مقبرة لموتاهم ، فجردوه من خصائصه العسكرية ، وكانت النتيجة أن شيد حصن عسكرى آخر على بعد عدة مئات من الأمتار فى الجنوب الشرقى منه ...

كان الملك زوسر (الأسرة الثالثة) ، أول من نظم وسائل الدفاع عن مصر ، فقسم حدود البلاد الى مناطق أطلق عليها أسم أبواب المملكة . وجعل فى كل منها حامية ، وعين بكل من هذه المناطق حاكما خاصا يلقب « بمرشد الأرض » . وكانت لهؤلاء الحكام الكلمة العليا على حكام المقاطعات وكانت فى يدهم ادارة الشرطة ، كل فى مقاطعته ، ولذلك كانوا مسئولين عن النظام والأمن فى هذه المناطق ، وكانت تلك المناطق تخضع مباشرة لهذا الموظف . وقد شيدت لتلك الحاميات العسكرية حصون منيعة لحامية المناطق والدفاع عنها . وكان فى كل حصن حامية من الجند تقوم بأعمال الخدمة وتخزين المؤن التى تكفى الجند مدة طويلة ،

---

(1) Maspero : Dawn of Civilisation, p. 450.

وقد وصلت لنا أسماء بعض هذه الحصون منذ الأسرة الثانية — فقد عثر فعلا على نقش عليه اسم حصن « سخرحتب » ، وكذلك عثر على اسم حصن آخر من الأسرة الثالثة نقش على خاتم لكاتب هذا الحصن .

كانت كل هذه الحصون « أبواب المملكة » مقامة على طراز واحد ، ولاتختلف بعضها عن بعض اختلافا كبيرا فى مقدار مساحة كل حصن وسمك جدرانه الخارجية . وكان تخطيط الحصن يشبه سطحا متوازى الأضلاع ، وكان سوره الخارجى فى أغلب الأحيان مشتملا على دعامات عمودية من المبانى تربطها مداميك البناء باللبن .

وقد عرف عن الملك زوسر أيضا ، أنه شيد سورا من أسوان الى الفيلة ، قدر طوله بحوالى ١٢ كيلومترا ليضمن السيطرة على منفذ هام فى الحدود الجنوبية ، ويعتقد بعض علماء الآثار أن السور العظيم الذى بناه أمنمحمت الأول على حدود الصحراء شرق الدلتا ، لم يكن الا تجديدا لسور أقيم فى أيام الدولة القديمة .

وعرف عن الملك سنفرو (الأسرة الثالثة) ، أنه بعد عودته من إحدى حملاته ضد النوبيين ، شيد بعض الحصون فى الوجهين القبلى والبحرى ، وأطلق على كل منها اسم « حصن سنفرو » ، وكما أنه شيد عدة حصون فى شرقى الدلتا بين البحيرات المرة ووادى طميلات . وقد أدرك فراعنة الدولة الوسطى ، الفوائد العسكرية لتلك المنطقة ، فشيدوا هناك « سور الملك لصد اعتداءات الأسيويين » .

وينسب بعض رجال الآثار حصن الكاب الى فراعنة العصر الذين ينسبون الى ما بين الأسرة السادسة والعاشرة . وقد كان هذا الحصن ، كما وصفه لبسيوس أحد رواد الآثار المصرية ، يتألف من فنائين مربعين محاطين بالأسوار ، أحدهما داخل الآخر ، ويصل بينهما طريق سفلى على شكل قوس دائرة ، ولايقع الفناءان على محور واحد ، بل يتجه الفناء الداخلى اتجاها شديدا نحو الجنوب . وكان السور الخارجى منيعا ، يبلغ ارتفاعه تسعة أمتار ، وعرضه ١١ مترا ونصف متر ، وله ممر متسع وتمتد أطوال أجنابه مسافة ٥٦٠ مترا ويبلغ امتداد أقصرها ٤٨٠ مترا .

ويعتقد أنه كان للحصن أربعة أبواب او فتحات ، وليس هناك آثار تدل على وجود سلالم حجرية ، ولكن يظن انه كانت هناك بعض الدرج التى تؤدى الى الطنف العلوى .

ويبين الأسلوب المعمارى فى حصن الكاب طريقة خاصة فى فن البناء ، نجد لها مثلا آخر فى كوم السلطان فى أحد حصون أبيدوس ، وذلك أن الجدار كان يقسم الى عدة أقسام روعى فى الأسطح العليا لأحجارها أن تكون مقعرة تقعرا شديدا ونستطيع القول عن طريقة الدفاع عن الكاب وأبيدوس أن الأمراء المصريين لم يكتفوا بالأسوار المنيعة فحسب ، بل عمدوا الى بناء بعض المنشئات العسكرية بالإضافة الى تلك الأسوار ، كاشيدوا الحصون فى بعض الأماكن المناسبة لإقامتها ، من ذلك أنه أقيم حصن صغير يقع على بعد سبعة أمتار من الكاب وفى الجهة القابلة من النيل ، ويحتمل أنه شيد لرجال الاستطلاع حينما يلجأون الى الراحة بعدالعمل .

وشيد فى أبيدوس حصن مماثل ، وكان قريبا جدا من أسوار المدينة ، حتى ان بقاياه مازالت مختلطة ببقايا المدينة نفسها . وظاهر أن هذا الحصن كان يعتبر عاملا أساسيا لاغناء عنه فى الدفاع عن المدينة ، وقد استعمل ثكنة للجند وحصنا يشرف على المدينة ، وفى الوقت نفسه يقوم كخط دفاعى أول أمام العدو اذا أراد الهجوم .

وقد بقى هذا الأسلوب خير النظم الدفاعية مدة طويلة من الزمن ، فلما اتسعت المدينة فى الاتجاه الجنوبى الغربى،واتخذت القلعة القديمة مكانا لدفن الموتى ، شيدت أخرى فى ضواحيها على مسافة لاتبعد كثيرا عن دور الأهالى .

الحصون فى الجنوب

يعترض مجرى نهر النيل ستة شلالات أو جنادل . يقع سادسها على بعد حوالى ٧٦ كيلو مترا شمال الخرطوم. وخامسها يقع جنوب مدينة بربر على مسافة ٤٥ كيلو مترا والرابع يسمى كربكان يقع بين أبو حمد ومروى ، وهو يمتد مسافة ٢٢٠ كم ، والملاحة فيه عسيرة للغاية . والشلال الثالث ، ويدعى حنك يقع على مسافة ٦٦ كيلو مترا شمال دنقلة . أما الشلال الثانى ويعرف بالشلال الأعظم فيقع شمال وادى حلفا ويمتد ١٩٠ كيلومترا ، والملاحة فيه عسيرة أيضا . أما الشلال الأول ، فيقع عند مدينة أسوان شمالها وجنوبها .

كان الشلال الثانى أهم الموانع الطبيعية التى اعترضت الغزاة القادمين من الجنوب ويسمى بطن الحجر ، وتحف به بقاع قاحلة جرداء . وقد جعلت منه المنحدرات السريعة عراقيل فاصلة وقفت فى أوجه المغيرين الذين حاولوا غزو مصر القديمة من الجنوب . ذلك لأن طبيعة الأرض القفراء ، وصعوبة المسالك النهرية ، وتفاوت مستواها المائى ، أضف اليها وعورة الطرق الموازية ، وخلوها من الزاد.. كل هذا لايشجع الجيش المغامر على غزو مصر .

فلما عززت مصر قوتها ، اتجهت إلى التوسع والتملك وكان الجنوب مطمح ملوكها فقد رأوا أن السودان هو الميدان الطبيعى للتوسع ، وكانوا فى حاجة إلى الذهب والرقيق .

وكان الشلال الثانى (شمالى وادى حلفا) حدا ذا فائدتين ، إذ تصلح منطقته قاعدة للدفاع ضد غزوات الجنوب ، ونقطة تستخدم قاعدة تبدأ منها الغارات والمعارك تساعد المغيرين إلى الشمال أو إلى الجنوب ، فضلا عن أنها مركز تجارى هام

وقد اهتدينا إلى معرفة المراحل المتتالية لغزو النوبة فى أثناء حكم الأسرة الثانية عشرة ، فقد غزا أمنمحت الأول بلاد الماشين ويواين وهيريوشا ، ثم مد حدود البلاد قريبا من كورسكو .. وجاء أسورتسن الأول ، فتابع تقدمه إلى بوهين أو وادى حلفا ، أى أنه مد حدود مصر إلى الجنوب بمائة ميل أكثر من سلفه . وكان على مايحتمل أول ملوك مصر الذين شيدوا قلعة ثم أسسوا مدينة جنوبى كورسكو .

ولما تولى أسورتسن الثالث الملك شق لأسطوله طريقا بين صخور الشلال الأول وظل يدعم نفوذه إلى مابعد ذلك ، ثم شيد حصنين متقابلين فى آخر حدود دولته على شاطىء النيل ، أحدها فى سمنة والآخر فى قمة جنوب وادى حلفا . وكان أمنعها وأضخمها الحصن الغربى الذى عرف باسم «خع كاورع القوى» وهو اسم أسورتسن الثالث الملكى . وشيد فى داخله معبدا للاله «ددأون» النوبى ، ولاتزال آثار الحصنين باقية الى اليوم ، تشهد ببراعة القدامى فى فن البناء العسكرى وفى اجادة اختيار المواقع العسكرية .

ثم امتد بناء الحصون الى الجنوب لعدة أميال ، وسنذكر فيما يلى أهمها بين جزيرة إلفنتين بأسوان والشلال الثانى ، ومعظمها شيده ملوك الأسرتين المصريتين ١١ ، ١٢ :

كوشتمنا أو ايكور — سابا جورا — كوبان — كورسكو — عماده — ابريم أرمانا . وشيدت الحصون الآتية فى منطقة الشلال الثانى بين بوهين وسمنه :

بوهين — مايارتى — دورجينرتى — معتوقه — دبنارتى — ورنارتى ، وسمنة الشرق وسمنة الغرب .

وقدقام نفر كبير من علماء الآثار بكشف تلك الحصون ودرسها دراسة وافية ، نذكر منهم بورخاردت ولبسيوس وهوسكنز ودى فوجيه وسومرز كلارك ورايزنر وجاردنر وايرمان وجريفيث وإيمرى وغيرهم .

ولم يقف بناء الحصون المصرية عند الأسرة الثانية عشرة ، بعد استتباب الأمن وازدهار التجارة ، ولاسيما بين الشلال الأول والرابع تقريبا ، بل استمر بناؤها وقد عثر على ثبت بتلك الحصون التى شيدت فى تلك الأماكن يرجع تاريخ بنائها الى حوالى مائة عام قبل بداية الأسرة الثامنة عشرة ، عثر عليه فى الرمسيوم العالم كويبل عام ١٨٩٦ ضمن مجموعة أوراق البردى . وقد شيد هذه الحصون سنوسرت الثالث لتحصين بلاده . وقد ذكرت مرتبة حسب مواقعها الجغرافية من الجنوب الى الشمال (١) .

وفيما يلى أسماء تلك الحصون التى جاءت فى البردية :

١ — حصن دابرخاست (؟) وقد جاء اسمه فى مقال جيد للعلامة بورخاردت كيدنكالو (٢)

٢ — حصن « سخم خع كاورع » — مع خرو = سمنة (٣) .

٣ — حصن « إتنو بزوت » = قسة الحالية ومعناها صد الأقواس وتسمى كذلك سمنة الشرق .

٤ — حصن « خسف أونتبو » = ورنرتى ويطلق عليها جزيرة الملك .

٥ — حصن « وعف — خسوت » = « شلفك » (مرشد) . (شفلك)

٦ — حصن « در — وتيو » (؟) =: مرجيس .

٧ — حصن « أقن » = دنبارتى = دابى .

٨ — حصن « بهين » = وادى حلفا الحالية . (بوهين)

٩ — حصن « سرة الغرب » (؟) « وادى حلفا » (شرق) .

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة . ج ٣ ص ٤١٦ — ٤١٨ .

(2) Burchardt : Altagypté Festungen ander Zweiten Nilchnelle. Leipzig, 1923.

(٣) كانت سمنة فى عهد الدولة الوسطى آخر الحدود كما يعلم من لوحتى سنوسرت الثالث البطل الفاتح

١٠ — حصن خسف مزاى « سرة الغرب » (صد المازوى) .

١١ — حصن معام : عنيبة الحالية وتقع على الشاطىء الغربى ولا تزال بقاياها إلى الآن .

١٢ — حصن باكى = كوبان .

١٣ — حصن سنمت = بيجه الحالية .

١٤ حصن آبو = إلفنتين أو أسوان الحالية .

١٥ — حصن زد — كوبانية (؟) .

١٦ — حصن (اسم مفقود) .

١٧ — حصن — ختى = جبل السلسلة أو بلدتها .

ونحن إذا درسنا بقايا هذه الحصون والقلاع لوجدنا هناك نوعين مختلفين فى الطراز والأسلوب . النوع الأول هو تلك الحصون التى كانت تقام فى الوديان ، والنوع الثانى ما كان يشيد فى الجبال . نجد أولهما فى جبال النوبة السفلى حيث كان يقام الحصن على النهر ، ففى حصن فرس يلاحظ أن النهر قد غير مجراه ، فبعد الحصن قليلا عن النهر . أما الحصون الجبلية التى أقيمت فى جهة الشلال فقط ، فقد كان النيل هو العامل الفاصل فى إقامة الحصن وفى كيفية بنائه . وكان على الهاجم فى هذه الحال لأجل أن يستغل السهل ليصل إلى سفح جدار الحصن أن يتسلق عقبات ، كما كان عليه أن يصعد مرتفعات عمودية .. وإلا فإن الميزة الاستراتيجية للحصن تصبح على العكس لا قيمة لها .

ونجد أن معظم حصون « الشلال » قد أقيمت على صخور منحدرة . فليس فيها دائما نظام إقامة السور المزدوج . وفى حصن « مرجيس » يوجد على جانبه الواقع تجاه البر جداران متوازيان يبعد أحدهما عن الآخر ، وقد بنى كل منهما بناء محكما . ولا نعرف تماما إذا كان الجداران قد شيدا فى عهد واحد أو فى عصرين مختلفين .

وهنا نتساءل كيف يحصل على الماء فى الحصون القائمة فى الصحراء . الواقع أنه كان يوجد فى الحصن باب خاص يفتح على النهر مباشرة . وكان يوجد ممر سرى لا يراه الأعداء يبتدىء عند هذا الباب ويستمر مسافة ، وكان مغطى بأحجار مسطحة . ونجد مثل هذا النظام فى حصن « سمنة » وفى حصنى «ورنرتى» و « كوبان » والحصن الأخير يقع فى الوادى ، ولكنه مبنى فى الصخر . وعلى ذلك لم يكن فى المستطاع حفر آبار فيه .

وكان بكل حصن معبد . وقد وجد فعلا فى هذه الحصون مبان تشبه المعبد فى كثير من الأحوال . وقد اتضح أنها للعبادة وذلك بما وجد فيها من آثار تدل عليها .

وكان يوجد فى كل حصن بصفة مستديمة غير البيوت التى يسكنها الجنود والقواد ، مخزن غلال وبيت مال .. كما استدل على ذلك من بعض اللبنات المختومة التى عثر عليها فى « ورنرتى » .

كانت قلعة « كوبان » تقع على مقربة من معبد الدكة وإلى الجنوب منه ، وترجع إلى أيام الدولة الوسطى ، ولعلها كانت إحدى الحصون التى شيدها ملوك الأسرة الثانية عشرة لتأمين منطقة بلاد النوبة السفلى ، ولقد بقيت هذه القلعة بمثابة حلقة الاتصال بين الوادى ومنطقة مناجم الذهب [1] بوادى العلاقى وقد غمرتها مياه السد العالى .

قلعة سمنة :

إن الوثائق التى وصلتنا عن سمنة عديدة ، أهمها تخطيط الأستاذ لبسيوس الذى وضعه حوالى سنة ١٨٥٠ والذى يصور لنا فى لوحة واحدة جميع الأعمال التى أقيمت على جانبى النيل ، وهناك أيضا الكتاب الذى وضعه الأستاذ دى فوجيه سنة ١٨٥٥ وهو ملىء بالحقائق الهامة التى يوضحها تخطيط خاص لسمنة ورسم يبين تحصينات

---

(١) د . عبد المنعم أبو بكر : بلاد النوبه ، المكتبة الثقافية رقم ٥٨ ، ص ٥٩ — ٦٠

قة . ولدينا أخيراً تخطيط قديم للأستاذ كايو Cailliaud ويرجع إلى سنة ١٨٢٥ ويعتبر على جانب عظيم من الأهمية رغم أنه غير دقيق إذ يضم مساحة أوسع بكثير من التى يضمها تخطيط لبسيوس .

ولا يعدو تخطيط دى فوجيه أن يكون مجرد رسم عادى ، ولهذا يحسن الاعتماد على تخطيط لبسيوس لكل من سمنة وقة ، وأتمام مانحتاج إليه من المعلومات من دى فوجيه .

تعترض مجرى النيل مجموعة من الصخور ، وقد تناثرت فيه عدة جزر صغيرة ، ولهذا يقل اتساع المجرى حتى يصل إلى ٤٥٠ مترا ، ويلاحظ المرء أمام سلسلة الجزائر بعض الجنادل التى تعترض الملاحة ولا تسمح بها إلا فى قناتين ضيقتين على جانبى النيل لا يزيد اتساعهما معا على ربع اتساع المجرى جميعه .

سمنة شرق :

يقع حصن « سمنة » على الجانب الغربى للنهر بينما يقع « قـة » على الجانب الشرقى ، وقد شيد الأخير على بقعة شديدة الارتفاع ، والحصنان معا يكادان يغلقان مدخل النيل أمام القادمين من الجنوب .

وفى تخطيط كايو Cailliaud نلاحظ جنوب ذلك الحاجز الممتد من الجزائر خليجا واسعا وميناء طبيعيا يقول ماسبرو عنه أنه كان من المستطاع تجميع الأسطول المصرى فيه عند القيام بحملة ضد إثيوبيا . وكانت قوارب أهـل الجنوب وتجارتهم تنتظر أمام هذه الحصون لتحصل على الترخيص لمرورها إلى المياه المصرية .

يقوم حصن سمنة على منحدر يصل اليه المرء بسهولة من ثلاث جهات : هى الشمالية والجنوبية والغربية ، أما االجهة الشرقية فعمودية تتركب من صخور تتجه بانحدار شديد نحـو النهر بحيث تجعـل الوصول إلى الحصن عن طريقها غاية فى الصعوبة ، ويرتفع جانب الحصن الجنوبى بانحدار خفيف ، بينما نجـد الجانبين الآخرين يمتدان

أفقيا نحو التلال التى تفصلها مجموعة من الأخاديد العميقة تصل ما بين المنحدر المقام عليه الحصن وسلسلة الجبال الليبية ، وهناك أيضا أخدود عميق على شكل الحرف ٧ يحمى زاوية الحصن الشمالية الشرقية ، ويمكن أن نرى هذا الأخدود الكبير الذى يبلغ اتساعه حوالى مائه متر واضحا فى تخطيط لبسيوس .

ويتكون الحصن من بنائين رئيسيين متساويين حجما ومتعامدين أحدهما على الآخر وكلاهما مربع الشكل ، ويتصل بأحد الأبنية الرئيسية بناء فرعى يمتد من الشمال إلى الجنوب ، ويقع عند قمة المنحدر المقام عليه الحصن جميعه ، وتشرف نهاية هذا البناء من الناحية الشمالية على الأخدود الذى أشرنا اليه . بينما نجد البناء الفرعى الآخر الذى يتصل بالقسم الرئيسى الثانى من الحصن متجها نحو الغرب ومشرفا على الصحراء ، أما أهم جزء فى الحصن فإنه يتجه نحو الجنوب ، وفيما يلى بيان أبعاد الحصن :

طول بناء الواجهة المطلة على النيل	١٢٥ مترا
طول البناء المتعامد على الواجهة	١٣٠ مترا
متوسط اتساع البناء المشرف على النيل	٥٠ مترا
متوسط اتساع البناء المتعامد على الواجهة	٤٢ مترا

وقد يتساءل الإنسان عن السبب الذى دعا إلى تشييد الحصن على هذه الصورة فتصميمه الداخلى عبارة عن شريطين ضيقين من البناء (أحدهما عمودى على الآخر) بينما تتضخم كتلة بنائه تبعا لاتساع محيطه . ولعل الرغبة فى توفير المواد كانت سببا فى تقليل كمية العمل بالداخل أو لعلها كانت لتقليل كمية المواد اللازمة للوصول بالحصن إلى الارتفاع المطلوب .

ومنظر الحصن الجانبي كامل تماما وهو يتألف من منحدر مدعم من الخلف يليه أخدود ثم مرتفع مكسو بالأحجار . أما الاستحكامات المحيطة بالحصن فتتألف من جدران يتراوح ارتفاعها بين ١٥ و ٢٥ مترا ، بينما يتراوح سمكها عند القاعدة بين ٨ ، ٩ أمتار ويصل عند قمتها إلى أربعة أمتار ، وقد بنيت هذه الجدران من اللبن ..

ودعمت بعدد من الخشب وضعت رأسيا وعلى مسافات متقاربة ، وقد اختفت تلك الأعمدة تماما ، غير أنه من المستطاع رؤية أماكنها بسهولة حيث لاتزال توجد آثار الخشب المتحلل ، وقد ازدحم سطح الحصن بالفتحات التى كانت تثبت فيها تلك العمد .

ويتكون من التقاء السطح الخارجى للجدران مع الأرض زاوية قدرها ١٦٠° تقريبا ، وتلك ظاهرة نلحظها فى جميع أبنية قدماء المصريين ، ولعلها ترجع إلى أن مواد البناء المستعملة كانت ، ضعيفة فكان لابد من تقوية الحصن بجعل قاعدته سميكة ما أمكن ، إذ هى المعرضة قبل كل جزء فيه للهجوم . وقد أقيمت عند قمة الحصن عــدة دعامات سمك كل منها متران وذلك لتقوية الأجزاء الخارجية فى بناء الحصن الأعلى .

وأمام الجدار أخدود يبلغ اتساعه حوالى ٣٠ أو ٤٠ مترا ولايستطاع تحديد عمقه بالضبط ، أما المنحدر فكان يكسى بأحجار جافة ، تجعل الوصول إلى الحصن أشد صعوبة وزيادة على ذلك كانت نهاية الأخدود تغطى بالأحجار كما كان الحصن كله يحاط بأبنية حجرية تقوم كخط دفاعى أمامى لابد من تحطيمها أولا قبل أن يستطيع المهاجم الوصول إلى جدران الحصن نفسه .

وكانت تلك الأبنية الحجرية تكون فى الناحيتين الشمالية والغربية من الحصن حائطا خارجيا يرتفع مترين فوق منطقة البناء . أما فى الناحية الشرقية فعلى العكس من ذلك كانت تلك الأبنية تؤلف سطحا عمــوديا يضاف إلى المنحدر الصخرى ، ونلاحظ ذلك أيضا فى الناحية الجنوبية حيث أصبح الوصول إلى الحصن عن طريقها غاية فى الصعوبة . وسنترك الكلام عن آلات القتال التى وجدت واستعملت آنئذ ...

وهناك زاوية ضخمة من البناء الرئيسى ، ونحن لانعرف إذا كانت بشكلها هذا تتفق مـــع طرز العصر المعمارية ، على أنها كما يبدو كانت فريدة فى نوعها . ورغم مايذكره دى فوجيه De Vogue فإن الإنسان لايستطيع أن يجد مبررا لذلك الوضع الشاذ الذى كان يحول دون وقوع نظر الانسان الى الأسفل من الجدار إذا أطل من جزئه العلوى .

التحصينات الجانبيـة :

ولاريب أن المنظر الجانبي للحصن كان يتفق تماما مع المتاريس القليلة الارتفاع التى يجدها الإنسان دائما عند نهاية الجدران ، وقد اختفت الآن الأجزاء الجانبية بحيث تضارع متانتها البناء الأصلى وتعتبر فى الواقع جـزءا منه وقد كان ذلك أمرا أساسيا يراد به اظهار قيمة تلك التحصينات الجانبية التى لاغنى عنها فى الدفاع .

واذا فحصنا تخطيط العالم لبسيوس وجدنا أن دعامات الحصن غير متشابهة فان ارتفاعها يبلغ ١٥ مترا كما يصل السمك الى أربعة أمتار فى بعض الأحيان وخاصة فى القسمين المجاورين للحائط الجنوبى الرئيسى ، أما معظم الدعامات الباقية سـواء فى الجهة الغربية أو الشمالية فيتراوح سمكها فى الأجزاء العليا بين سبعة وثمانية أمتار ، بل أن إحدى الدعامات بالحائط الجنوبى أضخم من ذلك ، وهناك ثلاث دعامات أخرى تبدو كأنها أبراج مربعة الشكل تتصل ببناء الحصن الرئيسى بواسـطة جدار أقل سمكا من الجدران الأخرى ، وفى حصن كوبان مثل واحد لهذا الطراز .

ويمكننا أن نوجه نقدا شديدا الى نظام اقامة تلك الدعامات ، فان الطنف أو الطوار العلوى كان من الضيق بحيث لا يسمح بوضع منجنيقين لدفاع أحـدهما معاكس للآخر فى الاتجاه مع اعطاء الحيز اللازم لاستعمال كل منها بحرية ، على أن القسم الجنوبى من ذلك الطوار وان كان أفضل من ذلك تسـليحا الا أن رجال المنجانيقات الذين كانوا يعملون فوقه لابد قد تعرضوا للخطر أكثر من المدافعين عن بناء الحصن الرئيسى .

والحق أن اقامة التحصينات الجانبية على الوجه الذى ذكرناه كان خطأ ، فان الانسان لا يستطيع أن يحصل على نظام دفاعى محكم بواسطة أبنية لاتتصل مباشرة بالجدران الرئيسية مهما كانت تلك الأبنية قوية متينة ، ولهذا كان على الحصن الرئيسى أن يحمى نفسه بوساطة تحصينات تقوم على أسس تخطيطات معمارية خالصة . وقد حل هذا الاشكال بوجه ما فى حصن أومنوس Omnos .

ويجب أن نلاحظ أن الدعامات كانت متقاربة جدا فى أماكن عدة من الحصن وبخاصة من الجهة الغربية مما اضطر رجال المنجانيقات الى التصويب بزوايا حادة

جدا ، ولعل المهندس المعمارى قد اتبع فى ذلك المبادىء التى اتبعت فى تشييد حصنى أبى دوس وكوبان معتقدا أن الإكثار من الدعامات يجعل الحصن عزيز المنال كما أنه لم يستطع التجاوز عن فكرة التحصينات الجانبية . ولاريب أن ذلك يجعلنا نعتقد أن حصن سمنة لم يكن سوى تجربة أولى لاقامة التحصينات الجانبية التى وإن فهم السبب فى تشييدها بالبناء الرئيسى ، فانها لم تدرس بعد الدراسة الوافية من جميع النواحى .

المدخل والقسم الداخلى من الحصن :

قال دى فوجيه أنه رأى بابين فى الجدار الشمالى الصغير ، تفصل بينهما مسافة تقل عن خمسين مترا ، على أن تخطيط لبسيوس الذى يعطينا صورة واضحة للمدخل الغربى لا يظهر لنا فى الجدار الشمالى سوى فتحة غير واضحة المعالم ، ومن المحتمل أن الباب الذى رسمه ذلك العالم ، كان المدخل الوحيد فى الجهة الشمالية لان الانسان لايستطيع أن يدرك أية فائدة لوجود الباب الآخر .

والواقع أن ذلك الجانب الشمالى هو نقطة الخلاف بين كل من لبسيوس ودى فوجيه ، إذا اختلف كلاهما على مكان الدعامات التى كانت تحمى الباب . ولنتفق مع ماذهب إليه لبسيوس ونقول أن اتساع الباب كان يتراوح بين ثلاثة وأربعة أمتار ، وعلى جانبيه ممر يبلغ اتساعه تسعة أمتار ، وكان الجانب الأيسر لذلك الممر يمتد مسافة خمسة عشرة مترا ، وينتهى ببرج وهذا يشبه مانجده فى حصن كوبان .

ورغم عدم وضوح تخطيط لبسيوس فإنه يوضح لنا أن الحصن كله متصل بالخندق الذى يحميه .

وكانت أجزاء الحصن المختلفة تتباين فى طرازها ، فبينما نرى فى الجانب الغربى طنفا مرتفعا كان بالجانب الشمالى بهو داخلى يشبه هذا الذى نجده فى أبى دوس . إلا أن ذلك كان أضيق منه وأعمق .

حصن بوهين

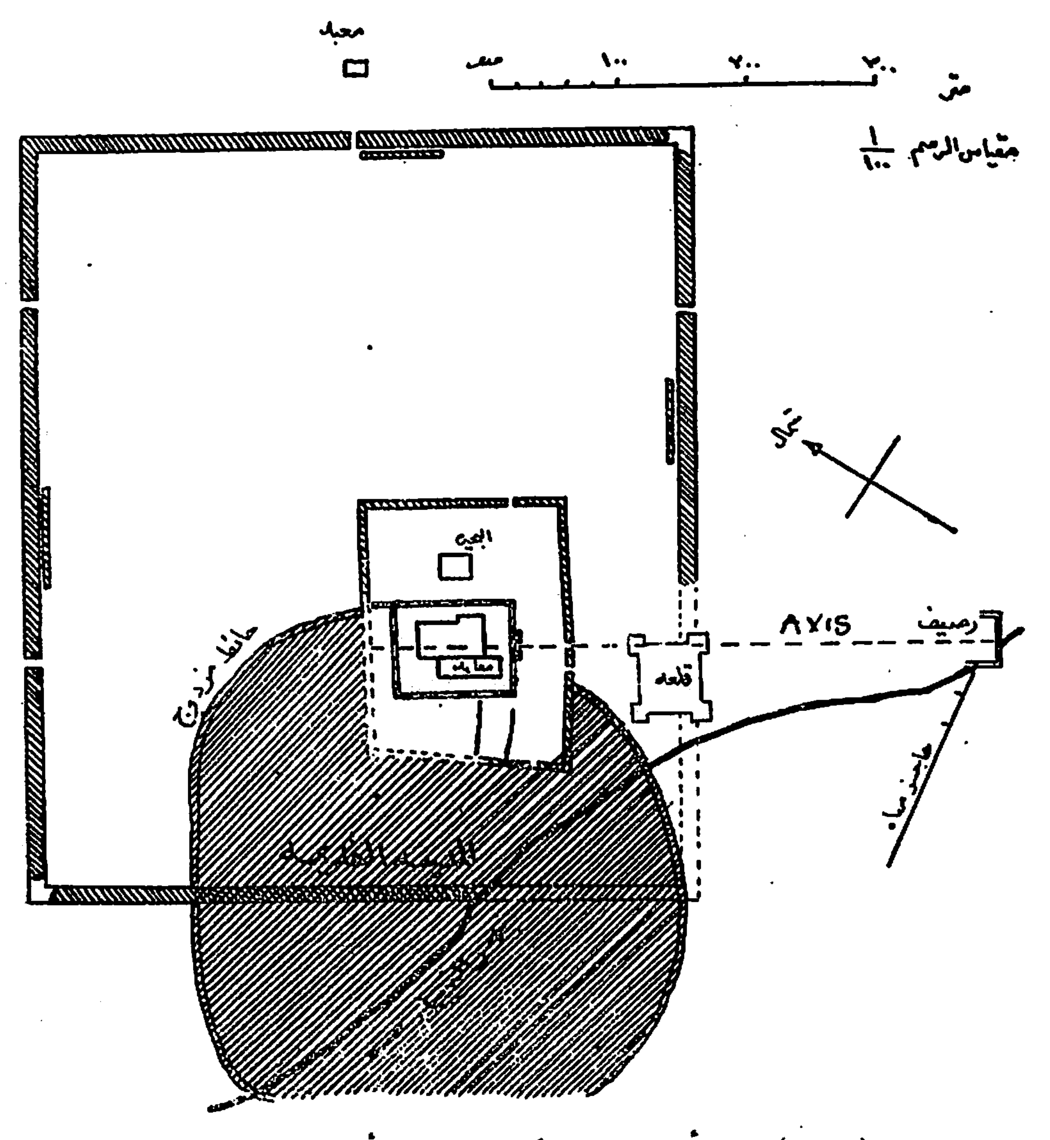
يقع حصن بوهين عند مدينة وادى حلفا التى غمرتها مياه السد العالى .

شيد فى أيام الدولة الوسطى (٢٠٥٢ — ١٧٨٦ ق . م) ، وقد كشفت عنه أحدى بعثات التنقيب البريطانية برياسة العالم إمرى ، فوجدته فى حالة جيدة ولذلك استطاعت البعثة ان ترسم للقلعة عدة رسوم توضح الحالة التى كان عليها الحصن منذ أربعة آلاف سنة . شيدت بوهين ضمن مجموعة الحصون التى أقامها ملوك الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ — ١٧٨٦ ق . م) عند الطرق التجارية للسيطرة على منطقة الشلال الثانى الاستراتيجية التى تفصل بين بلاد النوبة العليا والسفلى وقد فشل المهاجمون فى الاستيلاء على هذه القلعة مدة مائتى سنة إلى أن اكتسحت ح عام ١٦٧٥ ق . م عندما تعرضت مصر للغزو ، ثم استردتها عندما استعادت قوتها الحربية ح ١٥٧٠ ق . م . فأعادت بناء تحصيناتها ووسعتها ، ثم هاجمتها جيوش مملكة كوش السودانية ودمرتها قرب نهاية حكم الأسرة العشرين عام ١٠٨٥ ق م ولما تم كشف حصن بوهين أدرك أفراد البعثة أنهم أمام أفضل نموذج للعمارة الحربية المصرية احتفظ به حتى اليوم .

يتألف الحصن من سور ضخم سمكه أربعة أمتار و ٨٠ سنتى مبنى من الآجر ، ويبلغ ارتفاعه تسعة أمتار على الأقل ، تخترقه فتحات مربعة متباعدة . وتعلوه المتاريس التى صنعت من الطين المحروق المدور . وكان الباب الأكبر أعظم الأماكن منعة ، إذ شيد ضمن سور الحصن على زاوية قائمة . ورغم عما أصيب به قسمه العلوى من التخريب ، فإن أساسة بقى قائما على حالته . فقد وضع عند المدخل بابان كبيران مزدوجان ، وجسر مصنوع من الخشب يمتد فوق الخندق الجاف ، ويؤلفان رواقا ضيقا طويلا لا بد للقوة المهاجمة من المرور منه ، فتتعرض لسيل من سهام المدافعين المرابطين [١] .

---

(١) نشرت مجلة العالم التى كانت تصدر فى لبنان فى عددها رقم ٩ (السنة الثامنة) تقريراً موضحاً بالرسوم لأعمال بعثة التنقيب فى بوهين . ص ٢ — ٦ .



(ش ٢) قطاع أفقي لمدينة الـكاب القديمة وأسوارها وقلعتها

الحصون فى أعقاب الأسرة الثانية عشرة

سنضيف فيما يلى تحصينات بلدين هما « أمبوس » فى مصر القديمة التى نستنتج من تخطيطها أنها كانت أحدث من « سمنة » ثم « سيسبى » التى اندثرت الآن معالمها بالنوبة والتى وصلت إليها جيوش الأسرة الثالثة عشرة ، ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نستنتج من معالم هذين الحصنين المتباعدين الاتجاه الذى اتخذته عمارة الحصون بعد « سمنة » .

أولا : « أمبوس »

بنيت هذه المدينة الصغيرة فوق بقعة نائية مرتفعة تقع على الشاطىء الأيمن لنهر النيل وتبعد قليــلا عن « أسوان » . ومن وصفها الوحيد الذى لدينا نعرف أنهـا كانت مربعة الأضلاع يبلغ طولها ٢٠٠ متر وعرضها ١٥٠ مترا ، وفى النتوء الجنوبى من البناء بابان يبعد أحدهما عن الآخر خمسين مترا ، وكلاهما له فتحات فى الوسط كما هو الحال فى طيبة وتانيس ودندره ويختلفان عن بعضهما فى الاتساع إذ يبلغ اتساع أحدهما مترين بينما يبلغ اتساع الآخر ثلاثة أمتار ونصف متر . ومن العجيب أن سمك الجدران عند هذه الأبواب ليس واحدا حيث نراه عند الباب الغربى الكبير أحد عشر مترا بينما كان عند الباب الصغير سبعة أمتار ونصف متر فقط ، دليل ذلك يرجع إلى أن البابين لم يشيدا فى وقت واحد وإنه فى الفترة التى تخللت بناءهما طرأت على الحصن تغيرات ذات بال ، والدليل على ذلك أن العلامة الأثرى شمبليون لا يحدثنا إلا عن باب واحد يرجح أنه بنى فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

وتخطيط الجانب الشرقى من الحصن قبالته النهر يستحق الملاحظة . إذ تقوم فى الزاويتين الشمالية والجنوبية أبراج يبعد كل منها عن الآخر خمسة عشر مترا يظهر أنها شيدت لحماية الأبنية الرئيسية ، ففى الناحية الشمالية كانت تلك الأبراج

تحمى على الأقل نصف الجدار الشمالى بينما كان الأساس فى تشييد الأبراج بالناحية الجنوبية الشرقية حماية الجانب الشرقى الذى يوجد بمنتصفه برج آخر أقيم للدفاع عن الجانبين الأيمن والأيسر بالحصن الرئيسى .

ولا ريب أننا نجد أنفسنا هنا أمام طراز جديد من التحصينات الجانبية ، فليست هناك جدار خارجية أكثر من التى ذكرناها وليست هناك أبنية منعزلة ناتئة من البناء الرئيسى من ذلك النوع الذى كان يعرض المدافعين للأعداء ويحرمهم حرية العمل ، بل كان الدفاع عن خارج الحصن والاشراف عليه يجرى كله من الداخل .

وتعتبر « أمبوس » المثل الوحيد للتحصينات المصرية ذوات الأبراج ، وهى مع ذلك أولية جدا فى طرازها المعمارى . فان البرجين الشيدين فى الزاويتين الشمالية والجنوبية لايسيطران على الأجناب المتصلة بهما إلا من ناحية واحدة فقط ، كما أننا لانجد تحصينات جانبية لواجهتين من واجهات الحصن الأربع ، ومن المحتمل ان يكون ذلك الطراز من البناء محاولة لتنفيذ فكرة معمارية جديدة .

ويكاد يكون من المؤكد أن حصون « أمبوس » ليست أقدم من حصون « كوبان » و « سمنة » لأن فكرة بناء الأبراج أكثر تعقيدا من فكرة إقامة الدعامات التى اتبعت فى الحصنين الأخيرين . ولاريب أن تشييد حصن « أمبوس » قد تم فى عهد الاسرة الثالثة عشرة ، ومن المحتمل أن يكون نظام إقامة الأبراج والأبنية البارزة كوسيلة دفاعية قد ظهر فى فترة النهضة المصرية التى عمت فى ذلك العهد .

وإذا فرضنا أن تحصينات « أمبوس » قد شيدت بعد الأسرة الثالثة عشرة فلا شك أن طرازها يكون تقدما ملموسا طرأ على الطرز التى اتبعت فى « سمنة » على اننا نلاحظ عدم وجود تحصينات ذوات أبراج فيما عدا « أمبوس » بينما نجد بعد الأسرة الثانية عشرة مثلا واحدا على الأقل للتحصينات ذات الدعامات الجانبية المشيدة على طريقة « سمنة »

ثانيا : « سيسبى »

لاتبعد أطلال سيسبى كثيرا عن قريةسيسبي الواقعة بين كل من تومبوس وصولب والتى يحدثنا عنها ليبسيوس فيقول : « انها مرتفع تقوم فوقه أطلال حصن قديم وتبدو لنا على المضبة عدة قلاع شبيهة بحصن سيسى هذا تقع كلها فى جوار النهر ، وتدل على أن هذه النطقة كانت مأهوله بعدد كبير من السكان المحاربين الذين اندثرت معالمهم الآن . وتقوم هذه الأطلال جميعا فى منطقة تسمى سيسبى تبعد مسيرة ساعة كاملة عن « سيسبى »

كان بهذا المكان معبد قديم لم يبق منه الى الآن سوى أربع عمد كانت رؤوسها على شكل سعف النخيل ، والمعبد يحمل اسم الملك سيتى الأول ويكاد يكون أبعد أثر تركه هذا الفرعون نحو الجنوب .

ويمكن أن نرى فى محيط بقايا هذا المعبد وفوق المضبة التى أنشئت من أجله أطلال مدينة لاتزال بقايا حصونها ظاهرة إلى الآن . ولعل هذا يبدو غريبا ولكن لا تلبث دهشتنا أن تزول إذا تصورنا هذه المدينة الكبيرة وقد احتضنت فى وسطها ذلك المعبد .

أما جدران الحصن التى يتراوح سمكها بين أربعة وخمسة أمتار فقد قويت بوساطة دعامات أقيمت على طول المحيط ، وثبتت فى الجانب الغربى من الحصن له مسافات منتظمة متساوية . ويتراوح طول هذه الدعامات بين أربعة وخمسه أمتار بينما يبلغ سمكها أربعة امتار كما ذكرنا آنفا . وتقدر المسافة بين محاورها بستة عشر مترا تقريبا وهى مسافة لا بأس بها إذا روعى فى الأمر قصر تلك الدعامات ، أما زوايا الحصن فلم تشيد عندها دعامات .

وخلاصة القول أن تلك الأبنية البارزة اصغر هنا منها فى «ممنة» ولكن وضعها عادى وطبيعى والمسافات التى تفصل بينها معقولة كافية . ونحن نلحظ — دون شك فى سيسبى طريقة جديدة لاستعمال الدعامات ادخل عليها كثير من التهذيب .

وبقايا الحصن فى حالة سيئة بوجه عام بحيث لا يمكننا أن نعرف منها مواضع بوابات ذلك الحصن ، على أنه من الممكن أن نشاهد فى الجانب الشرقى مدخلا كبيرا يتراوح اتساعه بين ثمانية وعشرة أمتار ويقع هذا المدخل على محور بناء المعبد نفسه ، وكان يحيط به برجان قويان .

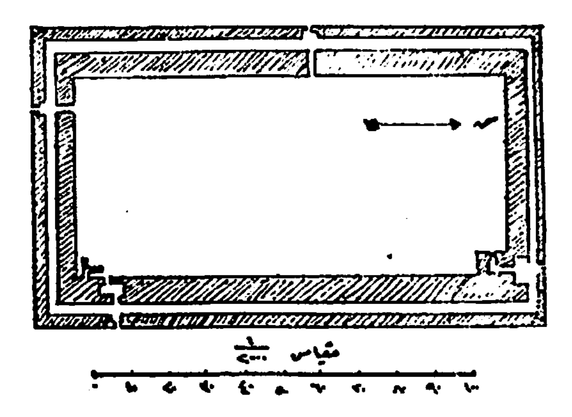
حصون أخرى :

إذا تتبع الإنسان الترتيب الطبيعى لحوادث الغزو فانه لاشك يضع باقى حصون سيسبي حول فترة الحكم التى تولى فيها ملوك الأسرة الثالثة عشرة شئون البلاد ، إذ لاريب أن المصريين فى ذلك الوقت حصنوا مداخل الشلال الثالث ... على أنه من الصعب جداً أن نميز بين حصون الأسرة الثالثة عشرة وحصون الأسرة الثامنة عشرة لأن مجموعة تحصينات سيسبي تقع فى حقيقة الأمر بين حصنين اثنين يرجعان إلى عهد تلك الأسرة الأخيرة ، بنى أولهما أيام تحتمس الأول لحماية القناة الصالحة للملاحة فى النيل بالقرب من الشلال الثالث وكان يقع بين جزيرتى تومبوس وأبادين . أما الحصن الثانى فقد شيد بعيدا عن سيسى فى مكان يقال له الآن صوليب (Soleb) وقد شيده أمنحتب الثالث ، وكان على جانب عظيم من الأهمية إذ يحمى مجرى النيل حتى انحناء دنقلة .

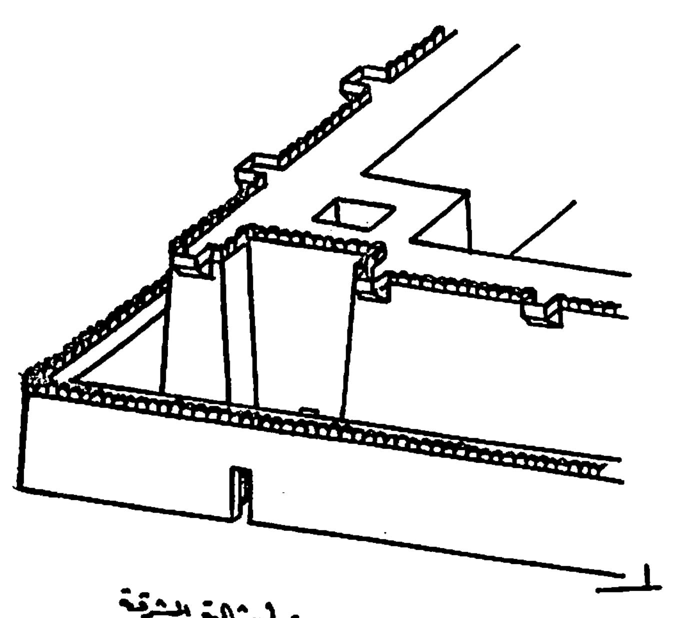
ونستطيع أن نستنتج من ذلك أن سيطرة المصريين على منطقة الشلال الثالث فى عهد الأسرة الثالثة عشرة لم تكن قد استتبت بعد ، وقد لعبت كل من صوليب وتومبوس فى ذلك العهد نفس الدور الذى لعبته سمنة فى الامبراطورية القديمة . ومهما يكن من أمر ، فالثابت أن النفوذ المصرى وصل فى عهد تحتمس الأول إلى منطقة التقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق وأنه امتد فى عهد أمنحتب الثالث مع وادى النيل حتى بلاد النوبة جنوبى تاكارزى . فأمنحتب الثالث إذاً هو المؤسس الحقيقى لنباتا عند جبل بركال ، تلك المدينة التى أصبحت فيما بعد عاصمة لاثيوبيا .

ويلوح لنا أن مجهودات ملوك الأسرة التاسعة عشرة كانت ضئيلة فى ذلك الاتجاه الجنوبى وأن كنا نعلم أن معبد سيسبي قد بناه سيتى الأول . ومن المحتمل أن يكون

شونة الزبيب بأبيدوس
مأخوذ عن ماريت



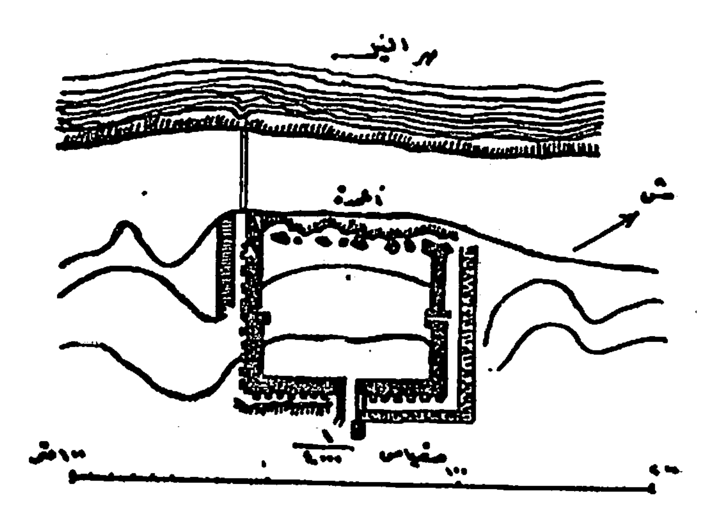
شونة الزبيب



مجسم منظور للزاوية الشمالية الشرقية

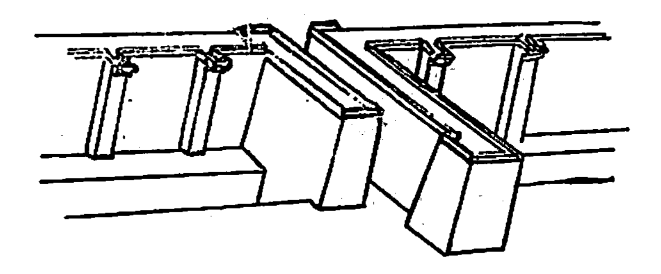
(ش ٣) تفصيلات معمارية لقلعة شونة الزبيب

كوبان

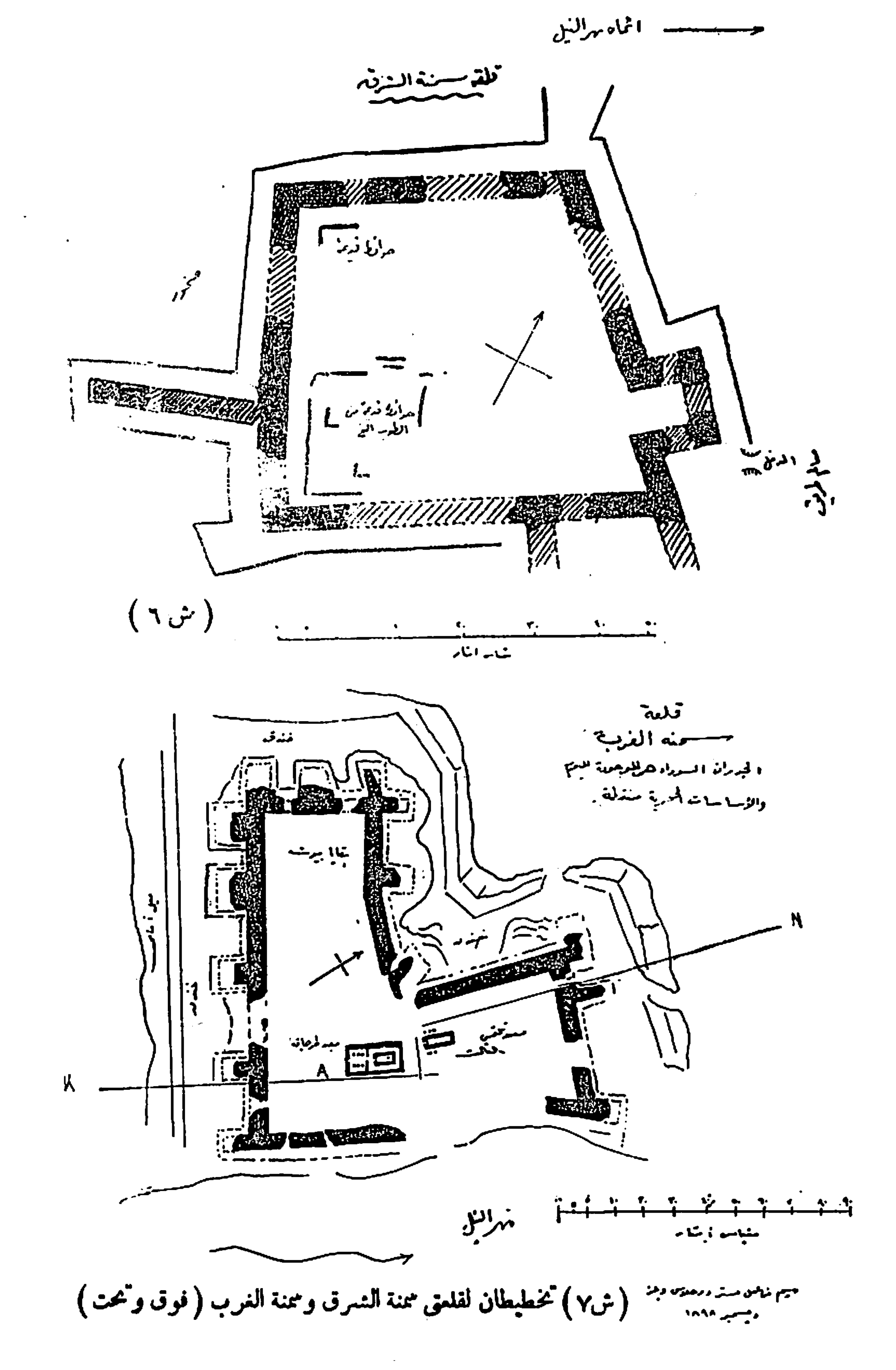


(ش ٤)

كوبان
منظر الباب الرئيسي

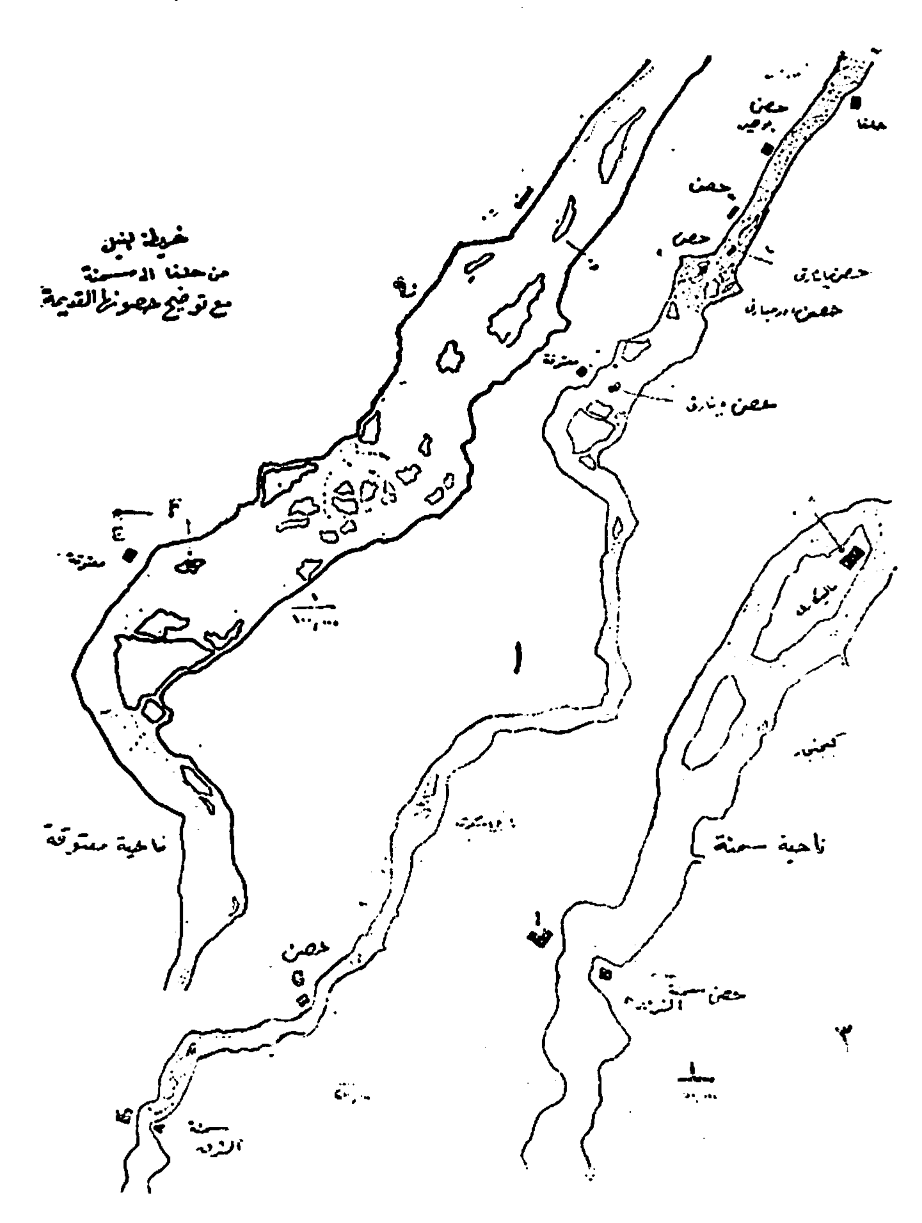


(ش ٥) تفصيلات معمارية لقلعة كوبان (فوق وتحت)



(ش ٦)

(ش٧) تخطيطان لقلعتي سمنة الشرق وسمنة الغرب (فوق وتحت)



(ش ٨) خريطة النيل تبين أماكن الحصون القديمة بين حلفا وسمنة والجزائر الواقعة فى النيل

هو نفسه الذى بنى الحصن أيضا . ولاريب أن ذلك الملك قد شيد حصونا أخرى حول الآبار الممتدة على طول طريق كوبان ، وأقام مراكز محصنة فى الوديان الحجرية الواصلة إلى مناجم الذهب ، وكانت تلك المراكز عبارة عن حصون مربعة مشيدة من الأحجار وليست من اللبن .

وانشغلت مصر بحروب مستمرة على حدودها الشمالية فى عهد كل من رمسيس الثانى ورمسيس الثالث ، ولذلك لم يجد هؤلاء الفراعنة من وقتهم متسعا لتشييد الحصون عند حدودهم الجنوبية ، والحق أنهم لم يكونوا فى حاجة إلى ذلك فإن المملكة المصرية التى امتدت أراضيها وقتئذ من الخرطوم إلى البحر الأبيض المتوسط أى ما يقرب من ٢٦٠٠ كيلومتر كانت قد توطدت أركانها تماما .

وقد أدى تأسيس مملكة إثيوبيا المستقلة بعد قرنين أو ثلاثة قرون من عهد رمسيس الثالث إلى تفكير تلك المملكة تفكيرا سريعا فى غزو أقاليم أفريقيا الاستوائية ، وكانت مصر عندئذ قد فتحت أبوابها للمهاجرين الاغريق الذين نزحوا إلى أقاليم البحر الأبيض المتوسط .

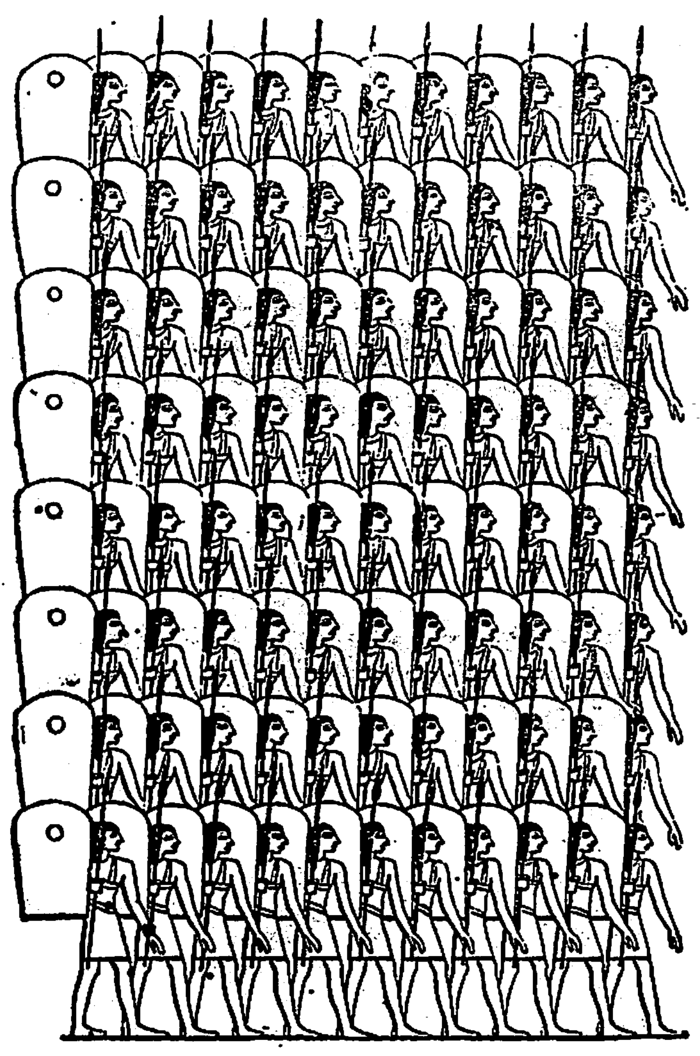
ولسنا على علم يقين بمدى اتساع مملكة اثيوبيا فى اقليم البحيرات الاستوائية آنئذ ، على أننا لا نشك فى أن تقدمها قد أوقفته تلك الحصون التى شيدها المصريون بتلك الجهات ، والتى ربما يعثر عليها فى يوم من الأيام ، إذا لم تكن مياه النيل قد غمرتها

تطور عمارة الحصون

وكان من نتائج حروب مصر فى آسيا ، أن اقتبس مهندسوهم بعض التأثيرات المعمارية الخاصة بمبانى حصون سورية وجنوبى آسيا الصغرى ، واستعملوها فى الحصون المصرية .

ونرى ذلك فيما شيده ملوك الأسرة التاسعة عشرة من الحصون فى شرقى الدلتا وتألف منها شبكة دفاعية على الأسلوب الكنعانى ، ولم يقصروا بناءها على الآجر

بل كسوها بالحجارة ، كما فعلوا فى أسوار هليوبوليس القديمة ومنف . وقد ضاعت معالم تلك الحصون ... وأننا لنلاحظ أثر العمارة الأسيوى واضحا فى مبانى المعبد العظيم الذى شيده رمسيس الثالث ، المعروف باسم مدينة هابو الذى بلغت فيه العمارة العسكرية المصرية أوج كمالها .



جنود الجيش المصرى فى عهد الفراعنة

(ش ٩) حملة الدروع والرماح

صناعة الأسلحة فى مصر القديمة

قبل أن نتكلم عن صناعة الأسلحة فى مصر القديمة ، جدير بنا أن نوضح أهم المعادن التى كانت تصنع منها تلك الأسلحة ، كالسيف والمدية ، والخنجر ، والرمح ، وبعض أجزاء العجلة الحربية .

اتفق معظم علماء الآثار على اطلاق اسماء أهم المعادن المعروفة على العصور التاريخية البارزة منذ القدم ، وأهمها :

١ — عصر النحاس ويمتد بين ح عام ٤٠٠٠ ق . م ، وح عام ٢٠٠٠ ق . م .
٢ — عصر البرونز ويمتد بين ح عام ٢٠٠٠ ق . م ، وح عام ١١٥٠ ق . م .
٣ — عصر الحديد ويمتد بين ح ١١٥٠ ق . م ، إلى عصر الصلب .

مرت الحضارات القديمة فى الشرق الوسيط ، وهى حضارات الأشوريين والمصريين والفينيقيين والحيثيين خلال تلك العصور ، وكان انتقال أحداها من عصر معدنى إلى آخر يلاحقه تطور حضارى كبير ، وكان له أكبر الأثر فى تطور شامل بعيد المدى .

وكان استغلال مناجم النحاس فى سيناء منذ الأسرات المصرية القديمة الأولى من أهم مااتسمت به حضارة قدماء المصريين ، كذلك استغلت مناجم الذهب فى صحراء مصر الشرقية . وقد كان لانتاج هذين المعدنين النحاس والذهب تحت الاشراف الحكومى مزايا اقتصادية لاتقدر . ذلك لأن النحاس كان منذ بدء الحضارات المعدن الرئيسى للمعاملة بين دول العالم القديم ، حتى حل البرونز مكانه . فلا غرو اذن ، أن يكون لمصر السيادة فى شرقى البحر الأبيض المتوسط زمنا طويلا إمتد على الأقل إلى القرن الثالث عشر ق . م .

وقد أكد العلامة لوكاس المصريولوجى ، أن عصر البرونز بدأ فى آسيا الغربية قبل مصر لافتقارها إلى القصدير [1] حتى استمدته . وأثبت رايه بما عثر عليه من الأدوات الكثيرة المصنوعة من البرونز فى المقبرة للملكية فى حفريات « أور » التى يرجع تاريخها إلى مابين عامى ٣٥٠٠ ، ٣٢٠٠ ق م ثم استقر عصر البرونز [2] فى مصر أجيالا طويلة ، لاتقل عن ١٣ قرنا الى أن تلاه عصر الحديد .

ولما توصل الحيثيون إلى طرق استغلال الحديد ، وعرفوا أساليب صناعته ، بدأت مصر تفقد مكانتها ، لجهل المصريين — الطرق الفنيه لصناعة الحديد حينذاك ومن ثم تضاءلت أهمية النحاس ، ومن بعده البرونز ، بعد أن تفوقت مصر فى صناعتهما أجيالا طويلة ، ويشهد بذلك ماعثر عليه رجال الآثار من الأدوات والأسلحة فى مقابر قدماء المصريين .

وعلى ذكر ماوجد من التحف فى مقبرة توت — عنخ — آمون (١٣٥٨ ١٣٥٣ ق .م) فقد عثر على خنجر جيل النصل صنع من الحديد ، ووجدت أيضا تعويذتان صغيرتان من الحديد ، صنعا فى أسلوب فنى مصرى . وقد أثار وجود تلك الأشياء الحديدية فى تلك الحقبة عدة أسئلة . لأن الحديد المصنوع كان يعتبر شيئا جديدا فى العالم فى عام ١٣٥٣ ق .م . ويتفق معظم رجال الآثار على أن الحديد الذى صنعت منه تلك الأشياء ، وصل من بلاد الحيثيين (آسيا الصغرى) ، على سبيل التبادل أو الإهداء إلى فرعون مصر

---

(١) كانت أم مصادر القصدير فى آسيا الغربية بالقرب من بيبلوس فى لبنان ، ولكن عندما انتهى استغلاله ، بدأت مقادير كبيرة منه تصل الى شرق البحر المتوسط من غرب أوروبا (كبريتانيا وأسبانيا) .

(٢) البرونز خليط من النحاس والقصدير بنسبة تختلف من ٣ر١٦ ٪ من الاخير ، وله عدة خصائص يمتاز بها على النحاس ، من أهمها أنه يمكن طرقه « على البارد » .

والمعروف أن من أهم ماوصل الينا من الأدوات المصنوعة من الحديد فى مصر يرجع إلى الفترة التى تتوسط عامى ٨٠٠ و ٧٠٠ ق.م. وهى فى مجموعها الضئيل أشياء تنسب إلى الفترة اليونانية المصرية، وقد عثر على كثير منها فى حفريات نيوكراتيس فى شمال غربى الدلتا (حيث كانت المستوطنات اليونانية)، ولكن لايعلم مصدر المعدن — أى الحديد، هل جاءت الخامة من الصحراء الشرقية أو من صحراء أسوان، أوغيرهما.

ولقد عرف الحديد فى مصر القديمة باسم «خامة السماء» (Ore of Heavens) ولكن لم تعرف أساليب صهره، واستخلاصه لصناعة الأدوات و الأسلحة قبل الأسرة الخامسة والعشرين. وليس هناك فى المتحف المصرى أدوات صنعت من الحديد، يمكن نسبتها إلى ماقبل تلك الأسرة، فقد كان استخدامه نادرا جدا، وقد استمد فى معظم الأحيان من النيازك أو الشهب التى تهبط سطح الأرض من السماء [1] وقد جمع العالم وينرايت — الأشياء الحديدية التى عثر عليها فى مصر فى ألفى عام من تاريخها القديم، وهى :

١ — الأسرة الرابعة : قطعة من الحديد عثر عليها فى الهرم الكبير.

٢ — الأسرة الخامسة : قطع كثيرة من الأزاميل وغيرها عثر عليها فى سقارة.

٣ — الأسـرة السادسـة : قطع كثيرة لمعول (أزمة عثر عليها فى بوصير) وكومة من قطع الأدوات المحطمة فى دهشور، وحفنة من صدأ الحديد يحتمل أنه عثر عليها فى أبيدوس.

٤ — الأسرة الثانية عشرة : رأس رمح من النوبة.

٥ — الأسرة السابعة عشرة : أزميل محطم وكعب عصا بالقرب من أسنا.

---

(١) الفصل الذى كتبه ر. انجلباك عن المواد والعمليات الميكانيكية والفنية عند قدماء المصريين فى كتاب : Legacy of Egypt. P. 135. Oxford

وتلك مجموعة متواضعة ، وبعضها يشك فى أصلها . [1]

يتضح من هذا كله ، أن مصر كانت تعيش فى عصرها البرونزى ، بينما كان غيرها فى بلدان غرب آسيا ، قد انتقل إلى العصر الحديدى . وليس هذا فحسب ، بل أنها ، بالرغم مما كانت عليه من السيادة فى أثناء الأمبراطورية الثانية (الرعامسة) لم تكن تستخدم الحديد بعد . ومعنى ذلك أيضا أنها حاربت أعداءها فى أعظم عصورها بالأسلحة البرونزية .

لما عرف الحيثيون — صناعة الحديد بعد ماعثروا عليه فى بلادهم بآسيا الصغرى ، أدركت أمبراطورية آشور (بلاد مابين النهرين) حاجاتها إليه لكى تصنع منه السلاح لجيشها ، ولتستخدمه فى صناعة العجلات الحربية والمحاريث والفئوس . فلم يكن بد من استخدام القوة لتحرير طرق المتاجر وفتح المنافذ إلى الجبال الغنية بالمعدن . ولذلك أستدركت موقفها بسرعة لكى لا تفلت منها الفرصة ، ويقوى منافسوها عليها . ومن هنا بدأت تعمل فى سبيل الحصول على الحديد من بلاد الحيثيين بجميع الوسائل . ذلك لكى تهزم بأسلحتها الحديدية أعداءها الذين كانوا لم يخرجوا بعد من عصر البرونز .. وهكذا عرف الآشوريون والحيثيون من قبلهم كيف يفاجئون أعداءهم بالأسلحة الحديدية . ومن هنا أيضا جاء التفوق والغلبة ، وانقلاب كفة الميزان الدولية فى الشرق الوسيط . وقد تحدث المؤرخون كثيرا عن حروب الآشوريين ، واصطداماتهم المتعاقبة ضد سكان سورية وفلسطين ومصر .

---

(١) Wainright G.A. The Coming of Iron. Antiquity. p, 5,24 March 1936.

أهتدى فى نصوص الآداب المصرية القديمة إلى مدى استخدام الحديد ، فى ملحمة الكاتب بنتاءور التى سجلت فيها إنتصارات رمسيس الثانى فى سورية ، ذكر الحديد « ثلاث مرات » وفى قصيدة أخرى ذكر ناظمها أن سيف منفتاح الثانى لم يعرف له مستقراً للراحة ، كما أنه أشير كثيراً إلى الأوانى الحديدية . وتقابلنا بعد الأسرة الثانية عشرة نصوص كثيرة ورد فيها ذكر الحديد وذلك بعد ما أصبحت علاقة الحيثيين بالمصريين ودية .

وهكذا يتضح لنا أن صناعة الحديد فى مصر ولا سيما فى سلاحها ، جاءت متأخرة جدا ، ومن المحتمل أن يكون فى ذلك بعض الأسباب التى أدت إلى اضمحلال شأنها فى الزمن القديم ، ومن ثم تغلب الفرس عليها ، والأغريق ...

وننتقل بعد ذلك إلى صناعة العجلات الحربية فى الدولة المصرية الحديثة ، ولا سيما على أيام أسرتى تحتمس ورمسيس .

فمنذ أيام الدولة الحديثة ، انتشرت صناعة العجلات الحربية ، وكانت هذه العجلات تصنع عادة من الخشب ، ولم تصنع إطارات معدنية للعجلات مطلقا ، ومع ذلك فقد استعانوا أحيانا بألواح معدنية فى هيكل العجلة (العربة) التى كانت تتألف من عدد كبير من القطع الصغيرة . وكان يصنع محور العجلة بضم عدة أجزاء دائرية نشرت من الخشب السميك .

وهناك صناعة الأسلحة ، كالأقواس والسهام والنبال والعصى من كافة الأنواع والسيوف المستقيمة والمقوسة والخناجر والمدى ، فضلا عن الأدوات الموسيقية التى تستخدم فى الجيش أو فى القصور . ونشاهد اليوم نماذج كثيرة من أسلحة وعربات قدماء المصريين فى متاحف الآثار .

أسلحة الجيش

تقسم أسلحة قدماء المصريين إلى قسمين: الأسلحة الهجومية والأسلحة الدفاعية فمن أسلحة القسم الأول : القوس والرمح والجريدة والمقلاع والسيف القصير المستقيم ، والخنجر ، والمدية ، والسيف القصير المحدب والبلطة ذات اليد القصيرة وبلطة القتال والصولجان واللسان الذى يشبه العصى المعوجة كالتى يحملها العبابدة والأثيوبيون . ومن أسلحة القسم الثانى : الخوذة وواقية الرأس والدرع أو سترة الزرد المصنوعة من الصفائح المعدنية . ولم يعرف المصريون واقية الأرجل . وكانت أغطية الذراعين جزءا من الزرد تؤلف كما قصيرا يمتد إلى الكوع .

الــدرع :

كانت الدرع أهم مايدافع بها الجندى عن نفسه ، طولها لايزيد عن نصف قامة الجندى وكانت فى الغالب ضعف عرضها . وفى أكثر الأحوال كانت تغطى بجلد ثور والشعر الى الخارج وتقوى فى بعض الأحايين بحافة أو بحافتين من المدن ، وترصع بالمسامير والدبابيس المعدنية . أما الناحية الأخرى للدرع فكانت مبطنة بأغصان جافة مجدولة . ويحيط بحافتها اطار خشبي مغطى بالجلد على طـريقة الدروع الرومانية والإغريقية .

وكانت الدرع المصرية ، مستديرة من أعلى ومربعة من أسفل تنتفخ قليلا عند القمة ، وبالقرب من الجزء العلوى لسطح الدرع الخارجى كانت توجـد تجويفة مستديرة ، وكان يثبت فى السطح الداخلى للدرع « علاقة » لتعلق بها حول الرقبة وكانت هذه العلاقة تعمل أحيانا بكيفية يسهل معها ادخال الذراع فيها والقبض على الحربة وكانت للدرع أحيانا قبضة يسهل بها تحريك الدرع فى أى اتجـاه ، وكانت هذه القبضة تركب إما تركيبا عموديا وإما تركيبا أفقيا على الدروع ، وقد شوهدت على جدران الآثار القديمة ماعدا مقابر بنى حسن نماذج أخرى من الدروع تختلف عما سبق وصفه ويغلب على الظن أن هذه كانت تستخدمها الجنود المستأجرة فقط .

وكانت لبعض الدروع المصرية مقاسات كبيرة غير مألوفة اختلفت فى شكلها عن الدروع العادية فكانت محدبة من القمة على أسلوب العقود القوطية ، وذات حجم كبير يصعب استخدامها بسهولة لنقلها وقد شوهد هذا النوع من الدروع فى مقبرة بعض حفائر أسيوط « ليكوبوليس » ولاشك أنه كان من الأمـور الأولية التى تراعى فى صناعة الدروع خفة موادها لسهولة حملها فى السير الطويل وفى ميادين القتال .

القــوس :

كانت القوس المصرية تشابه القوس الأوربية التى استعملت قبل عصر البارود وكان الوتر يثبت إما فى جزء بارز مصنوع من القرن فى نهايتى القوس أو يثبت فى

خدش أو حز فى خشب القوس من نهايتيه على غير طريقة تثبيت الوتر عند الأثيوبيين الذين كانوا يثبتونه فى خابورين بطرفى رأس القوس المستديرين .

كانت القوس المصرية قطعة اسطوانية من الخشب طولها خمسة أقدام أو أكثر بنصف قدم وهى إما مستقيمة مدببة الطرفين أو مقفرة الوسط عندما لاتكون مشدودة ، وفى بعض الأحيان كانت تلتصق بها قطعتان من الجلد فوق منتصفها بقليل وتحتها وإذا أريد تثبيت الوتر ركزت نهاية القوس فى الأرض وضغطت الركبة على الجانب الداخلى من القوس بينما تجذب اليد اليسرى القوس الى الداخل وتدخل اليد الأخرى الوتر فى الجزء العلوى للقوس ، وفى أثناء الرماية كان الجندى يضع واقية من الجلد على ذراعه اليسرى لكى لا تصاب بالوتر عند ارتداده أو كانت تلف أيضا حول المعصم ، ويسحب الوتر بجذبه بشدة نحو الجسم بواسطة الأصبعين السبابة والابهام وتفرد اليد اليسرى الى نهايتها ويصوب السهم نحو الهدف وكان الوتر المصرى يصنع من الجلد أو القماش الكتانى أو القنب أو أمعاء الهررة بعد تجفيفها واختلفت الأسهم طولا من ٢٢ الى ٣٤ بوصة بعضها صنع من الخشب والبعض من القصب ، وفى غالب الأحيان كانت مغطاة برأس معدنية تحف بها من كلا جانبيها ثلاث رياض مغراة وموزعة بالتساوى واستبدلت أحيانا الرأس المعدنية بقطعة مدببة من الخشب القوى .

وكان يحمل القواس جعبة مستطيلة قطرها أربع بوصات ، تسع عددا وافرا من الأسهم يثبتها الجندى فى حزامه المار فوق صدره الى الجانب المقابل ، وكان المصريون فى أثناء السير يضعون جعبة السهام هذا الوضع وكان للجعبة غطاء مزخرف عليه رأس أسد إذا كان صاحبها من كبار القواد ، وكان الغطاء يثبت فى العلبة بواسطة عروة من الجلد لكى لا يفقد عند فتح الجعبة أثناء الاقتتال ، وكان للقوس جعبة تحميها من الشمس والرطوبة وتحفظ لها مرونتها ، وكان لهذه العلبة غطاء من الجلد الناعم مثبت بعناية فى نهايتها العلوية وكانت تركب دائما فى العربة الحربية ويقابلها فى الجانب الآخر من العربة علبة كبيرة أخرى تحتوى على رمحين وعدد من السهام فضلا عن العلبة (الجعبة) السابق ذكرها المثبتة حول وسط الجندى .

الرمــح :

كان يصنع الرمح أو المنخس من الخشب بطول خمسة أقدام ، أو سته ،ورأس معدنية يدخل اليها ساق الرمح ويثبت بالمسامير .

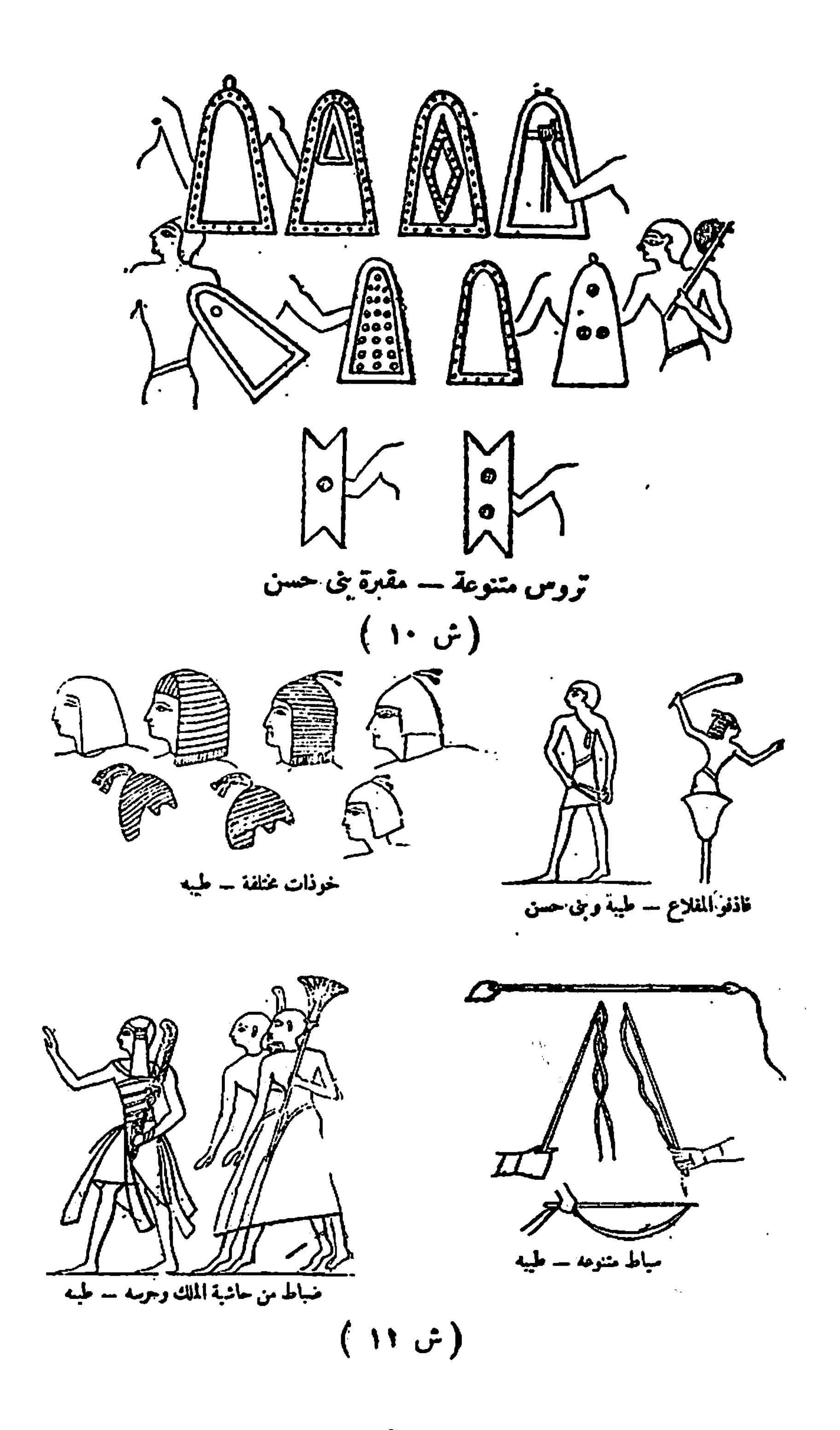
أما الجريدة (Javelin) فكانت أخف من الرمح وأقصر .وكانت تصنع من الخشب ورأسها مزدوجة من المعــدن ذات شكل معين . فاما ان تكون مفرطحة واما أن يزيد سمكها قليلا من الوسط أو مدببة جدا من حرفها . وكان الطرف الاخير ينتهى بكرة ثقيلة من البرونز لتجميلها وتساعد على توازنها . وكانت تستعمل أحيانا مكان الحربة فتقبض عليها كلتا اليدين فى حالة الاشتباك القريب .

المقــلاع :

صنع المقلاع من عروة جلدية أو حبل مضفر عريض من الوسط له خية حلقة (خية) فى أحد طرفيه تثبت به وتقبض بشدة باليد . أما الطرف الآخر فتنتهى بسوط . وعند استعمال المقلاع كان يدار مرتين أو ثلاثا فوق الرأس لموازنتــه ولزيادة قوته الدافعه . وكانت ذخيرة المقلاع الحصى الصغير والحجارة المدببة أو المستديرة وكانت توضع فى حقيبة صغيرة تعلق فى حزام الوسط .

السيــف :

كان السيف المصرى مستقيما وقصيرا يتباين طوله من قدمين ونصف قــدم إلى ثلاث أقدام . له سن مزدوج ومدبب الطرف . وكان يحمل السيف ورأسه إلى أسفل ويستخدم كالخنجر وكانت القبضة بسيطة الصنع منتصفها مجوف تزداد سمكا بالتدريج من مكان اتصالها بالنصل إلى نهايتها وكانت ترصع أحيانا بالأحجار الثمينة أو الأخشاب النفيسة أو المعادن وكان لسيف الملك رأس أو رأسان تصنعان على شكل صقر رمزا لمعبود رع أو الشمس . ويمكن أن نصنع الخنجر مع السيف القصير لتشابههما تقريبا مع أن الأول كان أقصر من الثانى . وكانت قبضة الخنجر كقبضة السيف مرصعة بالجواهر . وكان النصل من البرونز السميك من الوسط وله حز خفيف



تروس متنوعة — مقبرة بني حسن

(ش ١٠)

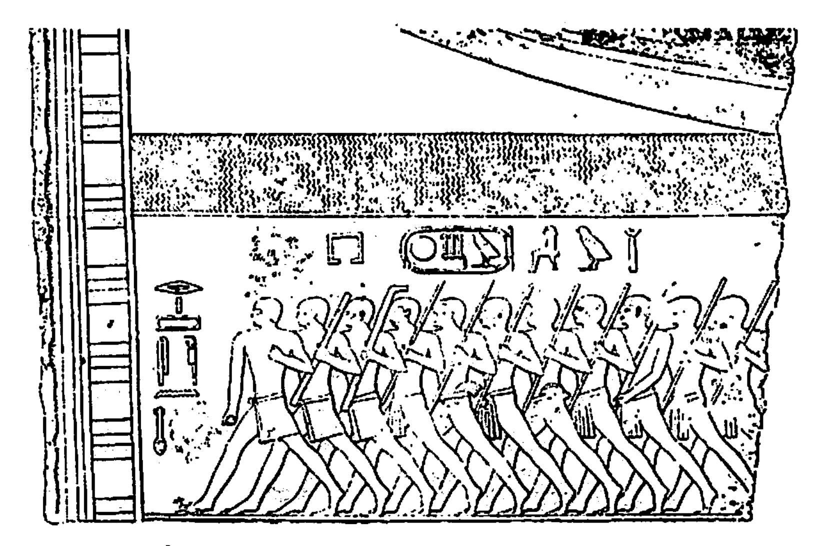
خوذات مختلفة — طيبة

قاذفو المقلاع — طيبة وبني حسن

سياط متنوعة — طيبة

ضباط من حاشية الملك وحرسه — طيبة

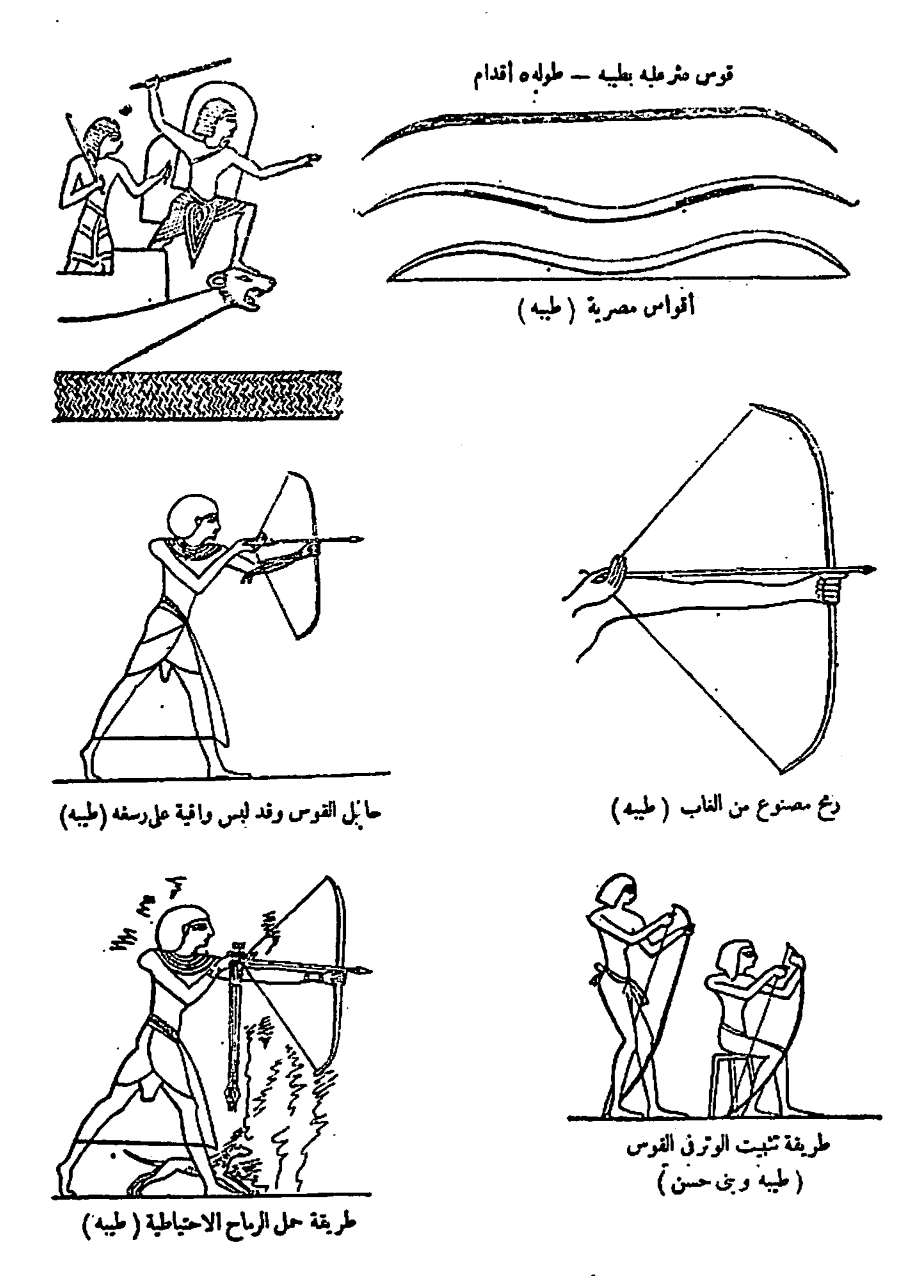
(ش ١١)



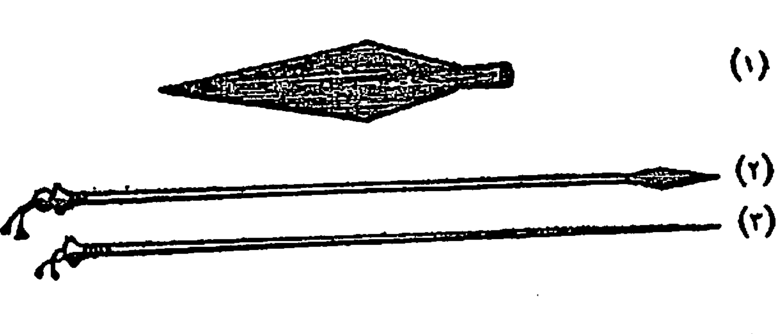
(ش١٢) فصيلة من جنود الدولة القديمة يحملون العصى فى أيديهم اليسرى

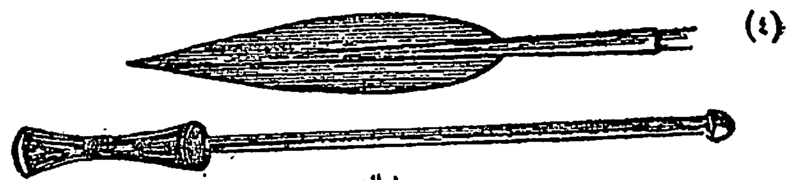


(ش ١٣) فصيلة جنود نظامية من حملة البلط والقسى — طيبة



(ش ١٤) ستة أشكال تبين طرق استخدام القوس المصرية

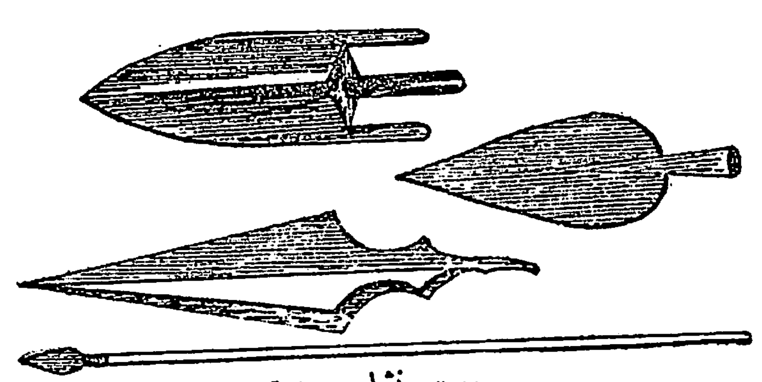




عصا الترميته

١ و ٢ و ٣ من طيبه و ٤ و ٥ من متحف برلين

١ و ٤ رأس رمح و ٢ و ٣ نشاب



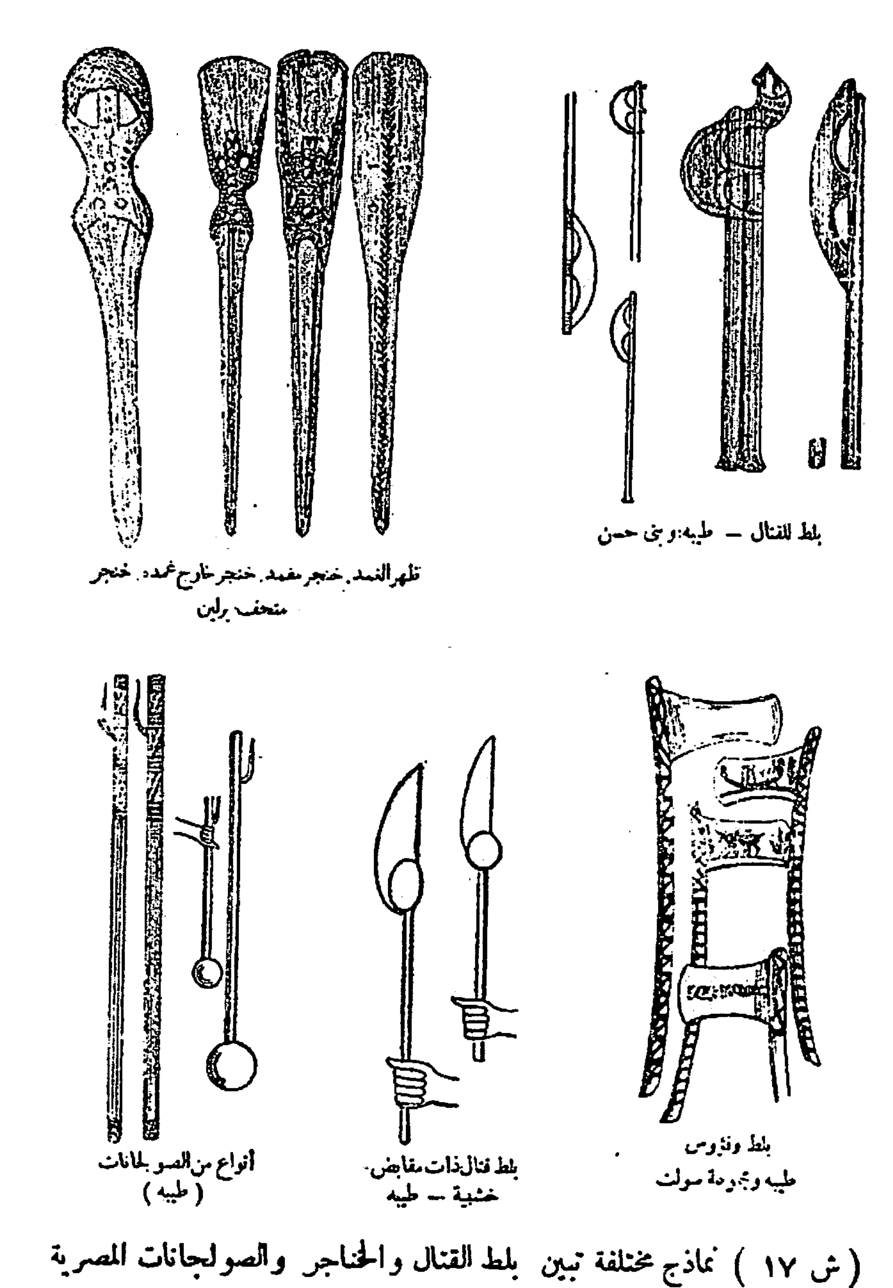
رءوس نشاب صغيرة

من طيبه

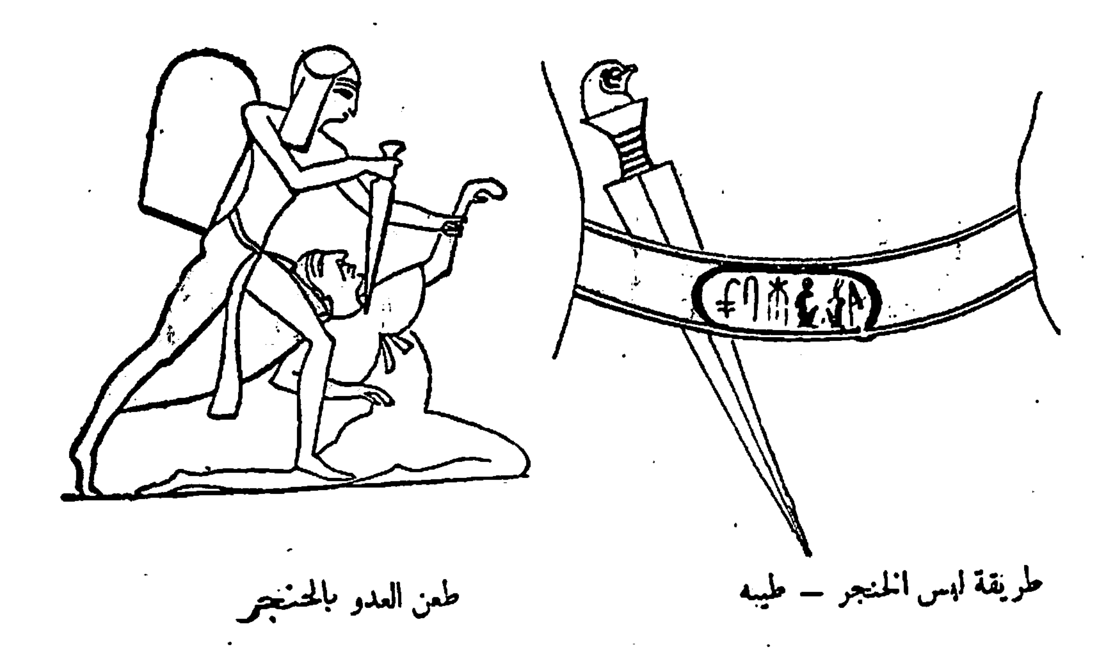
(ش ١٥) أشكال مختلفة تبين رءوس النشاب وعصى الترمبيتة



(ش ١٦) خمسة من جنود امنحوتب الرابع (اخناتون)

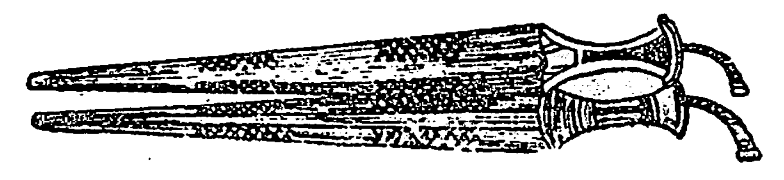


(ش ١٧) نماذج مختلفة تبين بلط القتال والخناجر والصولجانات المصرية



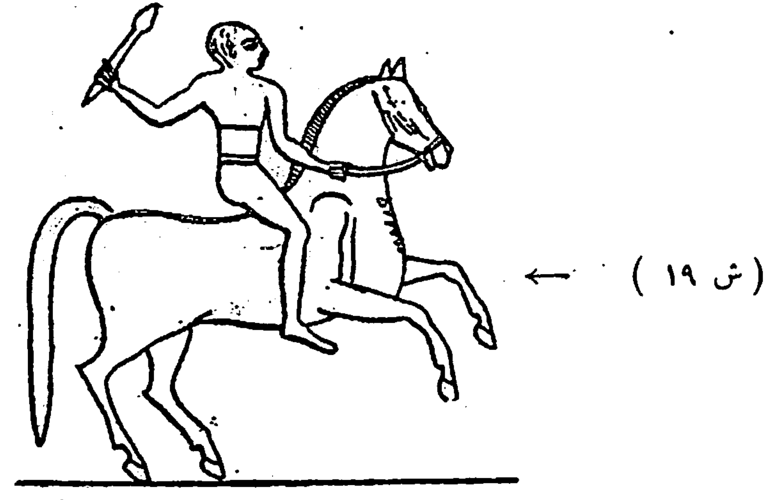
طريقة لبس الخنجر ـ طيبه

طعن العدو بالخنجر



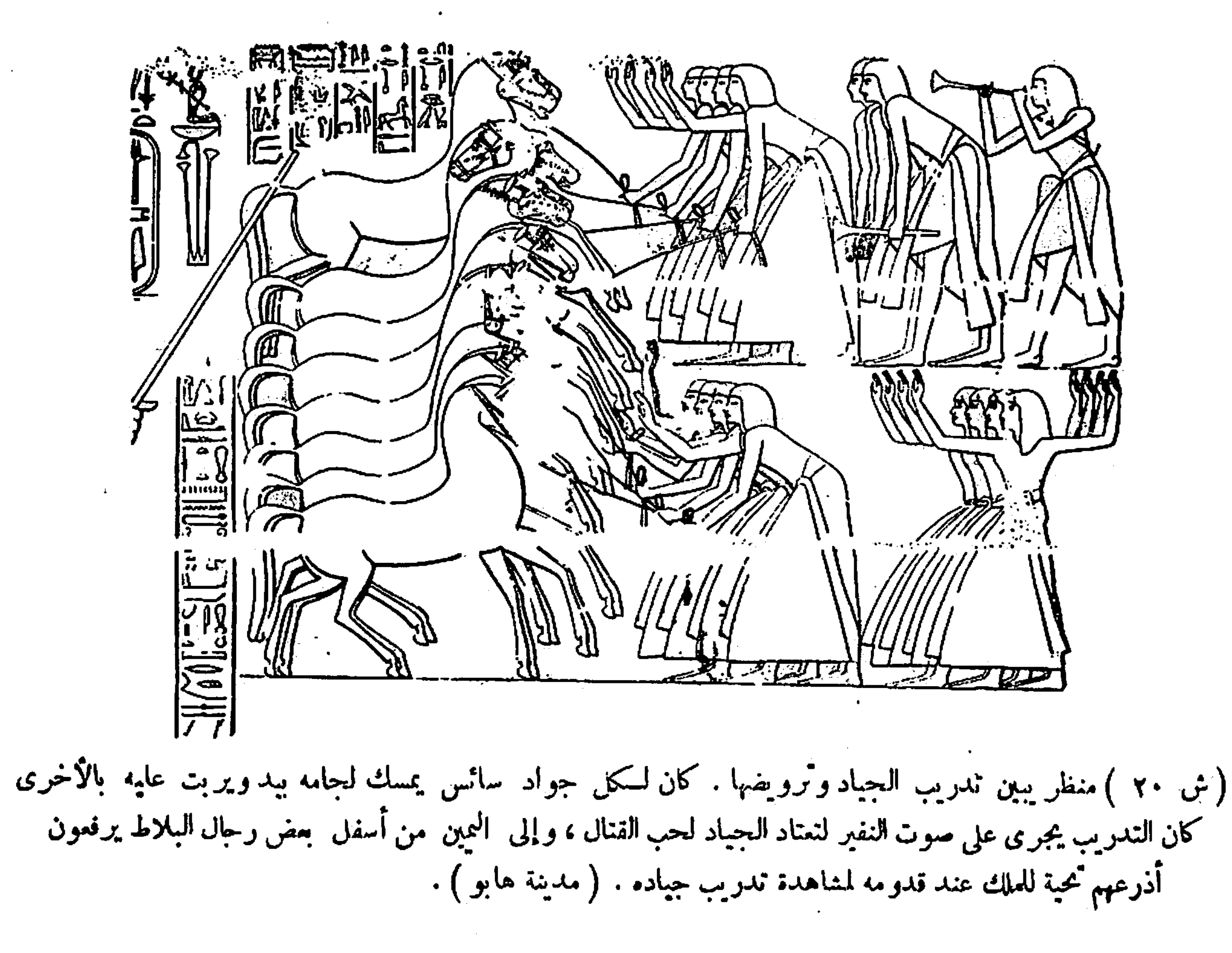
خنجران لهما غمدان ـ طيبة

(ش ١٨) خناجر مصرية وطريقة استخدامها



(ش ١٩) ←

فارس مصرى قديم ـ مدخل معبد إسنا .



(ش ٢٠) منظر يبين تدريب الجياد وترويضها . كان لكل جواد سائس يمسك لجامه بيد ويربت عليه بالأخرى كان التدريب يجرى على صوت النفير لتعتاد الجياد لجب القتال ، وإلى اليمين من أسفل بعض رجال البلاط يرفعون أذرعهم تحية للملك عند قدومه لمشاهدة تدريب جياده . (مدينة هابو) .



طريقة تجهيز الأجزاء الجلدية من عربات القتال — طيبه



طريقة تجهيز الأجزاء الخشبية من عربات القتال — طيبه

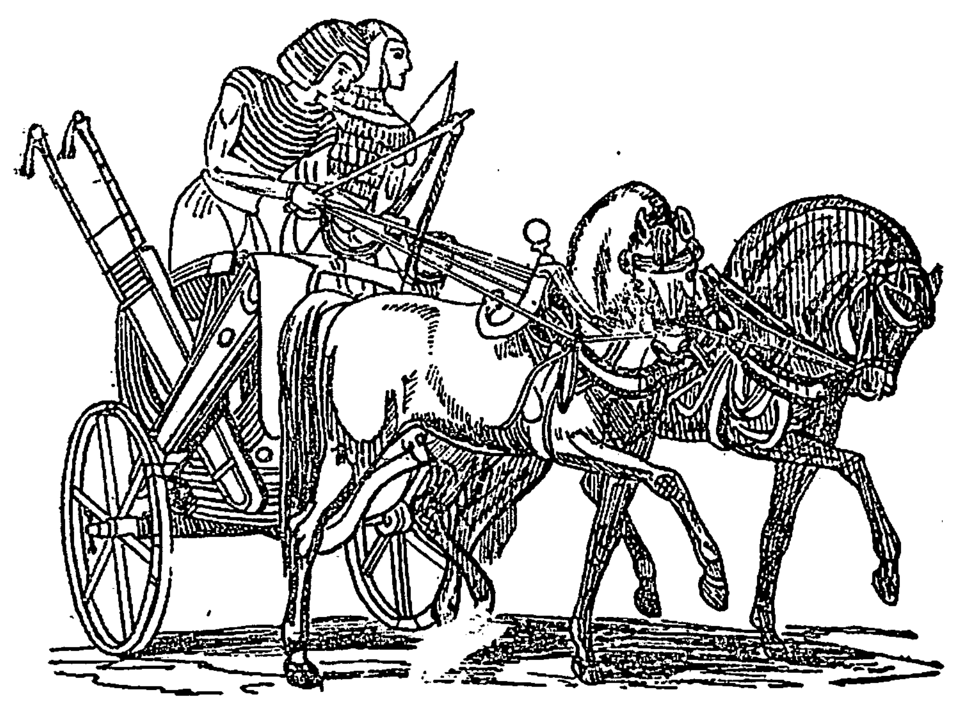


طريقة تجهيز عجل عربات القتال — طيبه



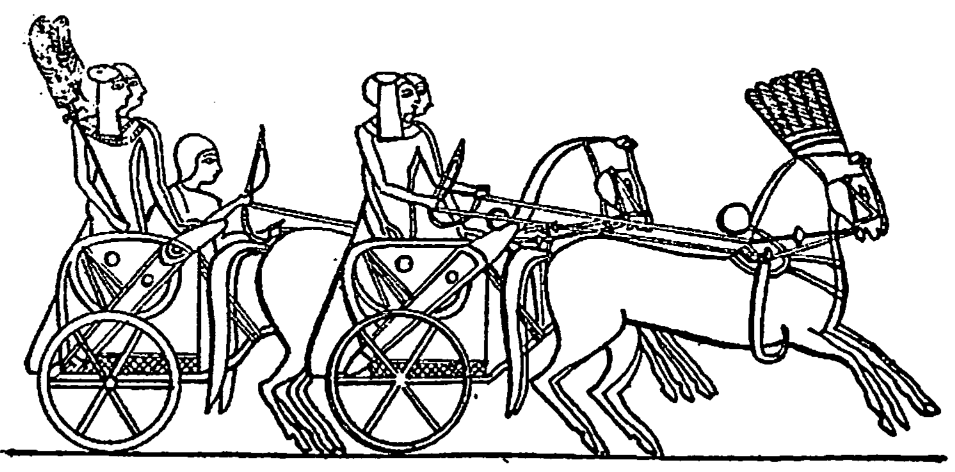
صناعة أجزاء عربات القتال — طيبه

(ش ٢١) مناظر مختلفة تبين طرق صناعة عربة القتال عند قدامى المصريين — طيبة



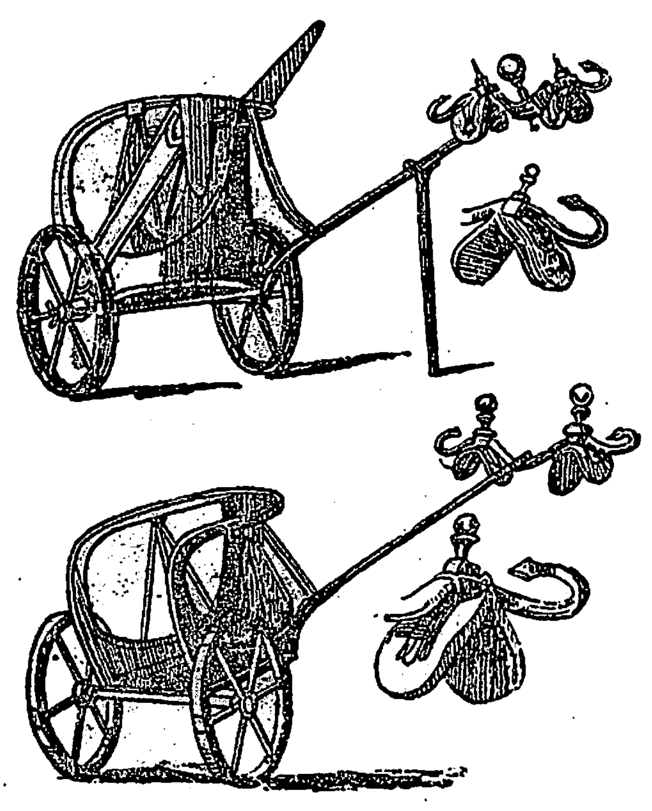
عربة قتال مصرية يجرها جوادان

(ش ٢٢)



أفراد البيت المالك فى عجلاتهم الحربية — طيبه

(ش ٢٣)



عربات قتال وأطقم جياد

(ش ٢٤) عربتان للقتال وقطع أطقم الخيل

عند بين طرفيه . وفى متحف برلين خنجر مصرى قديم بغمده عثر عليه الأثرى (باسالاكوا) فى احدى حفريات طيبة ، وهو يوضح صناعة الأسلحة عند قدماء المصريين .

المدية :

أما المدية فكانت أقصر من السيف ذات نصل واحد وقد استخدمت للقطع وكانت تحملها جنود الأسلحة الخفيفة والثقيلة على السواء .

السيف القصير : (Falchion)

وكان الضباط والجنود يحملون ضمن أسلحتهم سيفا قصيرا، وفى كثير من النقوش يرى الملك مصرمشتبكا مع العدو وهويحمله ومعه البلطة ذات اليد القصيرة أوالنبوت (الصولجان) وكثيرا ماشوهد ضباط للجيش المصرى القديم وهم يحملون العصى الخفيفة كالتى يحملها ضباطنا اليوم . أما فى أثناء قيادتهم للجند للاشتباك فكانت أسلحتهم كأسلحة الملك عندمايحارب على قدميه . وفى حرب العربات كانوا يسلحون بالقوس .

البلطة ذات اليد القصيرة :

وكانت البلطة صغيرة الحجم بسيطة الصناعة لايزيد طولها على قدمين ونصف قدم لها نصل واحد . ولم تر بلطة مصرية ذات نصلين كما كانت عندالرومان . وشكل هذه البلطة يشبه شكل البلطة التى يستعملها النجار المصرى ولم يكن القصد من حملها أن يستعملها الجنود كسلاح هام فى الاشتباك ، بل كانوايهشمون بها أبواب المدن التى يهاجمونها أو يكسرون الأشجار التى يحتاجون إلى خشبها لمعداتهم . وكانت البلطة أقل جميع أسلحة القتال زخرفة وبعضها نقش على نصله صورة حيوان أو قارب أو رمز من الرموز الدينية ينتهى فى الغالب بقدم غزال . وكان الجندى خلال مسيره يحملها فى يده أو يعلقها على ظهره . ولم يظهر على النقوش الأثرية هل كان للبلطة غمدا أم لا . وكانت أيدى بعض البلطات قصيرة جدا لاتزيد قدما عن طول النصل

وإن كان طولها فى الغالب يقرب من ثلاثة أقدام وكان شكل النصل فى الغالب نصف دائرى ، وقد تفنن الصناع فى نقشه ورسمه .

الصولجان :

ومن أسلحة المصريين الصولجان الخشبى . وكان يحاط بأسلاك البرونز . طوله قدمان ونصف قدم ، تشتبك فى احدى نهايتيه قطعة مثلثة من المعدن تسمى الحارس لتحكيم اليد فوقها حتى لا تفلت عفوا أثناء الضرب . له كرة معدنية تضرب بها الخوذات والدروع وكانت تسلح به الجنود المشاة أو جنود العربات الحربية الذين كانوا يحملون صولجانين معهم يعلقان على جانبى العربة . وكان للصولجان شأن كبير عند اشتباك فريقى المعركة . فتظهر البسالة بأجلى مظهر لأن فرقة من الجنود الشجعان حملة القضبان يستطيعون إرباك العدو وتحطيم قواه بسرعة .

وكان لدى المصريين نوع آخر من الصوالجة منتظم السمك فى طوله الكامل عريض فى نهايته العليا وليست له كرة أو حارس . وكانت العصى المقوسة أو النبابيت (اللسان) تستعملها جنود الأسلحة الخفيفة أو الثقيلة أو حملة الأقواس . وهذه العصى وإن كانت تظهر لأول وهلة كسلاح عديم الفائدة لكن التجارب أثبتت أنها تفى بالغرض أثناء الالتحام ، وكانت قبائل البشاريين إلى عهد قريب تستعمل العصى بدلا من السيوف .

العربة الحربية :

كانت تسع العربة راكبين على مثال العربة الاغريقية وتسع أحيانا ثلاثة : السائق وقائدين . لكن كان ذلك نادرا ولم يشاهد إلا عندما كان الملك يصطحب أميرين فى بعض الحفلات أحدهما يحمل الصولجان الملكى أو الفلا بيلا والآخر يقود العربة ، وفى القتال كان كل ضابط يركب عربته ومعه سائقه وتعلق خلفه العلامة المميزة له حزام عريض ،ويكون حرا فى استعمال يديه للقوس والأسلحة الأخرى . وعندما يخرج الملك أو أحد الزعماء بقصد النزهة أو لزيارة صديق يستقل عربته وحده

فيقودها بنفسه وأمامه تجرى السواس . فإذا وقفت العربة قبض هؤلاء على السروع ثم يأخذون جياد العربة الحربية لتسيرها بعيدا حتى عودة السيد . وكنت ترى دائما فى المعركة هؤلاء الاتباع على استعداد لأية إشارة . فإذا نزل قائد من عربته لقيادة جنوده فوق تل أو مرتفع لا تستطيع العربة تسلقه أو عند حصار مدينة محصنة أسرع هؤلاء الاتباع إلى الجياد وأخذوها إلى مكان أمين حتى عودة سيدهم ، أو تبعوه عن كثب ، وفى الغالب كان يوجد فريق آخر يقود العربات فى مؤخرة الجيش لاستبدال العربات للتقدم عند حدوث مفاجئات أو عندما تضطره الأحوال العسكرية للتقهقر .

ويرى الملك فى المشاهد العسكرية المنقوشة على جدران المعابد المصرية راكبا جواده وفى عربته وليس معه سائق . والسروع ملفوفة حول وسطه . ويرى كذلك وهو يحنى قوسه ضد الأعداء . ويحتمل أن الفنان المصرى تعمد عدم إظهار السائق بجانب الملك لاعتبارات فنية ولكى يظهر الملك وحده واضحا على الآثار واشتملت العربة الحربية على راكبين من درجة واحدة يشتركان معا فى خطر القتال ومجده . فاذا كان سائق العربة الملازم للقائد لايحمل رتبة عالية كان يعد تعيينه لهذا العمل فخرا وامتيازا . وفى الغالب كان لايعلأ هذه المناصب إلا أصحاب الأخلاق الحميدة والمنزلة الرفيعة والذين كانوا أهلا لاكتساب الشرف لملازمتهم أبناء الملوك والأمراء والقواد ، وكان أكثر الضباط المصريين ماهرين فى قيادة عرباتهم الحربية لايحتاجون إلى من يقود لهم عرباتهم ، وكانوا يعتبرون ذلك فخرا لهم ودليلا على مهارتهم فى استعمال أسلحتهم فى أثناء قيادتهم للعربة .

لم توضح الآثار عربات مصرية يجرها أكثر من جوادين وإن كان بعض أعداء المصريين استعملوا العربات التى تجرها أربعة جياد . وكان فيلق العربات المصرية كالمشاة مقسما إلى جنود خفيفة وثقيلة وكلاهما مسلح بالأقواس فالأول هو سلاح العربات الخفيفة فكان يستخدم لإزعاج العدو بمقذوفات الحجارة ولذلك كان يستلزم خفة الحركة أما الثانى وهو سلاح العربات الثقيلة فكان يستخدم لتفريق شمل الجماعات الكثيفة من مشاة الأعداء بعد أمطارهم بوابل من السهام الثقيلة .

أطقم جياد العربة الحربية :

كان يتكون طاقم رأس الجواد من خزام الأنف وقطعتين عموديتين من الجلد ينتهيان ، بوردة من الجلد ، ثبتت فيها قطع لتغطية الجبهة والرأس والاذنين وفوق الرأس على هيئة طاقية من الجلد تشبه الهاون ، ثبتت فيها زهور صناعية أو ريش نعام . أما الزمام والزمام الإضافى فيبدآن من الشكيمة ، ويجد طوق يرتبط بطاقم الرأس يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية ، حزام من الجلد عريض نوعا ما ذو شكل دائرى يغطى الكتف ، وحزام أقل عرضا يحيط بجسم الجواد ورخو إلى حد ما ، وحزام ضيق مشدود على الصدر ، أما بقية أجزاء الجسم فحرة ، وكانت صورة المعبود سوتخ سيد الخيول تنقش على الحاجب الذى يوضع على أعين الخيل .

وانا لنشاهد كثيرا من أنواع الأسلحة القديمة معروضة فى أبهاء المتحف المصرى . فيرى الزائر مجموعة من أسلحة الغلران (الصوان) التى ترجع إلى عصور قبل التاريخ فى مصر . كما يشاهد مجموعة أخرى من العصى والحراب والبلط والخناجر والعصى المعقوفة التى ترمى بها الطيور ومقابض للتروس .

وبين مكتشفات مقبرة توت عنخ آمون يشاهد هيكل عربة حربية من خشب مذهب ومزين برسوم بارزة ومطعم بشرائط من الزجاج المختلف الألوان . وفى الوسط « خراطيش » الملك والملكة يحملها صقر باسطا جناحيه وبين قمة العربة وحافتها الخارجية جملة رسوم تمثل ستة من الأسرى الزنوج والأسيويين . وبالقرب من هذه العربة يشاهد الزائر مركبة أخرى عليها شارة الملك على شكل أبى الهول يطأ أسراه بأقدامه ويرى أيضا أربعة سروج من عدة الجياد التى كانت تجر العربات وقد ازدان زوج منها برأسين مذهبين للآله « بس » .

وتحتوى مقتنيات مقبرة هذا الملك الشاب على مجموعة جميلة من الأقواس المطعمة والمكسوة بالذهب والعصى الخشبية المزركشة برقائق الذهب والصوالجة والأقواس والمدى والسكاكين والسهام التى لايزال كثير منها محافظا على رياشه ، ونصالها مختلفة المواد والأشكال . فمنها ما هو مصنوع من البرونز على شكل كمثرى

أو رمانة ومنها ماهو مصنوع من الزجاج أوله أسنة من العاج أو من الخشب . ومنها ماهو مدبب أو مخروطي النصل للعب .

توزيع الأسلحة والمهمات العسكرية :

عندما تقرر الحرب ، يتم توزيع الأسلحة والمهمات في حفل رائع يحضره الملك شخصيا . وعلى سبيل المثال كان رمسيس الثالث يتخذ مكانه على شرفة فوق ربوة عالية ، وقد اتكأ بذراعه على وسادة ، فيتقبل التحيات ويسمع خطب ضباطه ، ثم يتحدث إليهم بنفسه : أخرجوا الأسلحة واعرضوها على الملأ ، حتى تخمد شجاعة أبي آمون البلاد الثائرة التي تجهل قدر مصر . وكان يرتدي في هذه المناسبات الزي الكامل الذي يتكون من مئزر فخم ، وفي قدميه نعلاه ، ويتجمع حوله ولي العهد والكاتب الملكي وعدد كبير من عظماء الضباط . فكانت ترص الأسلحة على اختلاف أنواعها : فهذه خوذات من النوع ذي الحواف الذي يغطي الرأس ، وخلف الرقبة على السواء ، ولها شريطان مدليان من أعلا . وترى السيوف والقسي المثلثة وجعاب السهام والدروع التي تقي جسم المحارب ، والخناجر ذات النصال المقوسة على هيئة المنجل ، لها أيد طويلة تنتهي بقبضة كروية عرفت في مصر باسم خبش : ثم يتقدم الجنود الواحد تلو الآخر في صف طويل ، وبأيديهم الخالية يتسلمون الأسلحة ، ومن ثم يتحركون وفي الوقت نفسه يقيد الكتاب أسماءهم ونوع السلاح الذي يحملونه .

أعـــلام الجيش

ظهر العلم في وادي النيل ثم عرفته جميع الشعوب القديمة الذين اختلطوا بالمصريين كالآشوريين واليهود والفرس واليونان والرومان .

كان لكل إقليم من الأقاليم المصرية معبود خاص ولكل معبود رمز خاص . فكان العجل أبيس رمز المعبود « بتاح » النازل من السماء — وابن آوى والحية والباشق وغيرها . وقد ذكر المؤرخ اليوناني « بلوتارك » أن قدماء المصريين اتخذوا تلك الطيور والحيوانات آلهة لهم لأغراض سياسية .

فكر رؤساء تلك الأقاليم القديمة فى أن يضعوا فى مقدمة جيوشهم أعلاما عليها رسوم بعض الطيور وأنواع الحيوان لتمييز قوات الأقاليم بعضها عن بعض . فلما انتصر المصريون وفازوا على أعدائهم اعتبروا الطيور والرموز الأخرى المنقوشة على الأعلام حماة لهم واتخذوها فيا بعد رموزا مقدسة لمعبوداتهم المحلية .

وذكر بعض المؤرخين القدماء أن الأعلام استعملت فى الدولة المصرية القديمة قبل اتخاذهم لبعض الطيور والحيوانات آلهة لهم . وان هذه الطيور والحيوانات والرموز اتخذت معبودات للمصريين ووضعت بعدئذ على اعلام قبائلهم لغرض سياسى وقال آخرون إن تلك الطيور والحيوانات أو الرموز عدت آلهة فى الوقت الذى أنشئت فيه تلك الأعلام .

وكان لكل كتيبة ولكل سرية علم خاص يرمز لمعنى أو لفكرة دينية أو يحمل اسما لإله من الآلهة أو ملك من الملوك أو حيوان مقدس . وكان الجنود إما أن يتقدموا العلم أو يتقدمهم العلم وكان ينظر الجنود إلى أعلامهم باحترام وتبجيل . وقال : « ديودور » أن الأعلام كانت تركب على رمح أو عود من خشب الزان يحمله ضابط يسير فى مقدمة الوحدة العسكرية . وكان هذا العلم فى الحقيقة بمثابة قائد للجند فهو الذى يحركهم وهو الذى يشجعهم ويبث روح الحمية فيهم فى أوقات القتال العصيبة . وقد كان منصب حامل العلم أشرف وأهم المناصب التى يصبو اليها كل جندى فى الجيش المصرى القديم . فكان ينتخب لحمله ضابط له شخصية نبيلة ومكانة معروفة . كاامتاز عن زملائه بعلامة يضعها حول رقبته وتمتد إلى تحتها قليلا وتتكون من أسدين وشارتين صغيرتين تمثلان فى الغالب ذبابتين .

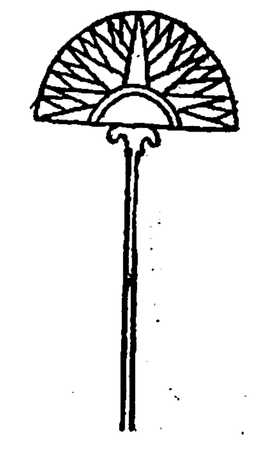
وإلى جانب أعلام الوحدات كاللواءات والكتائب والسرايا ، كانت هنا الأعلام الملكية التى يحملها رجال البلاط المقربون إلى فرعون مصر . وكان معظم حامليها من الأمراء أو أبناء الاشراف الذين يؤلفون غالبية رجال حاشية الملك أو هيئة أركان حربه . وكانت رتبهم فى الغالب « قوادا » (جنرالات) . وكانت مراكزهم فى أثناء احتفالات النصر أو التتويج أو الحفلات الملكية قريبة جدا من الملك . كما كان يحمل بعضهم المراوح الملكية أو الصولجانات . وكانت مراكزهم سواء إلى يمين الملك أو يساره أمامه أو خلفه تتوقف على أهمية كل منهم .

الموسيقى العسكرية

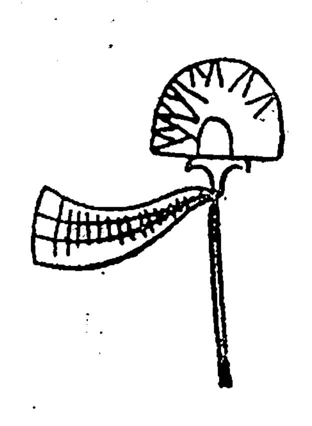
كانت تجمع جنود الوحدات على صوت النفير — وعرف المصريون هذه الآلة الموسيقية منذ أقدم العصور التاريخية . وقد خلد النقاش المصرى بفنه الدقيق على الآثار المصرية مواقف عدة « للبروجى » وهو ينفخ فى النفير لجمع الجنود . أو يرى فى طليعتهم لتشجيعهم على الهجوم السريع ، أو للسير بخطوات متزنة . وقد ذكر المؤرخ « كليمنس » أن المصريين كانوا يسيرون إلى ميادين القتال على صوت الطبول . وقد أيدت بعض نقوش الآثار هذا الرأى .

وكان النفير المصرى (البوق) آلة يبلغ طولها ذراعا وتصنع من المعدن الأصفر ذات بوق للفم واضح الظهور — مخروطية الشكل تزيد نهايته فى الاتساع بوضوح

والنفير على هـذه الصورة لا يؤدى غير نغمة واحدة وجوابها . وهو لذلك لا يستعمل الا فى الاشارات ، وكان أهم استعماله فى الحروب . فهو آلة حربية وإن كانت تستعمل أحيانا عند تقديم القرابين وأول ظهور النفير كان فى الدولة الحديثة إذ عثر على أول صورة فى نقوش عصر تحوتمس الرابع .

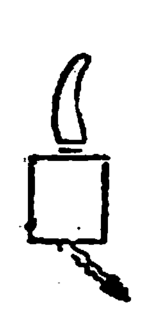


(شكل ١)
أقدم أشكال العلم المصرى على شكل مروحة — منقوش على أحد جدران الدير البحرى من عهد الملكة حتشبسوت . استعمل فى وحـدات الجيش والبحرية

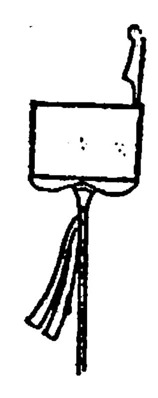


(شكل ٢)
علم عهد الملك أخناتون . وكان يحمله حراسه فى الحفلات . ويميز على علم عهد حتشبسوت بقطعة القماش الثلاثة الألوان (أحمر . أحمر . أخضر) المثبتة بعود العلم

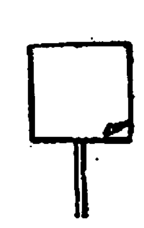
(ش ٢٥ — ٢٦)



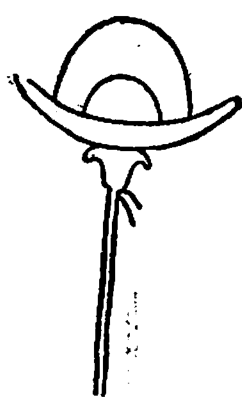
(شكل ٥)
يلاحظ فى هذا العلم أن الريشة مثبتة فى وسط الجانب العلوى للمربع.



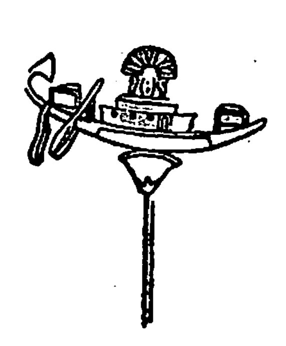
(شكل ٤)
علم مربع الشكل مثبتة فى زاويته العليا ريشة نعام أو بدونها . شوهد هذا العلم بين مشتملات منظر عن رمسيس الثالث وهو يوزع العتاد على جنوده قبل المعركة



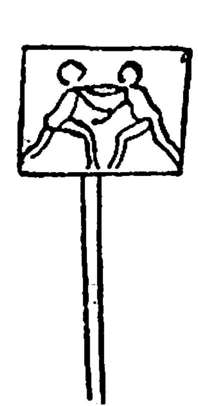
(شكل ٣)
علم مربع الشكل مثبت بعمود . والمربع فى الغالب غير مزخرف وكذلك العمود وقد تثبت به قطعة القماش الملونة أو يكون بدونها



(شكل ٨)
علم سفينة قد تكون سفينة الشمس . أو علم وحدة من الجنود المفترعين فى مقاطعة هليوبوليس أو منطقة أخرى اتخذت قرص الشمس عبادة لها

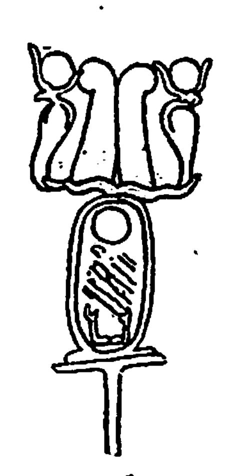


(شكل ٧)
علم سفينة الملك واسمها «محبوبة آمون» . وكان اسم حامل العلم بيامون [المقبرة ١٩]



(شكل ٦)
علم كان يرفعه البحارة (النوتية) النوبيون

(ش ٢٧ ـ ٣٢)



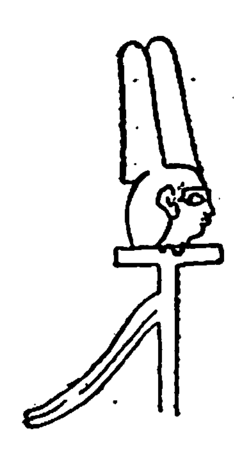
(شكل ٩)

علم وجد منقوشاً على جدران الدير البحرى . يمثل خرطوش الملكة حتشبسوت . وعليه فى الوسط ريشتان ورموز أخرى



(شكل ١٠)

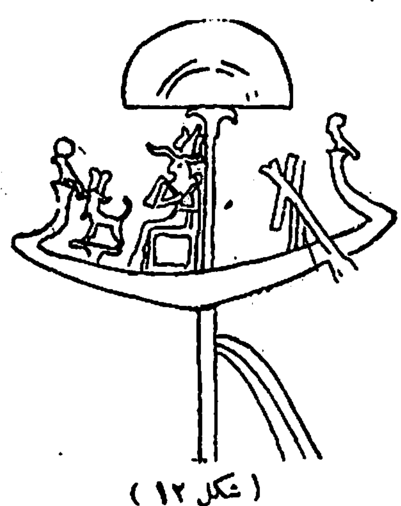
علم يمثل رأس Falcon وقرص عليه ريشتان



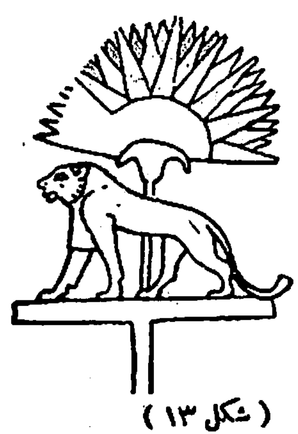
(شكل ١١)

علم يمثل رأس بشرية عليها ريشتان

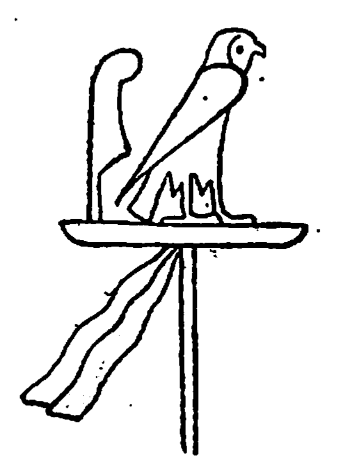
(ش ٣٣ ـ ٣٥)



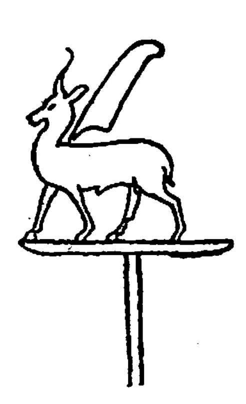
(شكل ١٢)
علم التدريب لاحدى الوحدات البحرية
وهذا العلم خاص بسفائن الملك وعليه
صورة للملك جالس على العرش



(شكل ١٣)
علم وحدة بحرية عليها أسد ومروحة

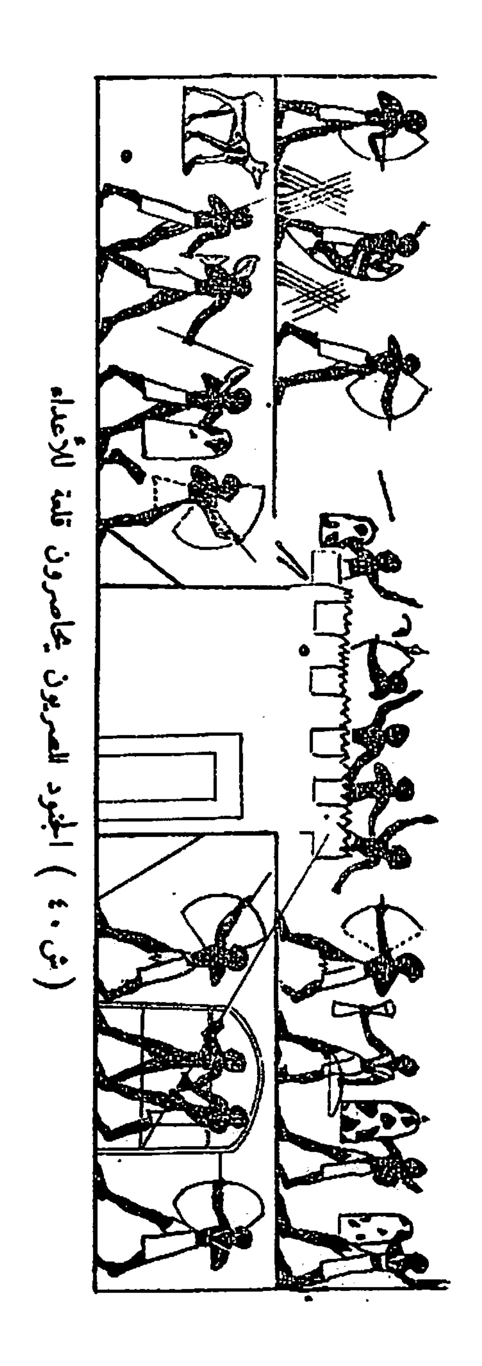


(شكل ١٤)
علم وحدة بحرية عليها صقر وريشة



(شكل ١٥)
علم وحدة بوليس العاصمة عليها الغزال
وريشة نعامة

(ش ٣٦ — ٣٩)



(ش ٤٠) الجنود المصريون يحاصرون قلعة للأعداء

٢ – حروب مصر القديمة

معارك الأسرات المصرية

مينا وتوحيد مصر :

إذا عدنا إلى عصر ما قبل التاريخ المصرى لوجدنا مصر قد غمرتها الحروب الداخلية . فقد نشبت المعارك بين المصريين أنفسهم ، بين سكان الشمال وأهل الجنوب وأستمر الصراع مدة إلى أن وحدت الأرضان فى أيام مينا مؤسس الأسرة المصرية الأولى (٣٢٠٠ — ٣٠٠٠ ق . م) .

كان سكان مصر فى عصر ماقبل الأسر يعيشون على جنبات وادى النيل ، فى جماعات أو قبائل تخضع لكبير فيها . ثم دفعت الطبيعة المصرية تلك القبائل إلى المسير خطوة أخرى نحو المدينة ، فاتحدت وكونت مدنا لكل منها حكومتها ، وأتخذت كل مدينة لنفسها الها يحميها . غير أن وادى النيل وما تتطلبه الحياة فيه من تعاون ووئام ، مازال يلح على سكانه فى الاتحاد ، حتى أندمجت المدن بعضها فى بعض ، وتكون منها عدد من الأقاليم أو المقاطعات . وكانت هذه المقاطعات مستقلة فى بادىء الأمر وإن لم يطلق على حكامها لقب « ملوك » . وبعد فترة من الزمن قامت حركة أتحاد جديدة فى البلاد ، انتظمت على أثرها مقاطعات الدلتا فى مملكة واحدة أطلق عليها اسم مملكة الوجه البحرى ، وكانت عاصمتها بوتو (دمنهور) ومعبودها الرسمى الإله « حور » .

وفى الوقت نفسه تكونت من مقاطعات الصعيد مملكة واحدة عاصمتها « نخن » [1] (الكوم الأحمر بمركز إدفو) واتخذت « ست » الها رسميا لها .

---

(١) هيراكونبوليس

ولم يكن ذلك التقسيم مما يتفق ومطالب الحياة على ضفاف نيل يربط الدلتا بالصعيد رباطا وثيقا يأبى أن يعوقه أى انضمام ، ففكر ملوك هاتين المملكتين فى الوحدة ، وأخذ التنافس يشتد بين الوجهين ، كل منهما يريد لنفسه السلطة فى المملكة المتحدة الجديدة . وتهيأت الأمور أخيرا لأمير من أمراء الجنوب يدعى « مينا » من أهالى طيبة بالقرب من العرابة المدفونة « بيدوس » بمركز البلينا .

واستطاع هذا الأمير أن يضم مملكة الوجه البحرى تحت سلطانه حوالى سنة ٣٠٠٠ م ، وأن يضع على رأسه تاجا مزدوجا يتألف من تاج الوجه القبلى وتاج الوجه البحرى معا ، وشيد لمملكته عاصمة جديدة على مقربة من عين شمس سماها « من نفر » أى المدينة الجميلة ، وهى التى سماها اليونانيون ممفيس ، واسمها الآن (ميت رهينة) ...

وهكذا بدأ عهد الأسر فى مصر القديمة .

ثم كانت معارك هذه الأسرة الأولى ضد البدو الرحل فى سيناء ، وضد أهالى الواحات فى الصحراء الليبية ، وضد النوبة ، لتأمين البلاد من الغزو .

وقاد ملوك الأسرة الثالثة حملاتهم إلى سيناء ، فغلبوا البدو ، ثم اتجهوا نحو جنوب فلسطين ، كما حاربوا فى أقليم النوبة . وجاء من بعدهم ملوك الأسرة الرابعة (٢٩٠٠ — ٢٧٥٠ ق . م) ، ومن بين ملوكها « سنفرو » الذى أرسل حملة بحرية لموانىء سورية ، فأخرى برية إلى سيناء لجلب المعادن ، وحارب جنوده ضد الساميين الرحل فى الصحراء الشرقية .

وكان الملك « أوسر كاف » أول من أوفد حملة إلى بلاد بونت وشواطىء عدن .

ومن ملوك هذه الأسرة المحاربين « سحورع » ، فقد تجاوزت حملاته سيناء وفينيقيا والنوبة وبلاد بونت . (الصومال) .

وفى أيام الأسرة السادسة (٢٦٢٥ — ٢٤٧٥ ق . م) أرسل الملك « بيبى الأول » عدة حملات ضد الأسيويين بقيادة أحد قادة الجيش وأسمه « أونى » .

وقد يكون من أهم مخلفات عصر بيبى الأول — تلك النقوش التى تركها لنا قائده « أونى » ، وقص علينا فيها ماكان يقوم به من الأعمال ، وما حظى به لدى الملوك الذين عاصرهم . قال القائد :

« قام الملك بحملة تأديبية ضد الأسيويين رؤساء الرمال ، وقد جهز جلالته جيشا مؤلفا من عشرات الآلاف من الرجال من شتى مناطق الوجه القبلى — من جنوب الفنتين حتى أطفيح فى الشمال . وقد وضع جلالته الجيش تحت امرتى ؛ على حين أن فيه الأمراء ، وحاملى خاتم الملك فى الوجه البحرى ، وأصحاب القلاع العظيمة ، ومديرى القوافل ، ومدير السكنه ومديرى الجيوش المرتزقة . وكان كل منهم على رأس فيلق من قلاع الوجه القبلى والبحرى والضياع التى يحكمونها . وقد قدت هؤلاء الجنود بطريق جزيرة الشمال وبوابة أمحوتب . واستعرضت أمامى كل فرقة من هؤلاء الجند .

وعاد الجيش بعد أن خرب بلاد العدو ، وبعد ان أزال قلاعهم . لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن جاء معه بأسرى كثيرين .

وتعد حملة القائد (أونى) إلى فلسطين الأولى من نوعها فى تاريخ مصر ، إذ أننا نعتبرها أول حملة اشترك فيها الجيش والاسطول ، فقد استخدم المصريون الاسطول لنقل مؤن الجيش وعدته ، وتجنبوا طرق الصحراء الطويلة .

ولما تولى الملك « مرن رع » الحكم عين (أونى) حاكما على الوجه القبلى بلقب حاكم الجنوب — وكان أهم عمل له هناك حفره خمس قنوات عند الشلال الأول لتسهيل سير السفن التى كانت تعترضها الصخور ، فمهد الاتصال بالسودان .

وفى أثناء حكم بيبى الثانى أرسلت حملة بقيادة القائد حرخوف إلى النوبة ، وقد دون هذا القائد مخاطراته على قبره .

ثم سادت الفوضى فى أواخر أيام الأسرة السادسة ، وسقطت الدولة القديمة ، واستمر الحال فوضى حوالى قرنين . فى خلال حكم الأسرات السابعة فالثامنة ، ومن بعدهما الأسرتان التاسعة والعاشرة ومؤسسهما « خيتى الأول » ، واتسم ملوكهما بالضعف بينما أخذت سطوة الأمراء ، ولاسيما أمراء أسيوط تنمو . ولما توفى « منتوحتب الخامس » انتهت الأسرة الحادية عشرة .

الأسرة الثانية عشرة

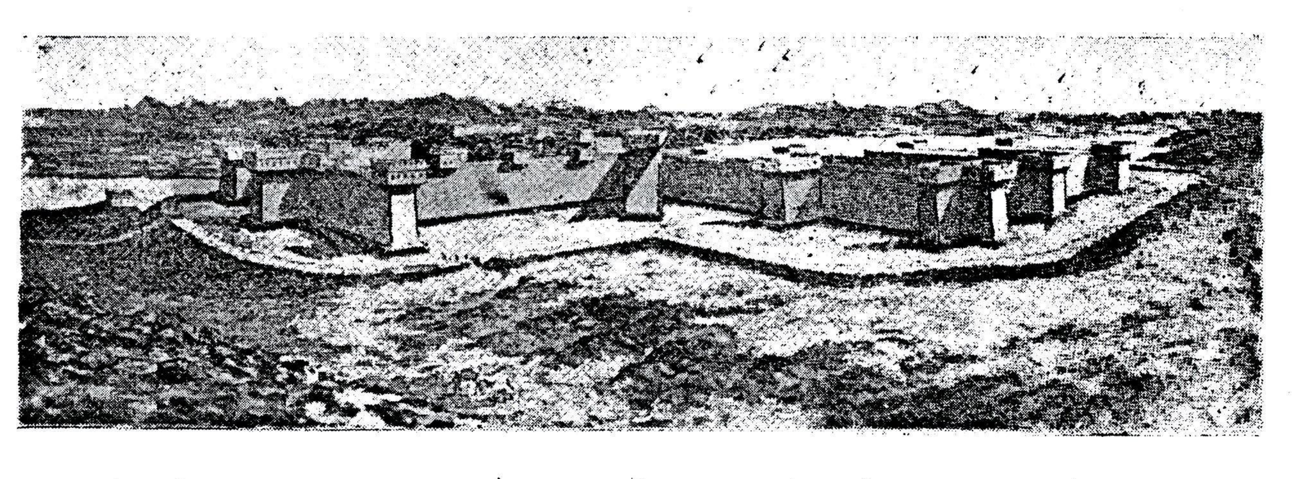
(١٩٩١ — ١٧٧٨ ق . م)

أتيح لهذه الأسرة أن تقيم لها مجدا راسخا ، وتعتبر مؤسسة للحكم الطيبى المهيب ، وكان أول ملوكها أمنمحعت الأول ، الذى صادف حكمه صعوبات كثيرة فى سبيل اعادة أحوال البلاد إلى ما كانت عليه فى أثناء الدولة القديمة ، ثم استطاع بحذقه السياسى ، ودهائه وحزمه أن يبسط نفوذه على مقاطعات الأمراء وأن يوحد السلطة فى البلاد ويستأثر بالحكم .

تمكن فى السنة التاسعة والعشرين من حكمه التوغل بجيشه إلى أرض الواوات حتى بلغ كوروسكو فى نهاية الطريق الصحراوى المخترق لمنحنى النيل . ويحتمل أن ابنه الأمير « سنوسرت » الأول . وكان قد اشركه معه فى الحكم ، هو الذى قاد هذه الحملة . كما أنه أخضع أقوام « الترجلوديت » وهم من البدو الأسيويين ، بشرقى الدلتا وكانوا قد شقوا عصا الطاعة . ثم قوى حصون الحدود الشرقية فى نهاية وادى الطميلات الشرقية ، فاستتب الأمن فى الشمال .

أما فى الجنوب ، فقد انتصر على جيش كوش ، وقد دون منتوحتب قائد الحملة انتصاراته على لوح كبير بالقرب من وادى حلفا ، وقد اشتمل على ثبت بأسماء البلاد التى أخضعها . ثم تولى الملك «امنمحعت» الثانى ، فسنوسرت الثانى ، ثم سنوسرت الثالث المعروف بـ (سيزوستريس) .

تمت فى أيام هذا الملك الفتوحات المصرية فى النوبة ، وأصبح النفوذ المصرى فيها قويا ، فشيد حصنى « سمنة » و « قمة » المتقابلين على النيل فى آخر حدود



(ش ٤١) شيد سنوسرت الأول قرب الشلال الثانى قلعة سمنة لحماية النوبة . (منظر تخيلى)

مملكته الجنوبية ، ثم أقام نصبين حجرين على شاطىء النيل ، وقد عثر على احدهما وعليه النقوش الآتية :ـــ

هذا هو الحد الجنوبى « للمملكة المصرية » فى السنة الثامنة من حكم ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « سنوسرت الثالث » معطى الحياة الأزلية إلى الأزل . ممنوع مرور زنجى كل بطريق المـاء والأرض سواء كان فى سفينة أم فى قافلة . ويستثنى من ذلك الزنجى الذى يعبر الحدود من أجل التجارة ... أو توصيل رسالة فهؤلاء يعاملون بكل إكرام . ولا يسمح بأى حال لسفينة من سفن الزنوج أن تمر ببلدة « حح » (أى سمنة) متجهة شمالا على مدى الأيام .

ولا تزال آثار هذين الحصنين باقية تشهد لمصرى تلك الأزمان بالبراعة الحربية والكفاءة فى أختيار مواقع الدفاع الحصينة والقدرة على تشييد الحصون المنيعة [1] .

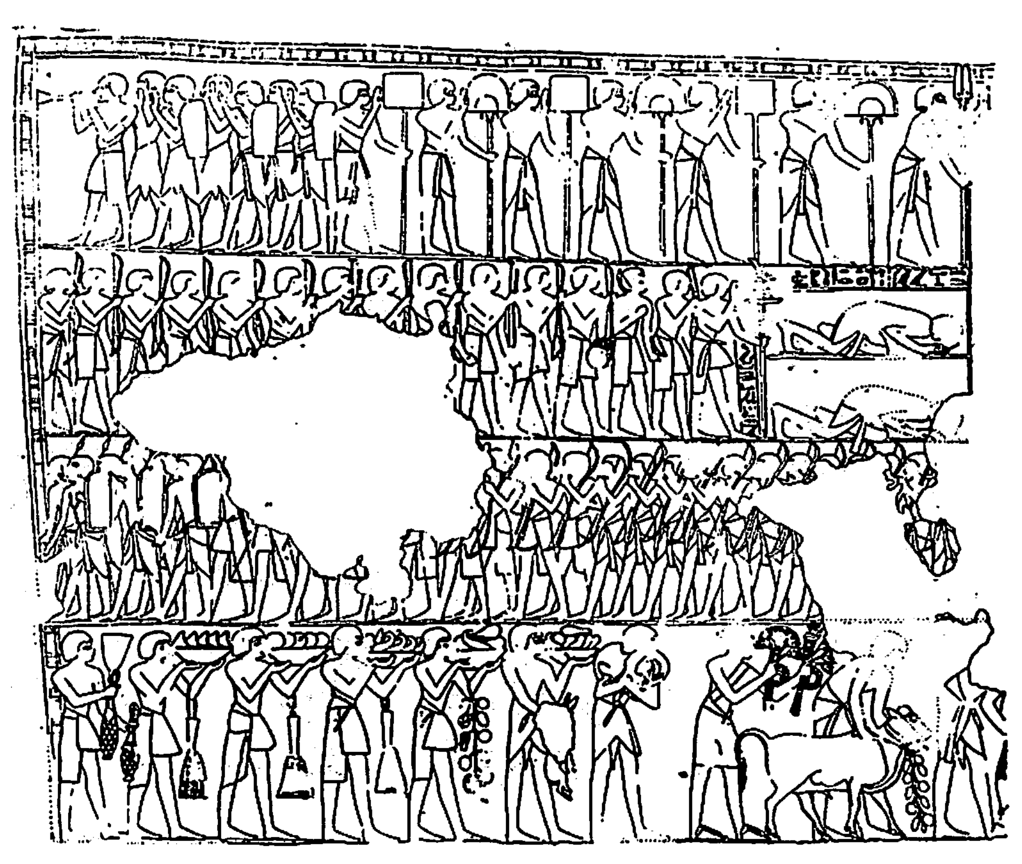
بعد ذلك بأربع سنوات حصلت بالنوبة أضطرابات فذهب الملك بذاته ليخضع القبائل الثائرة . ومع أن مصر لم تدع ملكية أرض كوش الواقعة عند الشلال الثانى ، فقد غزا سنوسرت الثالث تلك البلاد ليبسط سلطانه على مملكته الجنوبية

وفى السنة السادسة عشرة من حكم الملك « سنوسرت الثالث » أغارت قبائل كوش وزنوج شرقى النيل على الحدود المصرية فزحف عليهم الملك بجيش جرار وفتك بهم فتكا ذريعا ، وعاقبهم عقابا شديداً ، واستولى على أغنامهم ، وأقام فى محراب حصن سمنة تذكارا حجريا كالسابق بين فيه حدود مملكته وحض كل من يخلفه على أن يحافظ عليها . وضاعف فى الوقت نفسه دفاعه فشيد حصنا ثالثا فى جزيرة « أورونارتى » جنوبى سمنة . وأطلق عليه « صد الأعداء » وقرر الاحتفال بعيد سنوى فى حصن سمنة تقدم فيه القرابين والهدايا .

ودلتنا الآثار على أن هذا الملك قاد شخصيا جميع حملات الجيش المصرى فى السودان ووطدت نفوذه هناك .

---

١ ـــ غمرتها مياه السد العالى .



(ش ٤٢) منظر من قبر « نب أمون » فى طيبه ، وكان صاحبه ضابطا فى عهد تحوتمس ٤ (الأسرة ١٨) وفيه يرى نافخ النفير ورماحته بدروعهم وحملة الأعـلام .



(ش ٤٣) خمسة من جنود « أمنحتب الرابع » (اخناتون) أولهم يرتدى النقبة ذات الثنيات ويحمل الدرع والرمح والبلطة ، ومن خلفه ثلاثة من الجنود المساعدين الأجانب ومن ورائهم ضابط مصرى فى يده عصا القيادة وسيف معقوف . (تل العمارنة)

وأقدم رواية وصلت إلينا عن غزو المصريين لسورية إلى عهد الملك « سنوسرت الثالث » وجدت على نقوش حجرية فى جهة العرابة ، أقامها أحد القواد المصريين المدعو « سبك خو » (Sebek khu) المحافظ الحربى لعاصمة الملك . ودلتنا هذه النقوش أن « سنوسرت الثالث » أصطحب معه هذا القائد فى غزوة قام بها فى جهة سكمم (Sekmem) حيث هزم السوريون وأستولى « سبك » على أسرى كثيرين وقد افتخر هذا القائد بذلك قائلا :

« لقد أهدى إلى جلالة الملك عصا ذهبية وفضية وقوسا ومدية من مخلوط الذهب والفضة وكذا أسلحة الأسير الذى استوليت عليه . كل هذه الهدايا قدمها لى مليكى بيده » .

وبالرغم من ازدهار البلاد فى أيام حكم « أمنمحمت الثالث » فقد بدأت تعانى مصر الضعف على أيام أمنمحمت الرابع حتى سقطت الأسرة الثانية عشرة . وقامت على أنقاضها الأسرة الثالثة عشرة ، ولضعفها أنفصل الجزء الشمالى من مصر عن الجزء الجنوبى ، ثم قامت الأسرات الرابعة عشرة ، والخامسة عشرة ، والسادسة عشرة .

وعلى أيام تلك الأسرة الرابعة عشرة تغلب الهكسوس (ملوك الرعاة) ، وملكوا البلاد حوالى مائة وخمسين سنة ، وأسسوا الأسرة الخامسة عشرة . وفى خلال ذلك العهد المظلم تعلم الشعب المصرى دروسا كثيرة فى مقاومة المحتلين لبلاده ، ولا سيما فى الصعيد . وكان يعود نجاح الهكسوس إلى مباغتتها البلاد وهى فى أحوال سيئة من الفوضى والكوارث ، وإلى استخدامهم الخيول والعجلات الحربية فى القتال ، الشيء الذى كان يجهله المصريون .

معركة التحرير وطرد الهكسوس

جاء فى أخبار المؤرخ الوطنى « مانيتون » أن الهكسوس قد استولوا على مصر فى سهولة ، وملكوها دون أن يشعلوا نار الحرب ، لأن أمــور المصريين يومئذ كانت مضطربة ، ولأن البلاد كانت مقبلة على السقوط ، فالفوضى قدعمت أمور المصريين جميعا منذ عام ١٧٥٧ ق . م وملكت عوامل الضعف كيان دولتهم . (١) وتحدثنا بردية ساليه (Sallier) (٢) عما كان فى مصر يومئذ من خطر ، وعما أصابها من فقر ، إلى رجال الحكم والنظام من أبنائها . وفيما جاء فى هــذه البردية ما يشير إلى أن أحوال مصر السيئة قد كانت كلها متفقة على الشر ، كأنما كانت وإرادة الغزاة على موعد . فبلغ الهكسوس دلتا الوادى وسيطروا على شمالها ، جاؤوها بخيلهم وعجلاتهم الحربية ، وتطلع المصريون إلى ذلك الغزو ، فملأهم الخوف والرعب من سلاح العدو الذى لم يكن لهم به عهد من قبل .

فمن هم هؤلاء الغزاة الهكسوس ؟

من قائل إنهم من بطون القبائل السامية المنتشرة فى فلسطين وفى ربوع سورية وبلاد الجــزيرة العربية ، نزحوا إلى مصر بسبب ما أصاب أوديتهم من قحط

---

(١) الأستاذ الدكتور أحمد بدوى : أيام الهكسوس . المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١ ، عام ١٩٤٨ .

(٢) وجدت هذه الأخبار مدونة على جدران غار ، يقال له غار أرتميس ، على مقبرة من جبانة بنى حسن . وقد ترجم هذه البردية العالم الألمانى إرمان فى كتابه عن الأدب المصرى . Literatur der Aegypter, Leipzig 1923

وجفاف ، ومن قائل إنهم هاجروا من الأقطار السورية حينما ضاقت عليهم أرضها بسبب ماحل بهم من ظلم حكام « ميتانى » من جهة ، وبسبب ضغط المهاجرين الآريين من جهة أخرى . ويرجح العالم إدوارد ماير أن غارة الهكسوس على مصر وقعت فى الثلث الأول من القرن السادس عشر ق . م

جعل الهكسوس حاضرة ملكهم بعد ما تملكوا مصر (أواريس — صان الحجر) من شرقى الدلتا ، ثم أخذوا يمدون سلطانهم على أقاليم مصر . فتركوا غربى الدلتا تحت إمرة حكام من الوطنيين يسميهم « مانيتون » حكام الأسرة الرابعة عشرة ، ثم واصلوا زحفهم نحو الجنوب ، فوصلوا منف ، واتخذوا منها قاعدة الإدارة وشؤن البلاد الاقتصادية . وبين أخبار مانيتون ، مايشير إلى الفظائع المروعة التى ارتكبها هؤلاء الغزاة ، فقد حرقوا القرى والمدائن وخربوا العمائر والمعابد ، وذبحوا الرجال وسبوا النساء وساقوا الأطفال ، ثم وصل ملكهم سلاطيس إلى منف ، وكان يختلف إليها بين الحين والحين ، ثم ظلوا يواصلون زحفهم ويمدون سلطانهم حتى بلغوا حدود الأقاليم الوسطى من ناحية الجنوب ، ومن الجائز أن يكون الهكسوس قد بلغوا طيبة فى بعض أيامهم ، ولاسيما فى أثناء حكم مليكهم « خيان » الذى كان من أقوى ملوك الهكسوس وأشدهم بأسا ، وليس أدل على ذلك من كثرة ماخلف من آثار ، وهى لم تقتصر على مصر فحسب ، وإنما عدتها إلى سورية وفلسطين وبلاد النهرين وجزيرة كريت .

أعتدى الهكسوس منذ بداية حكمهم على المصريين وعلى عباداتهم وتقاليدهم ، وأتبعوا أشنع الأساليب فى القضاء على كل عزيز عندهم . ولذلك لاغرو أن تقوم بواكير ثورة الحرية فى أيام أحد ملوك الهكسوس ، يسمى أبو فيس ، وقد كان ثالث ثلاثة يدعون بهذا الاسم . أخذ يتحدى الملك المصرى الحاكم يومئذ فى طيبة ويتحرش به . ولقد كان حاكمنا المصرى يدعى « سقنن رع » ، وكان هو الآخر ثالث ثلاثة من أهل بيته يدعون بهذا الإسم . وأخبار الثورة من أيام ذلك البطل معروفة فى الآداب المصرية من عهد الأسرة التاسعة عشرة ، كما زودتنا بها بردية ساليه ، وجاء فيها كيف أن ملك الهكسوس أرهق الملك المصرى الحاكم فى طيبة بمطالب

لا يحتملها ، وكيف أنه ظل يتحداه ويجرح كرامته حتى أثاره . وتشير أخبار الثورة فى البردية المذكورة إلى قوة الحكومة الوطنية ، واتساع نفوذها ، وانتشار سلطانها بين أقاليم مصر ، حين تزعم أن مصر كلها كانت تؤدى خراجها إلى بيت طيبة ، ولذلك لاغـــرو أن يثور بيت طيبة ويثور معه أعوانه من بيوت الصعيد للعزة الوطنية والكرامة القومية ، ومن أجل العيش وتنازع البقاء وفضلا عن ذلك ، من أجـــل الدين . فإن « أبوفيس » ملك الهكسوس جعل من معبوده « ست بعل » إله الآلهة يعكف على عبادته ويحرم على الناس عبادة ماعداه ، ثم يدعو الملك المصرى الى عبادته والإنصراف عن آمون ، بينما يحرص ذلك الأخير على أن يكون آمون رب الأرباب ، وهكذا يتنافس الاثنان تنافسا دينيا خالصا ، ثم ينتهى الأمر إلى تلك الثورة ، ثم الحرب التى أدت إلى مصرع ملك طيبة .

قام المصريون حينما وجدوا الزعيم الثائر ، يدفعون الأذى عن نفوسهم ، ويطلبون الحرية لحياتهم ، ويسعون لتخليص وطنهم من الذل ، واستعان البطل « سقنن رع » بأوليائه من بيوت الصعيد ، ومن ناحية إدفو بنوع خاص . وكانت له فى جهاده شريكة وسند قوى : هى زوجته الملكة « إياح حتب » وهى أم خليفتيه وبطلى الجهاد من بعده « كاموسى » و « أحموسى » !

ثار « سقنن رع » ومواطنوه ، وصرع فى ميدان القتال ، وربما كان موته نتيجة لمؤامرة سياسية دبرها العدو ومن والاه من الخونة . ومن آثار مقتله طعنات ثلاث فى فكه الأيسر ، سقط بعدها فاقد الوعى ، حيث أهوى عليه القاتل بطعنتين أخريين ، أصابت إحداهما مافوق الحاجب الأيسر ، بينما شقت الأخـــرى عظام رأسه ، ولما أستيقن أعوانه من موته ، أسرعوا إليه ولفوه بلفائف من الكتان ، ثم وضعوه فى صندوق من الخشب مموه بالذهب ، وأودعوه قبره فى طيبة .

حمل « كاموسى » لواء الثورة بعد سلفه ، وقصة ذلك معروفة على أثر من آثار المصريين ، يتمثل فى لوح من ألواح أبناء المـــدارس ، يعرف فى كتب التاريخ

« بلوح كارنارفون »[1] وتشير الأخبار المنقوشة عليه إلى أن الملك كاموسى قد ضاق بنفوذ الهكسوس فى مصر ، وكان خطرهم يهدد ملكه من ناحية الشمال ، وضاق أيضا بتقدم النوبيين ، وكان خطرهم يهدد ملكه من ناحية الجنوب . فدعى ذلك إلى نداء رجال بلاطه وأمراء جنده ليشاورهم فى الموقف ، فلما حضروا قال لهم :

« وددت لو أعرف ماذا تجدى على شجاعتى ، فهذا أمير يجلس فى أواريس ، وهذا آخر يجلس فى النوبة ، وها أنا قد أحصرت بين آسيوى ونوبى ، وقد أخذ كلاهما يقاسمنى أرض مصر ، وهؤلاء البدو (الهكسوس) قد توغلوا فى البلاد وما كنت أقدر أن يصلوا إلى منف ولكنهم أدركوا « الأشمونيين » .

ولما جاء دور كلامهم أبانوا للملك أن نفوذ الهكسوس لا يمتد إليه ولا يؤذى سلطانه ، فضاق « كاموسى » بآرائهم وكره منهم ضعفهم ، وأقسم ليخرجن الى العدو فيبقرن بطنه ، لأنه يريد أن يحرر مصر ويضرب الهكسوس . وختم كلامه قائلا :—

« ألا فليعلم أهل طيبة أن كاموسى سوف ينقذ مصر ، ويحفظها من مهاوى الهلاك ، لسوف أخرج الى العدو بأمر آمون ، فهو وحده الهادى سبيل الرشاد » .

وخرج كاموسى يحمل لواء الجهاد بعد أن جمع جيشه من خيرة أبناء الصعيد ، وضم إليهم بعض جنود الحدود من رجال النوبة ، وأخذ يمون جيشه على الطريق من البلاد الواقعة على شواطىء النيل ، ثم أخذ طريقه نحو الشمال ، حتى إذا بلغ نفروسى[2] حاصر أميرها المدعو « تى بن بى » ، وكان من أولياء الهكسوس ، فما زال به حتى غلبه على أمره ، ثم خرب مدينته ونهب أرزاقها ... ثم غادرها نحو

---

(١) يرجع هذا الأثر إلى مابعد أيام الهكسوس وقد سمى اللوح بلوح كارنارفون لأنه آل إلى مجموعة كان يملكها اللورد كارنارفون من هواة الآثار المصرية وهو الذى تولى الانفاق على بعثة للبحث عن الآثار ، نقبت أعواما طويلة فى مقبرة طيبة واهتدى إلى الكشف عن مقبرة الملك توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ .

(٢) نفروسى بلدة كانت تقع شمالى أسيوط ولا يمكن تحديد مكانها تماما .

الشمال . (ولا يعلم بالدقة أين بلغ) وحرر المدن التى مر بها من حكم الهكسوس . . ومن المحتمل أن يكون قد أستمر فى زحفه حتى طهر الأقاليم الوسطى من شمال أسيوط حتى منف ، ثم فكر كاموسى فى أقاليم الجنوب ورأى خطر النوبيين يهددها، فسار إلى أقاليم النوبة ، وأخضع الثائرين من أهلها ، وسجل أنتصاره على صخور تشقا مابين الدر وأبو سنبل .

ونستطيع بعد ذلك أن نقول: إن الهكسوس قد ارتدوا إلى الشمال واعتصموا بحاضرة ملكهم « أواريس » . ولم يعش كاموسى بعد ذلك ، فقد عاجلته المنية ولما يبلغ من تحقيق آماله ما أراد من تطهير الوطن من العدو . ولكن كتب الله لأخيه الأصغر أن يحقق أمنية الشقيق .

الملك أحمس الأول

خلف كاموسى — أحمس شقيقه الذى سطر فى الجهاد أروع صورة للشجاعة والوطنية . وقد أسهمت معه الأميرة «أياح حتب» التى كانت قد جاهدت مع زوجها، وجاهدت مع خليفته من بعده كاموسى وأحموسى .

تسلم أحموسى زمام الحرب بعد وفاة سلفه ، وحمل لواءها مندفعا نحو الشمال ، وأنباء القتال فى حملته الظافرة معروفة ، دونها أحد رجاله ويدعى « أحموسى » أيضا فى قبر له بجبانة الكاب . وكان أحموسى هذا أميرا لإحدى سفائن أسطول النقل الحربى فى ذلك العهد ، ورث ميله إلى أعمال القتال عن أبيه الذى كان جنديا أيام الملك « سقنن رع » ، وورث منصب أبيه فى أمارة سفينة يقال لها «الفحل البرى» حدثنا ذلك القائد أنه اشترك فى حروب المصريين ضد الهكسوس ، وأن الملك قد أعجب به وأظهر من شجاعته وحسن إصابته الهدف ، فرقاه إلى إمارة سفينة تدعى « المشرق فى منف » ، وحارب فيها على المياه المحيطة بأواريس والقريبة منها . فقتل وغنم ، مما حمل الملك على مكافأته بالذهب أكثر من مرة . ثم يحدثنا عن سقوط أواريس ، وهى آخر معاقل الهكسوس فى مصر . ولما دخل الجنود المصريون

أواريس وأزدحمت بهم المدينة أوغلوا فى الغنيمة ، وكان من نصيب أحموسى البحرى أربعة أسرى ... ثلاث نسوة ورجل . وقد وافق الملك على أن يتملكهم جميعا .

وبعد سقوط أواريس ، نتيجة الحصار ، اتخذ الهكسوس طريقهم فى الصحراء الشرقية ، حتى اذا وصلوا الى جنوبى فلسطين ، استقبلهم أمراء أسيا المتحالفون ، وتبعهم الملك أحموسى بجيشه ، حتى لحق بهم عند حصن فى جنوب فلسطين اسمه شاروهين ، كانوا قد لجأوا اليه وتحصنوا به . فضيق عليهم الحصار ثلاثة أعوام كاملة حتى اضطروا الى الجلاء عن الحصن . وكان أحموسى البحرى حاضرا فى أثناء هذا الحصار ، وكافأه الملك لشجاعته .

وهكذا أتم أحموسى مالم يتمه شقيقه ، وطرد الهكسوس من الوادى وتخلصت البلاد من عبثهم وظلمهم . وهذا البطل أحموسى ، هو الذى يعده التاريخ رأس الأسرة الثامنة عشرة وواضع حجر الأساس فى بناء الامبراطورية المصرية . ولم يكد أحموسى ينتهى من طرد الهكسوس ، حتى وجه قواته الى جنوبى الوادى ، فكر راجعا الى أقاليم النوبة وكان أهلها قد استغلوا محنة المصريين أيام الهكسوس لخرجوا عن طاعة الدولة المصرية وانشقوا عنها .

وقد حدثنا احموسى أمير البحر ، انه رافق الملك فى حملته على بلاد النوبة وعن اشتراكه فى القتال وحسن بلائه فيه ، مما جعل الملك يكافئه . ولما عاد الملك من حملة النوبه ، شبت ضده ثورتان فأخمدهما وانتصر على الثوار ، وكان اسم زعيم احداهما « تيتيان » الذى قتل فى أثناء المعركة وقضى على أعوانه .

عاد أحموسى الى مصر رافعا لواء الحرية وتربع على عرشه فى طيبة وجعل منها عاصمة للدولة المصرية ، وقد حكم البلاد حوالى خمسة وعشرين عاما ، ولما مات دفن بجانب أسلافه غربى طيبة . وكانت وفاته عام ١٥٤٦ ق . م ، وخلفه ابنه أمنمحتوب الأول .

أثر الهكسوس فى مصر

ظلت شعوب الشرق قرونا طويلة لاتعرف امتطاء الخيل على نحو ما نركبها اليوم الا فى حالات نادرة جدا . وانما كانت تستخدم فى جر عجلات الحرب . وغالب الظن أن يكون الآريون هم أول من استخدم تلك العجلات ، وأخذ الأسيويون عنهم ذلك الاسلوب وانتقل منهم الى شعوب الشرق القريب . ومن تلك الأقاليم دخل بها الهكسوس الى مصر عندما أغاروا عليها حوالى عام ١٧٣٠ ق.م ، وعنهم اقتبس المصريون استخدام العجلات فى القتال . وكانت أقوى معين لهم فى طرد الهكسوس أنفسهم من البلاد . وكان هذا السلاح فيما بعد أقوى عامل فى بناء الامبراطورية المصرية التى امتدت سعتها الى الفرات فى الشرق وآسيا الصغرى فى الشمال وقلب بلاد النوبة فى الجنوب ... أثر ذلك السلاح الجديد فى تقدم الحرب وسرعة حركتها . ومنذ ذلك الحين أصبح للخيالة المقام الأول فى عالم الحرب بعد أن احتكره المشاه قرونا عديدة ...

وكان من نتائج طرد الهكسوس أن انتعشت الروح العسكرية فى مصر ، انتعاشا لم تعرفه الدنيا من قبل ، ونهضت البلاد نهضتها السياسية والحربية فى آن واحد. وأصابها التوفيق فى بناء الامبراطورية المصرية ، على أساس التوسع وتأمين الحدود المصرية وضمان سلامتها [1] .

---

(١) د . أحمد بدوى : أيام الهكسوس . ص ٨٥ — ٨٦ مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد ١ ، عام ١٩٤٨ .

الامبراطورية المصرية الأولى

الأسرة الثانية عشرة (١٥٧٠ — ١٣٠٥ ق.م)

كان أول ملوك هذه الأسرة العظيمة أحمس طارد الهكسوس من وادى النيل، وجاء من بعده أمنمحتب (أمينوفيس الأول)، ثم تحوتمس الأول الذى وصل بفتوحه إلى جنوب الجنادل الثالثة، وغزا سورية ووصل بجيوشه إلى نهر الفرات حيث أقام نصبا تذكاريا، ثم خلفه تحوتمس الثانى — فالملكة حتشبسوت.

وفى هذه المرة قويت الروح العسكرية فى صدور أبناء الشعب، وبهذه الروح الوثابة سار الملك تحوتمس الثالث على رأس جيشه ليحقق الأمجاد الكبرى التى دونها التاريخ. فقاد سبع عشرة حملة عسكرية كبرى إلى مختلف الميادين، ولا شك أن أهمها كانت الحملة الأولى، وانتصاره المجيد فى معركة مجدو.

يعتبر حكم تحوتمس الثالث من أمجد العصور القديمة فى تاريخ مصر ... ففى أيام أبيه شقت بعض الإمارات السورية عصا الطاعة، فحاربهم تحوتمس الثالث سنوات متتالية إلى أن ثبت سلطان مصر فى تلك الأصقاع — بعد معركة مجدو — وكان انتصاره فى تلك المعركة هو حجر الأساس الذى شيد عليه تحوتمس الثالث سلسلة انتصاراته المتعاقبة فى حملاته السبع عشرة التى خاض غمارها.

تقدم هذا الملك على رأس ثلاثين ألف مقاتل، وزحف بهم من مدينة ثارو[1] لإخضاع أهل آسيا الذين تزعمهم ملك كادش، وانضم إليهم بعض أهالى جنوب فلسطين وأمة الحيثانى الواقعة شرقى الفرات.

---

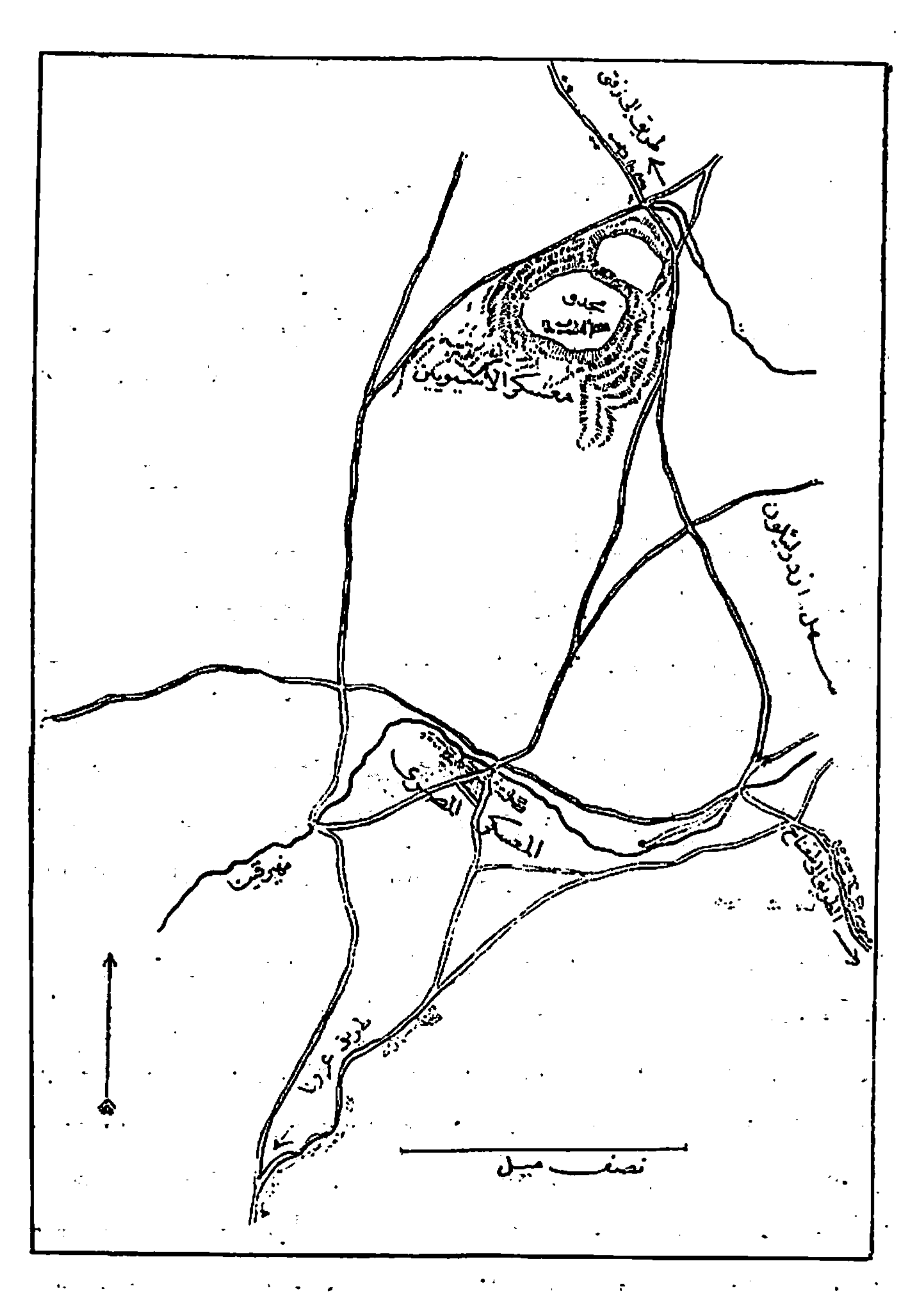
(١) كانت ثارو مدينة من مدن الحدود المصرية الشرقية الهامة، وموقعها الحالى عند تل أبى سيفا التى تبعد نحو ميلين شرق مدينة القنطرة.

وكان الآسيويون بقيادة ملك كادش ، قد أحتلوا مجدو [١] على المنحدر الشمالى لجبل كرمل ، وأتخذوها قاعدة حربية . وكانت مجدو تقع فى المكان الذى يشغله الآن تل المتسلم وهى تبعد قرابة عشرين ميلا جنوب شرقى حيفا .

وعلى ذلك كانت مهمة الجيش المصرى واضحة ، وهى أن يعبر الجبال الفاصلة بينه وبين قوات الأعداء ليلاقيهم فى الميدان الذى أختاروه لقهر القوات المصرية .



(ش ٤٤) موقع مجدو



(ش ٤٥) خريطة توضح مواقع المعسكرات المصرية والآسيوية أمام مجدو

موقعة مجدو

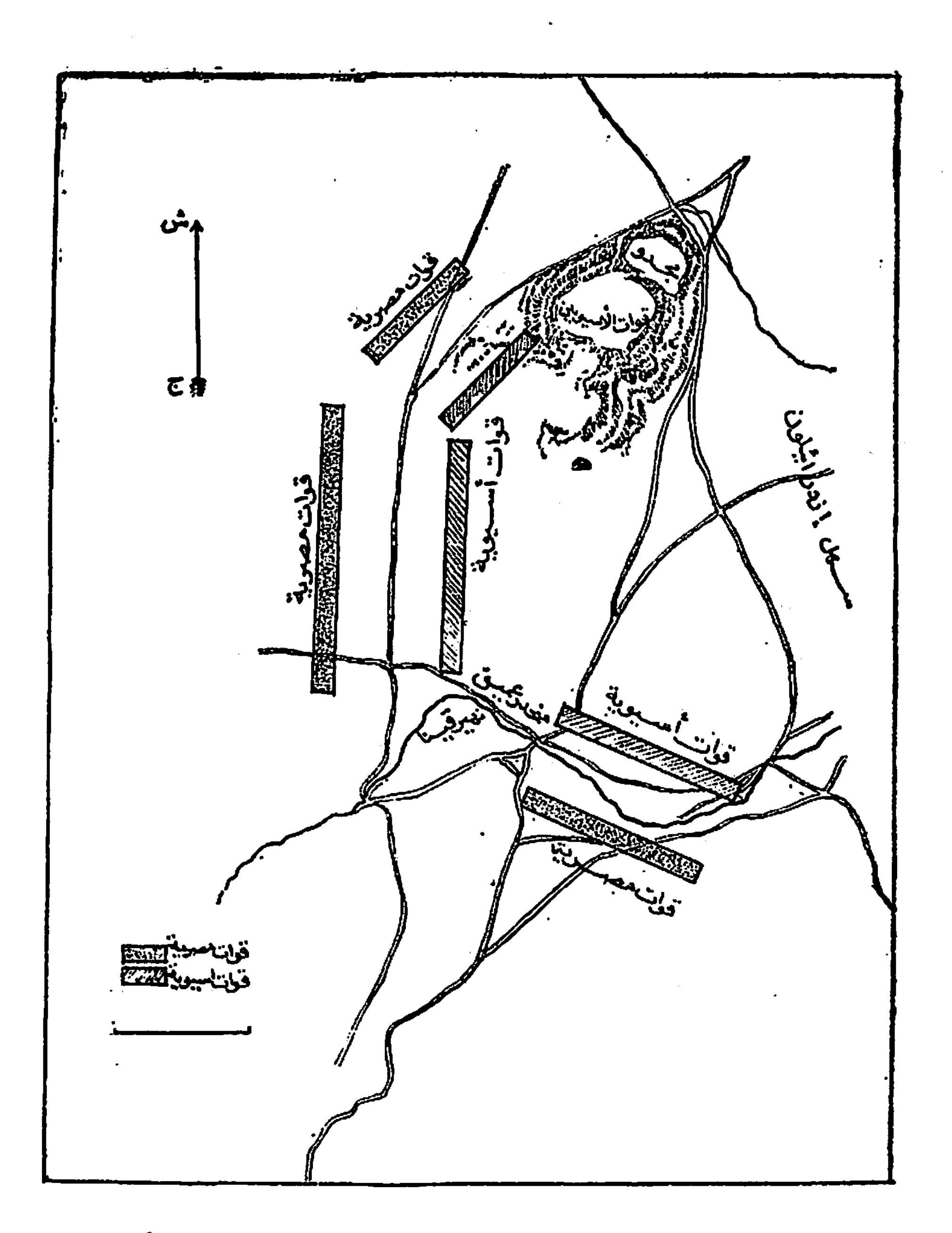
لمعركة مجدو فى تاريخ مصر خاصة والشرق عامة مكانة كبرى ، فهى من أشهر أحداث العالم القديم . فإذا تناولناها بالحديث فينبغى أن نخوض فى غمارها وأن نجول بموقعها أولا .

مرج بن عامر :

سهل فسيح الأرجاء منبسط بين جبال الجليل فى الشمال والسامرة فى الجنوب والكرمل فى الغرب ، يضيق قرب حيفا لينفذ إلى سهل عكاء الساحلى . ثم يتصاغر عند جنين فى الجنوب وينحدر فى تؤدة شرقا إلى بيسان (غور الأردن) ويحف به جبل طابور الجاثم فى شماله الشرقى . قلما تقع العين على أزهى من حلته القشيبة التى يكسوه إياها الربيع حتى إذا جاء الصيف جرده منها ، فإذا جاء الشتاء هطلت الأمطار بقوة فأترعت نهيره « المقطع » فتدفق « نهر الوقائع » إلى البحر وإذا بالمياه تفيض على جانبيه وإذا بالمستنقعات منتشرة [1] .

وليس مرج ابن عامر هذا بمنقطع عن الدنيا رغم انحصاره ، فإن الجبال أبت ألا أن تنحسر عنه قليلا فى أطرافه فتكونت له أودية يتصل بها سهل عكاء ومكنته من الاتصال بمنطقة بحيرة طبرية والحولة من الشمال قرب جبل طابور ومن ثم إلى دمشق وما إليها ، كما إنه يتصل بعجلون وحوران بطريق بيسان . هذا فى الشمال أما فى الجنوب فيتصل بالسهل الساحلى الجنوبى — سهل شارون — بطريق جنين — نابلس — طولكرم ، وبطريق وادى عارة الجبلى الضيق الوعر . وبطريق وادى الروحة الغربى عند ملتقى هذه الطرق وتقاطعها وفى نهاية وادى

Sir George Adam Smith : Historical Geography of the Holyland. (١)



(ش ٤٦) خريطة توضح حركة التفاف القوات المصرية بالقوات الآسيوية أمام مجدو

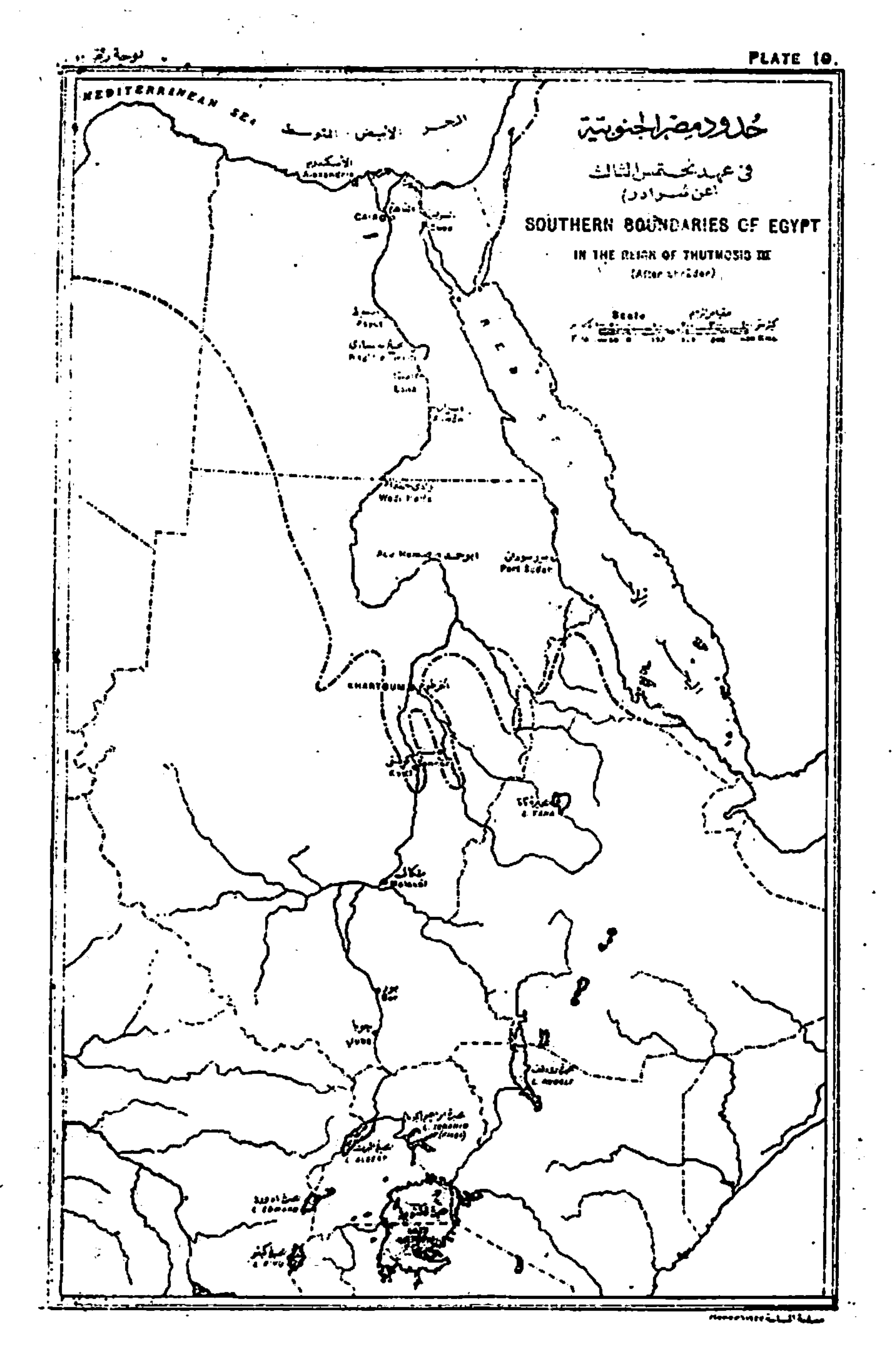
عارة وعلى الحد الفاصل بين الكرمل والسامرة وبين السهل والجبل ، وفى مكان يشرف على كل أجزاء المرج من أدناه إلى أقصاه وعلى مبعدة نحو ثلاثين كيلو مترا إلى الجنوب الشرقى من حيفا يقع تل « مجدو » .

ولا شك فى أن مرج ابن عامر هو طريق الاتصال الطبيعى بين شمال سورية وجنوبها ومن ثم بين العراق وآسيا الصغرى من جهة ، وبين وادى النيل من جهة أخرى ، وقد كانت القوافل التى تدخل مرج ابن عامر من سهل عكاء إنما تفعل ذلك لتعبره إلى السامرة بطريق جنين أو إلى شارون بطريق مجدو .

وهذا الموقع المهم حربيا وتجاريا إسترعى نظر الفاتحين ورجال الحكم من أقدم الأزمنة إلى وجوب العناية بهذه المسالك ، والاحتفاظ بهذا السهل وجعله فى قبضتهم فيسعى كل زعيم إلى الاستحواذ عليه . وقد أقيمت سلسلة من الحصون والقلاع قرب منافذ المسالك التى ذكرت وأهمها بيت شان (بيسان) وتعنك ومجدو (تل المتسلم) ودور (الطنطورة) على الساحل ، و تكاد مجدو تكون أكبرها قيمة لتوسطها القلاع والطرق ، ويلى هذه الأربع فى الأهمية قلعة طابور التى حصنت مرات عدة وبقنعام أو يقمعان (القيمون أو الكيمون الآن) .

وتل مجدو هذا تبلغ مساحة قمته نحو ٥٣٫٠٠٠ متر مربع ، ينحدر نحو الغرب والجنوب الغربى انحدارا فجائيا،أما الجهات الأخرى،وهى المواجهة للسهل فانحدارها تدريجى،إلى شماله عين ماء تسمى « عين القبة » ويعرف التل اليوم باسم «تل المتسلم» ذلك لأن أحد متسلمى عهد الدولة العثمانية أقام فى ذلك المكان،ولعل إقامته كانت قصيرة إذ لم يكن هناك آثار أبنية متسعة ولا غيرها ، والمتسلم موظف عثمانى إدارى كان يلتزم بلادا بكاملها فيديرها ويدفع ماعليه من المال اللازم ويلاحظ أن هذا نظام إقطاعى إلى حد بعيد .

وقد عرفت مجدو قديما بأسماء كثيرة منها مجدو كما فى يشوع والقضاه ومجدون كما فى زكريا (١٢ : ١١) وهى مجدون كما فى رؤيا يوحنا اللاهوتى (١٦/١٦) ومعنى الاسم « تل المعارك » وقد أعطت المدينة أسمها للسهل المجاور لها فعرف باسم « بقعة



(ش ٤٧) خريطة تبين حدود مصر فى عهد تحتمس الثالث

مجدو » فى عهد العبرانيين وبقى معروفا بذلك إلى العهد الرومانى فان جيروم (٣٤٠ م — ٤٢٠ م) يذكره باسم سهل مجدو ، سهل اللجون .

ولا تزال هـذه البقعة أخصب سهول فلسطين وأوفرها ماء وتمتاز بموقعها فى منتصف الطريق العظيم الذى يربط بين مصر وبين بابل والشرق — فقد كانت بذلك خير أرض يعسكر فيها جيش ، وقاعدة ترتكز عليها العمليات الحربية فيما بعد فى أى أتجاه ، وكانت تغل محاصيل وافرة وتهيء مرعى غنيا معظم أيام السنة لعديد من قطعان الماشية .

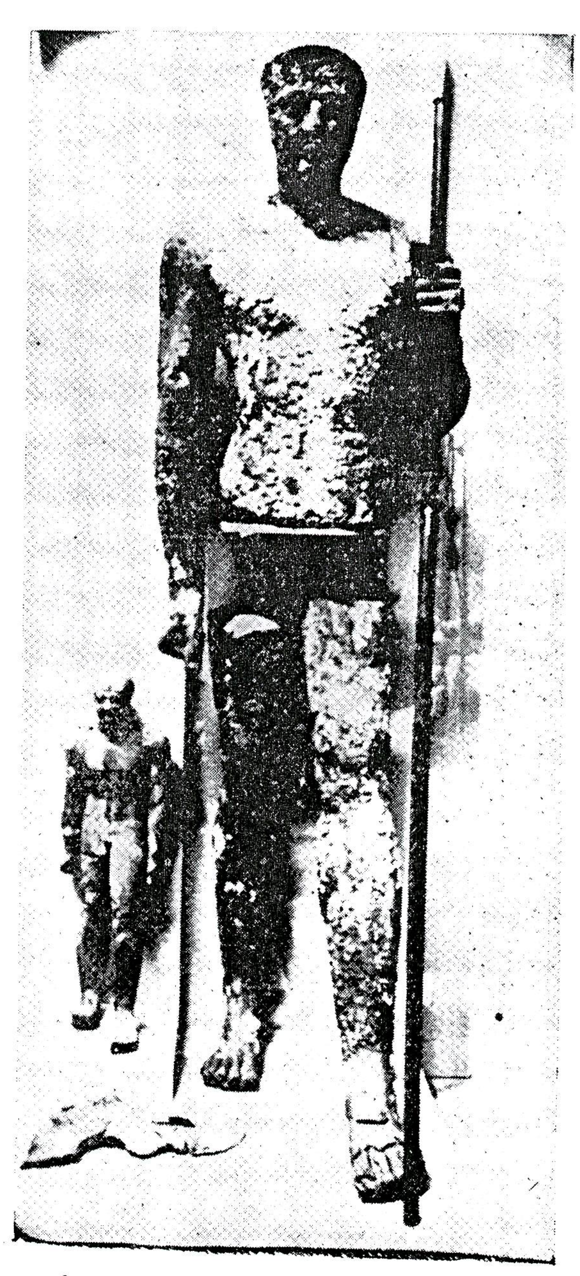
ومن فوق التلال المشرفة على الناصرة فى يوم صحـو فيه الأضواء والظلال مواتية يستطيع الإنسان أن يرى هناك فى الجانب الآخر (الجنوبى) من السهل نتوءا مستوى القمة مطمئنا فى أحضان التلال التى تكون الحدود بين البحر وبين الأرض الداخلية الأكثر أرتفاعا .

هذا هو موقع أرمجدون « تل مجدو » الذى كان يوما مفتاح أمتلاك السهل برمته . أما الآن فقد أختفى كل مايمكن أن يدل على أهميته حتى الاسم قد ضاع فى التسمية الشائعة بين الأهالى وهى « تل المتسلم » غير أن المكان بتسميته القديمة قد ترك فى صحائف التاريخ القديم أثرا لايمحى .

ولما كانت مجدو تتحكم هكذا فى أكثر الطرق استقامة عند حاجز الكرمل المستعرض فقد كانت اذ ذاك معقلا له أهمية استراتيجية حاسمة . فاذا تسنى الاستيلاء على هذا الحصن القوى تفتحت طرق كثيرة الى عدة بقاع الى الشمال والشرق، وكان أولها الطريق المباشر المنحدر مع السهل مارا بجزريل وبيسان ثم شمالا صعودا مع نهر الأردن . أما الثانى فكان يتحد مع الأول حتى جزريل ثم يدور نحو الشمال عابرا المجارى الشرقية الصغيرة فى هرمون حتى يصل الى وادى الأردن شمال بيسان وكان الثالث يحف بهذا التل مارا خلال « نين » و « اردور » ثم يندمج مع الطرق الأخرى ، أما الطريق الشمالى الكبير فكان يعبر الممر العميق عند الناصرة ثم يتفرع، فطريق يتجه الى بحر الجليل والآخر الى حاذور ، ذلك للعقل القوى للملك الذى أذل إسرائيل فى عصر القضاة .



(ش٤٨) واحد من وجهى لوحة نارمر (الأسرة الأولى)
تبين الملك نارمر وهو يقتل أسيرا بصولجانه وتحت
قدميه إثنان من القتلى (دار الآثار المصرية)



(ش ٤٩) تمثال من البرونز للملك بيبي الأول (الأسرة ٦)
(دار الآثار المصرية)



(ش ٥٠) تمثال من حجر البازلت الأخضر للملك خفرع
(الأسرة ٤) (دار الآثار المصرية)



(ش ٥١) تمثال من الحجر الرملي للملك سنوسرت الأول (الأسرة ١٢)
(في دار الآثار المصرية)



(ش ٥٢) تمثال من الجرانيت الرمادى للملك سنوسرت الثالث (الأسرة ١٢) فى المتحف البريطانى



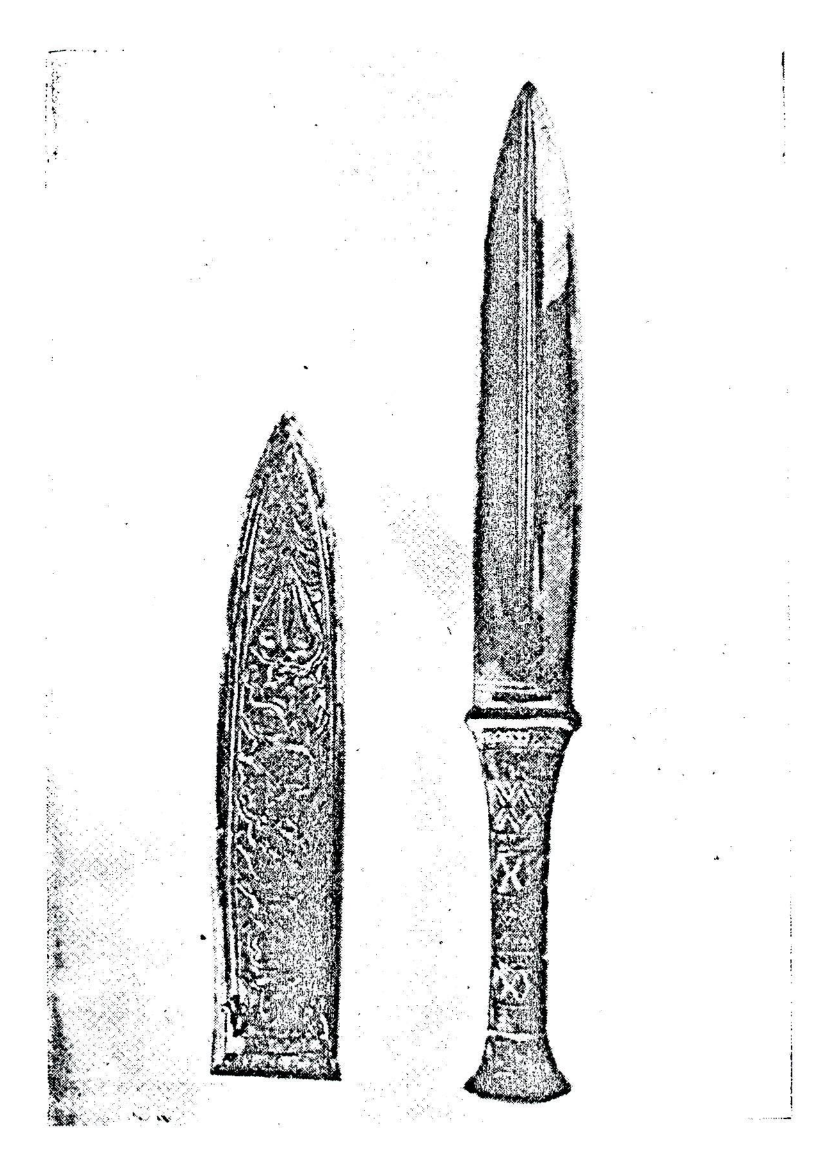
(ش ٥٣) بلطة قتال عثر عليها بمقبرة الملكة أححوتب وعليها خرطوش للملك أحموسى (بدار الآثار المصرية)



(ش ٥٤) رأس تمثال للملك تحوتمس الثالث (الأسرة ١٨) من الشست الرمادى
(فى دار الآثار المصرية)



(ش ٥٥) تمثال الملك توت عنخ آمون (الأسرة ١٨)
فى دار الآثار المصرية



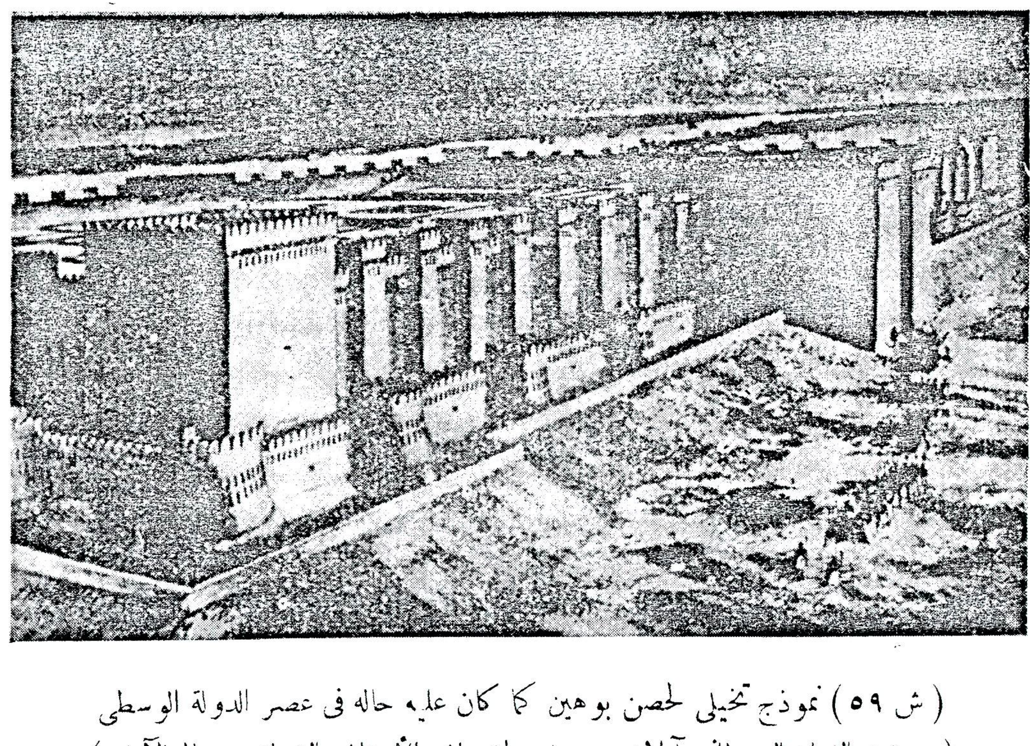
(ش ٥٦) خنجر ذهبي ذو مقبض منقوش للملك توت عنخ آمون
(الأسرة ١٨) بدار الآثار المصرية



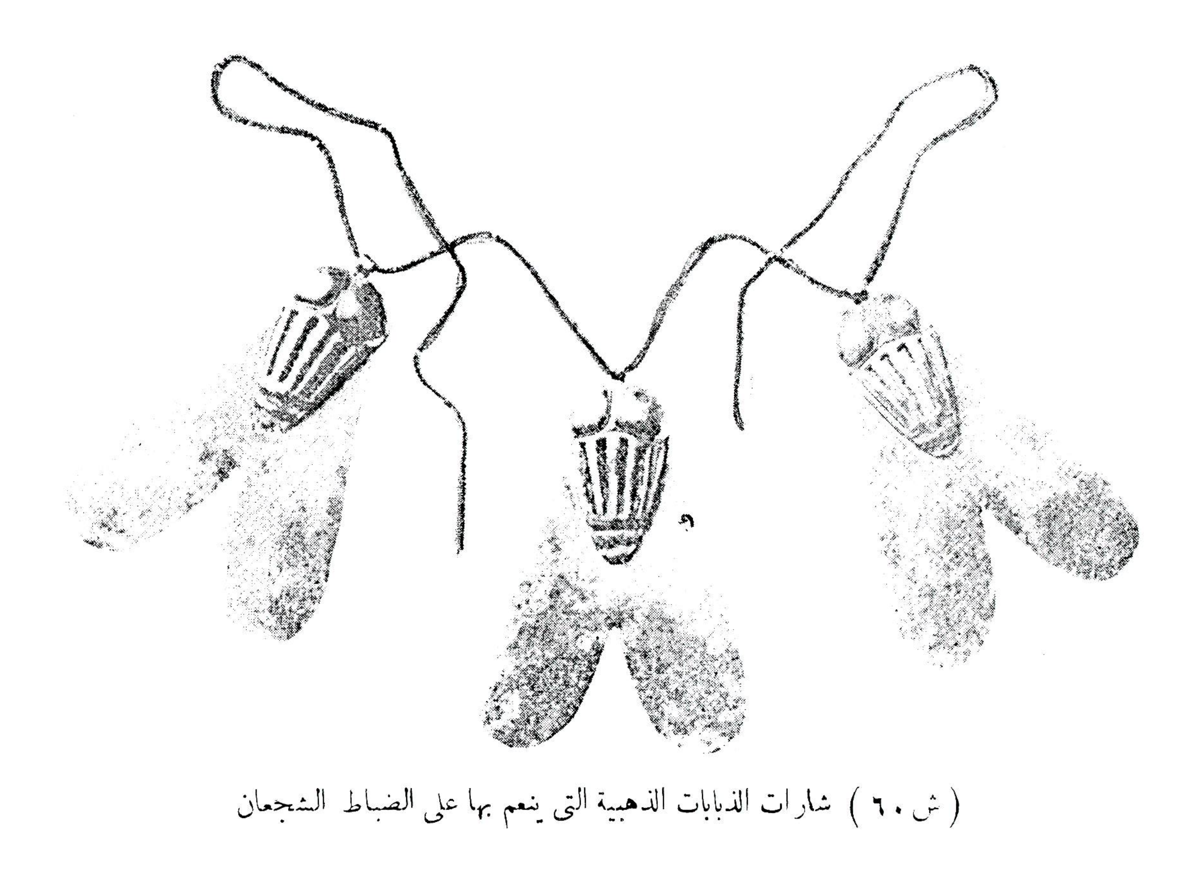
(ش ٥٧) تمثال للقائد الملك حورمحب (الأسرة ١٨)
بدار الآثار المصرية



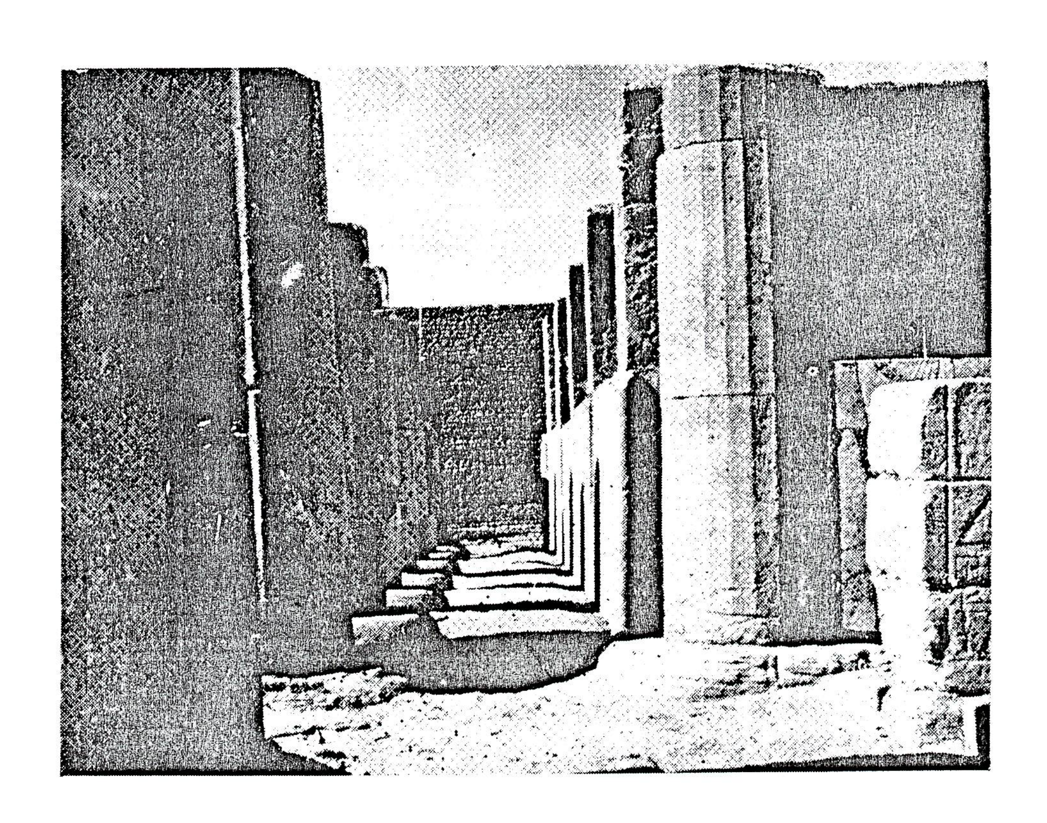
(ش ٥٨) تمثال للملك رمسيس الثانى (الأسرة ١٩) بمتحف تورين
للآثار المصريه (إيطاليا)



(ش ٥٩) نموذج تخيلي لحصن بوهين كما كان عليه حاله فى عصر الدولة الوسطى
(من عمل الفنان البريطانى آلان سوريل وإشراف الأستاذ والتر إمرى عالم الآثار)



(ش ٦٠) شارات الذبابات الذهبية التى ينعم بها على الضباط الشجعان



(ش ٦١) معبد حصن بوهين بعد إعادة جزء من مبناه

حملة تحوتمس الثالث

ان حملة هذا العاهل المصرى من الأحداث التى سجلها التاريخ ، واليوميات التى تركها لنا عنها تحتمس الثالث على جدران معبد الكرنك نابضة بالحياة فى تفاصيلها، وستظل دائما صورة مجيدة للأعمال الحربية فى تلك العصور ، مع أنه لاشك قد تلاها كثير من حوادث العصور لاتقل عنها روعة .

معـــركة مجـــدو

طريق جيش تحوتمس الى مجدو : سنكتفى هنا بتلخيص حركات جيش « تحوتمس الثالث » الأولى التى قام بها لتنفيذ خطته التى رسمها لنفسه من بادىء الأمر .فقد سار بجيشه من قلعة « سيلة » (وهى القنطرة الحالية) فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر الرابع من فصل الشتاء فى السنة الثانية والعشرين من حكمه . وهذا التاريخ على حسب قول الدكتور « نلسن » يوافق ١٩ أبريل سنة ١٤٧٩ ق.م مخترقا الصحراء التى تقع على الحدود الشرقية والحدود الجنوبية لفلسطين ، فوصل « غزة » بعد مسيرة عشرة أيام فيها نحو مائة وخمسة وعشرين ميلا وكان قد حط رحاله فيها فى اليوم الرابع من الشهر الأول من فصل الصيف فى السنة الثانية والعشرين من حكمه ، مما يدل على أن الجيش كان يقطع فى سيره يوميا نحو اثنى عشر ميلا و نصف الميل، وهى سرعة حسنة فى بقاع معظم طرقها صحراوية قاحلة ، وبخاصة اذا عرفنا أن عددا عظيما من جيشه كانوا مشاة . ولم يمكث « تحوتمس » فى بلدة « غزة » الا سواد ليلة ، وفى الصباح المبكر سار على رأس جيشه ميمما شطر « يحم » (يحتمل أن تكون نيما الحالية) وتقع على مسافة ثمانين ميلا من « غزة » وعلى الرغم من أن النقوش التى فى متناولنا قد أغفلت ذكر يوم وصوله إليها ، نستطيع أن نستنبط أنه ألقى فيها عصا تسياره فى اليوم الحادى عشر من نفس الشهر ، وذلك إذا فرضنا أنه كان يسير يومياً بنفس السرعة التى كان يزحف بها فى ذهابه إلى غزة .

الجيش يعسكر فى بلدة « يحم » ويعقد فيها تحوتمس مجلسا حربيا :

والظاهر أن الجيش قد ضرب خيامه فيها بضعة أيام استطاع فى خلالها « تحوتمس » أن يطلق عيونه ليقفوا على مواقع العدو ومكامنه . وفى اليوم السادس عشر من نفس الشهر عقد الفرعون مجلسه الحربى ليتشاور مع ضباطه فى أحسن الطرق التى يجب أن يقتحمها الجيش إلى « مجدو » . وسيقص المؤرخ المصرى علينا سير الحوادث (١) .

« السنة الثالثة والعشرون » ، الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم السادس عشر فى بلدة « يحم » لقد أمر جلالته أن يعقد مجلس حربى ليتشاور فيه مع رجال جيشه فيقول : ان ذلك العدو الخاسىء صاحب « قادش » قد جاء بجيشه ونصب خيامه فيها ، وهو مقيم بها فى تلك الآونة ، وقد ضم إليه كل أمراء الأقاليم الذين كانوا يدينون بخضوعهم لمصر حتى نهر الفرات ومعه السوريون وقوم « قودة » بخيلهم وجنودهم وعشيرتهم ، وأنه يقول على حسب ما وصل إلى مسامعنا ... سأقف هنا لمحاربة جلالته فى بلدة « مجدو » ، فحدثونى مايدور بخلدكم فى هذا الخطب . فأجابوا جلالته قائلين : كيف يتسنى للمرء أن يسير فى هذا المضيق؟ ، وقد وصلتنا الأخبار بأن العدو على تمام الاستعداد هناك فى خارج المدينة ، وأن عددهم قد أمسى هائلا ، وهل يكون السير مستطاعا إلا إذا سار الجواد والجندى أثر الجندى أيضا ؟ ، وهل ستكون مقدمة الجيش بهذه الطريقة فى ساحة القتال فى حين أن المؤخرة تكون هناك واقفة هنا فى « عرونة » عاجزة عن محاربة العدو؟ ، على أنه يوجد طريقان آخران واحده منهما يؤدى إلى « تا عناخ » والآخر يقع فى الجهة الشمالية من بلدة « زفتى » مؤديا إلى شمال « مجدو » وبذلك لا نضطر إلى سلوك هذا المضيق الوعر .

---

(١) خلدت معركة مجدو بنقوشها فى معبد آمون بالكرنك ، وقد فقد كثير من تلك النقوش بسبب رداءة وتفكك الحجر الرملى الذى بنى به المعبد ، وقد ترجم المتن ونسخ أيضا عدة مرات بوساطة علماء كثيرين ، منهم برستد ، ونلسون . (أنظر المراجع) .

وفى هــذه الأثناء جيء بمعلومات عن ذلك العدو الخاسىء ، وبذلك استقر النقاش فى موضوع الخطة التى كانوا يتحدثون عنها فيما قبل .

ثم أجاب الملك قائلا :

أنى مادمت حيا ومادام الإله « رع » يحبنى ومادام والدى « آمون » يرعانى ، وما دام نفس الحياة ينعشنى بالحياة والقوة ، فلن أسلك إلا هذه الطرق المؤدية إلى « عرونة » ، وليذهب منكم من يشاء فى إحدى هاتين الطريقتين الأخريين اللتين تحدثتم عنها وليتبعنى منكم من يريد أن يسلك الطريق التى سيتخذها جــلالتى لأن الأعداء الذين يمقتهم الإله « رع » سيقولون : هل سلك جلالته طريقا آخر لأنه يخاف بأسناو بطشنا،وعندئذ أجابوا علىجلالته قائلين : ليت الإله « آمون » والدك رب تيجان الأرضين وساكن الكرنك يرعى شعبك ويتعهده : تأمل! إنا سنكون فى ركاب جلالتك أينما توجهت لأنه من واجب الخادم أن يتبع سيده دائما . وعندئذ أمر جلالته بإصدار إعلان لكل الجيش جاء فيه : أن سيدكم المظفر سيكون فى طليعتكم لاقتحام ذلك المسلك الوعر الضيق . تأملوا . لقد أقسم جلالته يمينا قائلا أنى لن أسمح لجيشى أن يشق طريقه إلا فى هذا المكان ، لأن جلالته عقد العزم على أن يتقدم طليعة جيشه بنفسه . وقد وزعت التعليمات على كل جندى بالأمر بالزحف على أن يكون الجواد فى أثر الجواد فى حين أن جلالته كان يسير فى مقدمة جيشه .

الجيش يعسكر فى عرونا :

وفى السنة الثالثة والعشرين من الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم التاسع عشر ، استيقظ الفرعون فى السرادق الملكى الذى كان قد ضرب له فى بلدة « عرونا » ثم سار جلالته موليا وجهه شطر الشمال فى رعاية الإله « آمون » رب تيجان الأرضين ليفتح الطريق أمامه .. وكان الإله « آمون رع » يشــد ساعد جلالتى . وزحف جــلالته على رأس جيشه المنظم فرقا (ولم يجد للعدو أثرا) بل كان قد عسكر جناحه الأيسر عنــد بلدة « تاعناخ » فى الوقت الذى كان جناحه الأيمن قــد ضرب خيامه فى المنحنى الجنوبى من وادى مجرى « قنا » .

وقد نادى جلالته أن يسيروا فى هذه الطريق ، فالتقى بالعدو فكسره وولى ذلك العدو الخاسىء الأدبار .. فيأيها الجند مجدوا المليك وتغنوا بشجاعة جلالته لأن ساعده أشد بأسا من أى ملك، وأنه هو الذى سيحمى مؤخرة جيش الوطن فى « عرونا »

كانت مؤخرة الجيش المصرى لا تزال فى بلدة « عرونا » فى حين أن مقدمته قد ظهرت فى وادى مجرى « قنا » وملأ الجنود فم هذا الوادى .

وعندئذ قال رجال الجيش لجلالته . حقا أن جلالته قد ظهر بجيشه المنتصر وملأ جنوده الوادى فليصغ جلالته لقولنا هذه المرة فيحمى لنا سيدنا مؤخرة جيشه وقومه الذين معه ، وعندما تتصل بنا المؤخرة نحارب أولئك الأجانب، إذ لا نكون فى شغل شاغل من جراء مؤخرة جيشنا . وعلى أثر ذلك اتخذ جلالته مكانه عند فم الوادى حاميا مؤخرة جيشه المظفر ، وعندما تم خروج الفرقة الأمامية على هذه الطريقة كان الظل قد مال (أى عند الظهيرة) .

الجيش يعسكر عند مجدو للاستعداد للموقعة :

ووصل جلالته جنوبى « مجدو » على شاطىء مجرى نهر « قنا » فى مدة سبع ساعات بعد ميل الشمس . وقد ضربت خيام معسكر جلالته هناك ، ثم أصدر أمرا لكل رجال الجيش وهاك نصه: استعدوا أيها الجنود وانتضوا سيوفكم لأن الفرعون سيخوض غمار حرب مع ذلك العدو الخاسىء عند الصباح الباكر لأنه .. ثم ذهب الفرعون ليستريح فى السرادق الملكى ، وقد أمد الضباط بما يحتاجون ، ووزعت الجرايات على الجنود ، واتخذ كل حارس مكانه بعد أن تلقى التنبيهات بأن يكون ثابتا فى مكانه شجاعا .

معركة مجدو

السنة الثالثة والعشرون ، الشهر الأول من الفصل الأول . اليوم الحادى والعشرون . وهو اليوم الذى أعلن فيه الضباط عيد الهلال الجديد ، وفيه ظهر

الفرعون فى الصباح وقد أعطى كل رجال الجيش الأوامر للإستعداد للمعركة .
وبعد ذلك انطلق جلالته فى عربته الذهبية الناصعة ، مدججا بدرعه وزرده مثل الإله « حور » القوى الساعد رب البأس ومثل الإله «منتو» إله طيبة (وهو إله الحرب) وكذلك كان والده آمون يشد ساعده .

وكان جناح جيش جلالته الأيسر يقف على ربوة جنوبى « قنا » ، أما الجناح الأيمن فكان معسكرا فى الشمال الغربى من « مجــدو » وكان جلالته فى وسطهما يحميه الإله « آمون» فى حومة الوغى . وكانت قوة بأس الإله «ست» (إله الحرب) تدب فى أعضائه ، ففاز جلالته فوزاً مبيناً وهو على رأس جيشه وقد رأوا (أى الأعداء) جلالته والنصر حليفه ، ولذلك ولوا الأدبار نحو « مجدو » بوجوه يغمرها الذعر والهلع تاركين خيلهم وعرباتهم المصنوعة من الذهب والفضة وتسلقوا أسوار هذه المدينة بملابسهم (أى مستعملين ملابسهم ليتسلقوا بها) وذلك لأن أهل المدينة قد أغلقوا أبوابها فى وجوههم ، ولكنهم مع ذلك أدلوا بمــلابسهم ليجروهم بها إلى داخل المدينة ولو أن جنود جلالتى لم يتهالكوا على نهب متاع العــدو لكان فى استطاعتهم الاستيلاء على « مجدو » وقتئذ عندما كان عدو « قادش » الخاسىء وعدو هذه المدينة يجرون متسلقين الأسوار ليدخلوا المدينة هربا لأن الخوف من جلالته كان قد سرى فى أجسامهم وضعفت أسلحتهم ، واستولى جلالته على خيلهم وعرباتهم المصنوعة من الذهب والفضة غنيمة بادرة ، أما صفوف جنودهم فكانوا قد طرحوا أرضا مثل السمك فى حبائل شبكة ، وجيش جــلالتى المنتصر كان يفحص متاعهم لأن سرادق هذا العدو الخاسىء الذى كان محلى بالفضة ... وقد أخــذ الجيش كله بأسباب الفرح مقدما الثناء لآمون لما وهبه من نصر لابنه فى هذا اليوم ، وكذلك قدموا الشكر لجلالته فخورين بانتصاره . ثم أحضروا الغنيمة التى إستولوا عليها حتى الأيدى والأسرى والخيل والعــربات المصنوعة من الذهب والفضة والكتان الجميل .

وقد درس الأستاذ سليم حسن المؤرخ المصرى — معركة مجدو — فى عــدة صفحات (مصر القديمة — الجــزء الرابع) بعد مراجعة الأصول الأثرية للمعركة

على جدران معبد الكرنك وعلى لوحة جبل بركال بالسودان. وأفاد كثيرا مما كتبه عن المعركة المؤرخون الانجليز والألمان والأمريكان — ولذلك يعتبر ما كتبه المؤرخ المصرى مرجعا وافيا جدا .

وتناول وصف أطوار المعركة كالآتى :—

(١) ماقيل فى الخيمة الملكية من المناقشات ورد تحتمس الثالث على ضباطه
(٢) حوادث المعسكر فى عرونه
(٣) حوادث المعسكر أمام مجدو
(٤) الاستعداد للمعركة
(٥) الهجوم على الأعداء والفوز عليهم
(٦) وصف حركات الجيش فى معركة مجدو — ووصف الحصار .
(٧) أهمية معركة مجدو فى التاريخ الحربى

وقد علق الأستاذ سليم حسن على أهمية مجدو فى تاريخ الحروب قائلا :

أن أهمية سرد حوادث هـذه الموقعة لا ينحصر فى وصفها وحسب — بل كذلك لأننا نقرأ فى وثيقة تاريخية لأول مرة فى تاريخ العالم أن قائدا حربيا لم تقتصر مواهبـه على أنه جندى شجاع وقائد قدير ماهر فقط ، بل كانت لديه الشجاعة كذلك ليخوض غمار مخاطرة قد كان يعرف عواقبها من قبل ليصل إلى غرضه بسرعة خاطفة — بل قد أظهر فضلا عن ذلك مهارة حربية فى وجه العدو الذى جعله يتأرجح فى يده كاللعبة فى يد الصبى .

المعركة فى اليوميات التاريخيـــــة

وهذا ما نقرأه عن وصف المعركة فى اليوميات المدونة على معبد الكرنك « فى الصباح الباكر صدر الأمر إلى جميع فرق الجيش بأن تتحرك لتتخذ مواقفها وذهب القائد العاهل فى مركبته الحربية وقد ارتدى ملابس الحـرب مدججا

بالسلاح وكان يشبه الإله الصقر رب القوة وقد قوى ساعديه أبوه آمون ورابط الجناح الجنوبى لجيش جلالته فوق تل واقع فى جنوب نهر قينا ، أما الجناح الشمالى فكان فى شمال مجدو الشرقى بينما كان جلالته فى قلب نصف الدائرة » وقد أوضح المؤرخ ويجيل ذلك قائلا « فى هذا الوضع تحرك الجيش المصرى جنوبا وكان القلب يتألف من نخبة الجيش ، وانتشر الجناحان غربا وشرقا على شكل مروحة للحيلولة دون التفاف قوات العدو بمدينة مجدو التى وقفت عاجزة بين الجيشين وأبوابها موصده وتحرس أسوارها حامية ضئيلة وقد أختبأ فى المدينة الأمراء المتحالفون الذين اجتمعوا هناك وعندئذ تقدمت قوات العدو بحركة استعداد للقتال نحو الشرق ، وكان فرعون يقوم بمناوراته ليتخذ موقفه غربا ولا بد أن يكون الاصطدام بين الجيشين قد حدث فى مكان يقع على نحو ميلين من جنوب المدينة ، وأخيرا قاتل المصريون فى أسفل التل فى اتجاه جنوبى شرقى ، وحينئذ — على ما يقوله المؤرخ — هجم الملك ونخبة جيشه على العدو وألحقوا به الهزيمة — ففر جنوده (أى جنود العدو) ووجهتهم مدينة مجدو والذعر أخذ منهم كل مأخذ تاركين خيلهم ومركباتهم المزخرفة بالفضة والذهب . أما أهل المدينة (مجدو) فقد جذبوا اللاجئين إلى داخل المدينة بملابسهم لأنهم كانوا قد أوصدوا أبوابها فأدلوا إليهم الثياب وجذبوهم بها [1]

يخيل إلينا أن تحوتمس باعتماده على السرعة فى حركاته المحكمة واجتنابه التعرض لعاملى البطء والانتظار ، وهما عاملان فى الحرب الهجومية كان أول من أبتكر الحرب الخاطفة التى عرفت فى الحروب الحديثة ، وقد نجح فيها بدليل أن هجوم مركبات فرعون الحربية أفضى إلى دحر جيوش يغلب على الظن أنها كانت أكثر عددا من الجنود المصريين .

---

(١) أنظر سيرة تحوتمس الثالث المنقوشة على جدران معبد الكرنك وتاريخ فرعون — جزء ثان ص ٣٤٩ لويجل

فإنه على الرغم من الجمود الحربي الذى ساد عهد حتشبسوت بدأت مصر منذ عهد أحمس الأول وحروبه لتحرير البلاد تصبح دولة عسكرية بمعنى الكلمة فقد كان لها جيش مسلح أتم التسليح [1]

ويقول « دريتون » إن معركة مجدو كانت كارثة للأمراء المتحالفين الذين فروا بلا نظام ولجأوا إلى مدينة مجدو المحصنة .

وبعد أن لجأ هؤلاء الأمراء الآسيويون إلى المدينة قرروا التأهب للدفاع ويقول « دريتون » كذلك أن ملك مجدو أحاط المدينة بخنادق تقطع كل صلة بالخارج ، ومع ذلك فبعد مضى وقت لا تستطيع تقديره لسوء الحظ — أضطرت المدينة إلى الاستسلام ولم ينج من الأسر واحد من الأمراء المتحالفين إذا استثنينا أمير قادش الذى استطاع الفرار . ويقول الأثرى المؤرخ ويجل أن حصار مجدو لم يدم سوى بضعة أيام . ولما استسلمت المدينة وخضع الأمراء عفا تحوتمس عنهم وعينهم موظفين أو جعل منهم حكاما تابعين للأمبراطورية المصرية [2] فأظهر بذلك تسامحا عظيما ، والواقع أن ذلك كان دهاء من تحوتمس أو بالحرى كياسة سياسية لأنه لم

---

(١) لم يكن هذا الجيش شبيها بجيوش مصر السالفة بل كان مزودا بسلاح جديد هو المركبات الحربية وسرعان ما أتقن المصريون هذا السلاح والفضل فى معرفتهم يعزى للملوك الرعاة (الهكسوس) وكان السوريون يستعملونه والجنود الذين يركبون هذه المركبات التى يجر كلا منها جوادان كانوا يحاربون بسهامهم وحرابهم على مسافات بعيده فيقرر هجوم فرقهم المتراصه مصير المعارك وكان المشاة كذلك مجهزون بأسلحة حسنة لأن المعادن حلت فى كل محل مكان حجر الصوان الذى كان سلاح العصور القديمة ولم يكن معظم الجنود نصف عراه تقريبا كما كانوا فى سالف الأزمان بل أصبحوا يتقلدون دروعا مبطنة بالقطن ويغطون رؤسهم بعمائم تقيهم الإصابة إلى حد ما (كتاب الحضارة المصرية وأصولها إلى فتح الاسكندر ص ٢٢٩ و ٢٣٠ لمؤلفه جاكيه أستاذ الآثار المصرية فى جامعة نيوشاتل)

(٢) يؤخذ من سيرة تحوتمس الثالث التى ترجمها ويجل « أن الفرعون أعاد تعيين الأمراء » أى أنه صفح عنهم وأعادهم إلى مناصبهم بصفتهم تابعين .

يستعمل حقه فى الانتقام إلا من زعيم هذا الائتلاف ، ويعنى به أمير قادش الذى لاذ بالفرار فقد قبض على أولاده واقتادهم إلى طيبة كرهائن [1]

وجرى تحوتمس بعد ذلك فى كافة حروبه التى انتهت بالانتصار فى آسيا على سنة القبض على أبناء أمرائها واقتيادهم إلى طيبة كرهائن سواء أكان هؤلاء الأمراء مهزومين أو حلفاء ثوار أو خاضعين .

وهؤلاء الرهائن الذين كانوا يهيأون لحكم بلادهم تحت سيادة الامبراطورية المصرية كانوا يرسلون منذ نعومة أظفارهم إلى مدارس أوقل إلى الأكاديميات الحربية التى أنشأها تحوتموس فى طيبة لكى يتلقوا فى بيئة مصرية تعليما مطابقا لخطة رسمها الفرعون وقصد بها إلى توحيد سياسى وثقافى ، وقد كان من وراء هذا الأسلوب البارع فى التربية أن وجد لفراعنة الأسرة الثامنة عشرة ولاء صادقا من الأمراء الأجانب التابعين لهم .

وعاد تحوتمس إلى مصر ، وبلغ طيبة فى ١١ أكتوبر ١٤٧٩ ق . م فى احتفال رائع .

الغنائم :

ان قائمة الغنائم التى غنمها تحوتمس الثالث فى مجدو ، أتى ذكرها فى نقوش الكرنك وهى تكشف لنا عن ثروة تلك البلاد المفتوحة وما كان يتمتع به أمراء سورية من نعم العيش والأبهة ، فضلا عن أنها تعطينا فكرة عن مدى ما كانت عليه تلك البلاد من التقدم فى الصناعات والحرف وفنون الحياة .

---

(١) مما يحسن ذكره أن المصريين لم يقبضوا على عائلات الزعماء الواقعين فى أسرهم فى مجدو ولم يصادروا أمتعة بيوتهم لأنهم ظفروا بالعفو . أما ملك قادش فلكونه زعيم هؤلاء الأمراء فقد صودرت أمتعته الخاصة وأخذ أبناؤه رهائن ويظن أنه تمكن من الهرب ووصل إلى قادش مدينته حزينا كئيبا وإن يكن قد نجا بحياته (كتاب تاريخ فرعون ج ٢ ص ٣٥٦ لوبجل)

وسنذكر هنا بالتفصيل قائمة هذه الأسلاب التى استولى عليها الجيش المصرى من مجدو لنعطى فكرة عامة عن مقدار ثراء القوم واستعداداتهم التى كان لا بد للفرعون أن يقف أمامها وجها لوجه .

فاستولى على ثلثمائة وأربعين أسيرا وثمانين يدا (كان الجندى تقطع يده) وألفين وواحد وأربعين فرسا ومائة وتسعين مهرا وستة جياد وعربة مغشاه بالذهب وقضبانها من الذهب من متاع العدو . وعربة جميلة مصفحة بالذهب يمتلكها أمير مجدو ، وثمانمائة واثنين وتسعين من عربات جيشه المخذول ، مجموعها تسعمائة وأربع وعشرون عربة ودرع جميل من البرونز ملك الأعداء ، ودرع آخر من البرونز لأمير مجدو .. وعلى مائتى درع من دروع الجيش الخاسر ، وعلى خمسمائة قوس وسبعة قضبان من خشب المرو مصفحة بالفضة وهى من قضبان سرادق العدو « واستولى جلالته على شتى أنواع الحيوان من المدينة » ثلثمائة وخمسة وثمانين .. وألف وتسعمائة وتسعة وعشرين من الحيوانات الكبيرة وألفين من الحيوانات الصغيرة . وعشرين ألف وخمسمائة من حيوانات بيضاء صغيرة » .

هذا بالإضافة إلى كل السلع التى هى ملك تلك المدن التى خضعت وأحضرت لجلالته وهى : أربعمائه وسبع وأربعون من نسائهم ، والأمراء الذين كانوا معهن وثمانى وثلاثون سيدة من سيداتهم وسبعة وثمانون طفلا من أطفال العدو من الأمراء الذين كانوا معه وخمسة من أشرافهم وألف وستمائة وستة وتسعون من الذكور والأناث من العبيد والأماء والأطفال ، هذا غير المحاربين الذين استسلموا بسبب الجوع الذى لاقوه ، ومائة وثلاثة رجال فيكون مجموعهم ألفين وخمسمائة وأثنين (والعدد المدون فعلا هو ألفان وتسعة وعشرون فلا بد أن يكون العدد الناقص وهو أربعمائة وأربعة وسبعون) قد جاء ذكره فى الأماكن المهشمة من المتن . هذا إلى الأطباق من الأحجار الغالية والذهب وأوان أخرى . وأناء ذى مقبضين من صنع خارو (البلاد الآسيوية) وأوان وأطباق مفرطحة وأقداح للشرب مختلفة وغلايات وسكاكين يبلغ وزنها سبعمائة وأربعة وثمانين دينا (أى أن

الأدوات السالفة الذكر يبلغ وزنها ١٩١ رطلا من الذهب) هــذا إلى خواتم من الذهب كانت فى يد الصناع وفضة مصنوعة وخواتم عدة تبلغ زنتها نحو تسعمائة وستة وستين دبنا (أى ما يقابل ٢٣٥٫٤٦ رطلا من الذهب) وتمثال من الفضة مصنوع ورأسه من الذهب وعصا بأوجه بشرية وستة كراسى للعدو من العاج والأبنوس وخشب الخروب كلها مغشاه بالذهب وستة مساند للأقدام من متاع العدو ، وست موائد من العاج فى هيئة صولجان من متاع هذا العدو أيضا وكلها مصفحة بالذهب وتمثال لهذا العدو من الأبنوس مصفح بالذهب ورأسه مرصع باللازورد وأوان من الشبه وملابس كثيرة للعدو .

وهذه المدن الثلاث التى استولى منها فرعون على الأسلاب الأخيرة تقع بعضها قريبة من بعض فى الطرف الشمالى من لبنان ؛ وقد هاجمها تحوتمس الثالث عن قصد لغرض معين وذلك لأنه فكر أولا فى إيجاد وسيلة لمنع ملك قادش من الوصول إليها . وكان هــذا لم يقهر بعد ، فزحف جنوبا ليجعل الطريق الشمالى الواقع بين جبال لبنان فى قبضة يده لأهميته بالنسبة لحركاته الحربية ولذلك سار تحوتمــس بجيشه شمالا واستولى على هذه المدن . ومما يؤيد صحة ذلك أنه بنى هناك قلعه « تحوتمس قاهر الأجانب » .

وبعد أن تم لتحوتمس النصر على هذه الصورة وجه عنايته لتنظيم البلاد التى فتحها فقد أصبحت فلسطين ولبنان خاضعتين لسلطانه وكذلك الجزء الأعظم من بلاد فينقيا، وفى أعقاب ذلك لم يتحول نظر تحوتمس عن غايته الأولى ، وهى بسط السيادة المصرية إلى نهر الفرات لكى يقضى على دولة الميتانيين ، ولتحقيق هذه الغاية كان عليه أن يهزم بادىء ذى بدء من كانا يعاونان هذه الدولة وهما أمير قادش الذى تمكن من الفرار فى معركة مجدو وأمير تونيب حليفه الجديد . وكان هذا الأخير يحكم بلادا واقعة فى شمال سورية تجاور نهر العاصى والنهرين ، ولكى يصل تحوتمس إلى شمال سورية التى كان طامعا فيها عن طريق فلسطين وقد فتحها من قبل — كان مضطرا الاجتياز مضيق فينقية وإنشاء مراكب التموين فى مختلف موانيها تسهيلا لنقل جنوده على وجه السرعة ، ويقول المؤرخ دريتون « ان الملك أدرك أنه لا يستطيع

مواصلة فتوحاته إلا إذا ضمن لنفسه قاعدة بحرية فى فينقية لأن السفر بحرا من مصر إلى سورية كان أقل مشقة وأقل نفقة وأقصر شقة ، ثم أن الأسلاب والغنائم التى كان الملك يجلبها سنويا ، كان نقلها بطريق البحر أيسر منه كثيرا بطريق البر».

لهذا وجه تحوتمس جهوده فيما بعد الى الموانىء الفينقية واستولى على مدينة (أوارتيت التى لايعرف موقعها بالضبط) وعلى مدينة أرواد القريبة من البحر غيران الراجح أنه أنشأ قاعدة بحرية ثانية فى مدينة بيبلوس التى كان لمصر فيها نفوذ عظيم منذ أجيال . وكان تحوتمس ينزل جنوده تارة فى سيمير وتارة أخرى فى أوارانيت وأحيانا فى بيبلوس ليواصل السير الى هدفه الأكبر وهواخضاع الميتانيين فتمكن بين سنتى ١٤٨٠و١٤٧٤ ق . م من دحر أمير قادش بعد مقاومة عنيفة واستولى على مدينته ، وكسر أميرتونيب وقمع مانشب من ثورات فخضع له عدد كبير من عشائر الدن الفينيقية ، وحمل منها غنائم هائلة .

وهنا يقول المؤرخ بيرمو نتيه أنه تم الاستيلاء على أسطول بيبلوس وكذلك على سفن النقل المصرية لكى تنقل عليها الى مصر الاسلاب العظيمة التى غنمها الفاتح [١] وفى سنة ١٤٧٣ ق . م وهى السنة الثالثة والثلاثون لحكم تحوتمس كان هذا الباب قد بلغ ذروة مجده فسار الى بيبلوس مجتازا هذه المرة طريق غزة القديم حيث شيد سفنا من خشب الارز وحملها على مركبات تجرها الثيران سارت خلفه فى زحفه الحثيث نحو النهر حيث استمرت رحى الحرب دائرة بين مصر وميتانى ، وبعد بضع مناوشات مع الطليعة التحم فرعون بأعدائه ، وقد أنضم اليهم أمير كركميش ، ثم دارت بين تحوتمس وبينهم معركة حامية الوطيس فى غرب مدينة حلب الحالية . ويقول دريتون أن الملك تمكن من قهر العدو ودخل أرض كركميش وأنتهت المعركة العظيمة فى صالح مصر [٢] .

---

(١) مونتيه : بيبلوس ومصر : ص ٣٧٩

(٢) دريتون : شعوب شرق البحر المتوسط ، ص ٣٨٨ . أنظر أيضا : فينيقيه : للمؤرخة بنت بطوطة .

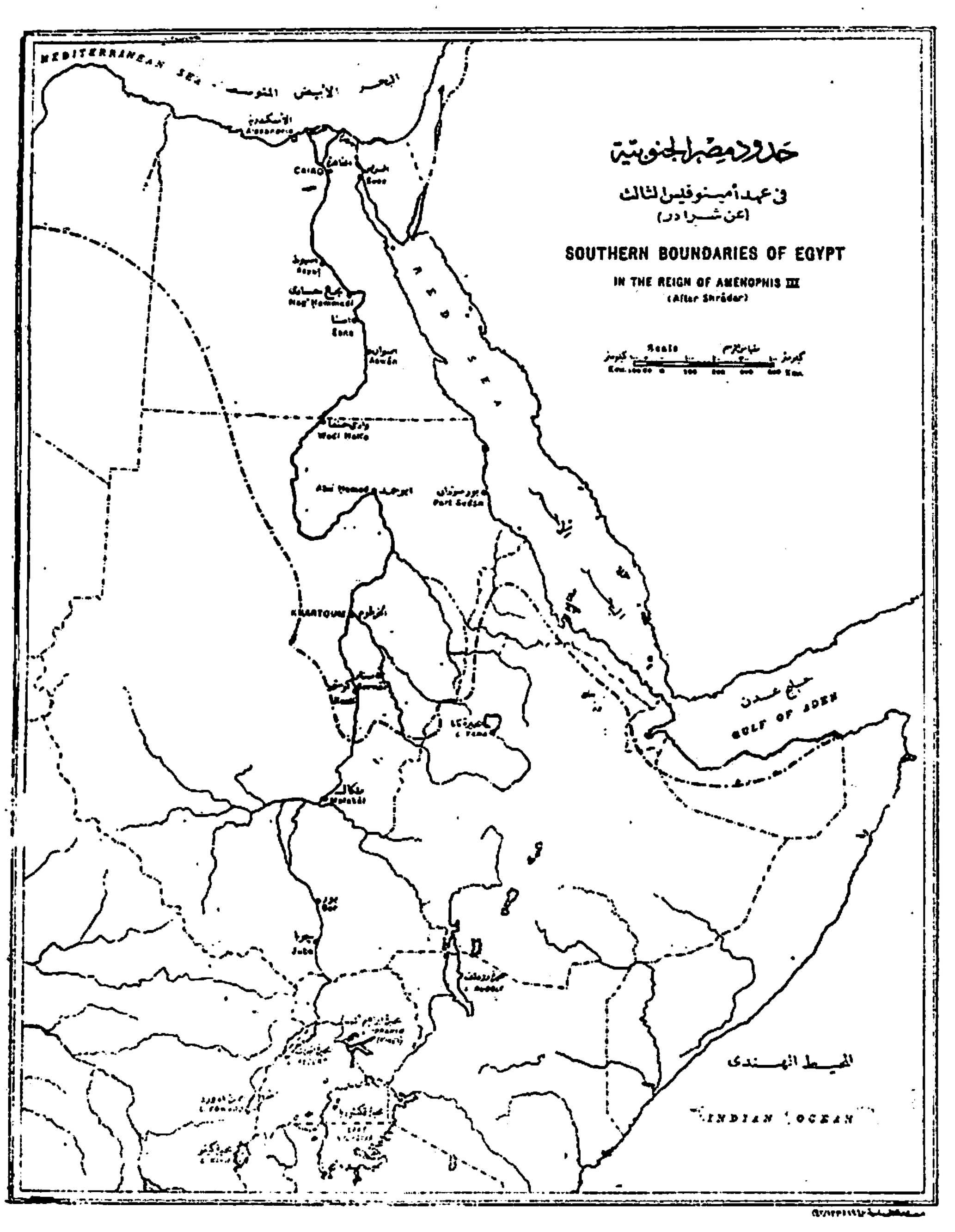
ويعتبر بعض المؤرخين معركة مجدو غير حاسمة ، فان الامارات الشمالية اجتمعت كلمتها ثانية لمقاومة الفرعون . فزحف اليها مرة أخرى ، ثم شن عليهم عدة حملات كانت القاضية عليهم فى السنة الثلاثين من حكمه . ومع ذلك فانه لم يتغلب على الاسيويين تماما ، الا فى أواخر أيام حكمه ، بعد أن أخضع غرب آسيا تماما . وفى ذلك العهد اتسعت رقعة الأمبراطورية المصرية اتساعا لم تصل اليه من قبل .

لم يحافظ خلفاء تحوتمس الثالث على ملك مصر الواسع ، فقد انتهز الأمراء الأسيويون بزعامة ملك خيتا ، ضعف الحكام المصريين وأعلنوا عصيانهم ، ولكن من حسن التوفيق أن اعتلى العرش ملوك من طراز تحوتمس ، وهم الرمامسة فوطدوا العزم على استرجاع مافقد . وبدأ سيتى الأول فى اصلاح طريق فلسطين الصحراوى ، وجدد مبانى القلاع وخزانات المياه . ثم أوفد جيوشه لتستعيد السيطرة على الأقاليم الأسيوية ، وأخضع قادش ، وعقد معاهدة مع الحيثيين . وأكمل رمسيس الأول مالم يتممه أبوه .

رمسيس الثانى

وهاهو ذا ملك محارب ، ومؤسس امبراطورية . جاس رمسيس ٢ على العرش وكان الحيثيون قد بسطوا نفوذهم على غرب آسيا ، واستولوا على قادش . فبدأ غزواته لاستعادة الممتلكات المصرية ، بأن استولى على الشواطىء السورية ليستخدم موانئها .

وبدأ يعد جيشه وينظمه ، استعدادا للضربة القاصمة ضد أعدائه الخارجين عليه وكان ملك خيتا زعيم الحركة الانفصالية فى غرب آسيا .



(ش ٦٢) حدود مصر الجنوبية فى عهد أمينوفيس ٣ ابن تحوتمس الرابع

الامبراطورية المصرية الثانية

الأسرة التاسعة عشرة (ح ١٣٤٢ — ١٢٠٠ ق . م)

فإذا انتقلنا من فتوح تحوتمس ٣ والذين خلفوه من أمثال تحوتمس الرابع ، وأمنحتب ٢ ، ٣ لوجدنا أمامنا امبراطورية عظمى ... حتى يحكم البلاد إخناتون (أمنحتب الرابع) ، فينهمك فى الشئون الدينية ، ويبدأ إنحلال السيادة المصرية فى آسيا إلى أن تنتهى فى أيام توت عنخ آمون ، وسرعان مايقوم البطل حورمحب فيمسك بمقاليد الحكم ويؤسس الأسرة التاسعة عشرة على أنقاض سابقتها ، فيصلح ما أفسده أسلافه ، ويأخذ فى دعم أسس الإمبراطورية الثانية .

كان حور محب (ح ١٣٤٢ — ١٣٠٣ ق . م) قائد الجيش العام فى أيام أخناتون وتوت عنخ آمون ، ثم تزوج من شقيقة هذا الملك « نفرتيتى » ليدعم مركزه . ، واتخذ لقبا ملكيا « حبيب آمون » عندما استعاد ثانية كهنة آمون مراكزهم الدينية المرموقة بعد تخلى الشعب عن عبادة آتون . وقد عرف حورمحب بثقافته الممتازة ، وكان يعجب الناس بأقواله منذكان يقف بين يدى مولاه توت عنخ آمون يتحدث إليه فى أمور الدولة وسياستها ، كما كان الفرعون يسر بحديثه . ولمس فى القصر نواحى الضعف أيام أخناتون وخليفته ، وأسهم فى حركة الثورة الدينية أيام العمارنة وتغلغل فى شئون القصر فعرف أسراره ، كما فعلت زوجه ، وكانت مرضعا لنفرتيتى [١] . وعلى العموم ، فقد كانت مهارته السياسية ، ومعرفته بطبائع الناس ، وسلطانه على رجال الجيش ، يضاف إلى هذا قوة إرادته ، ولباقته فى معالجة

---

(١) د . أحمد بدوى : حورمحب ، مجلة كلية الآداب (جامعة فؤاد الأول) ، المجلد ١٠ ، ج ١ ، ص ١٢٥ — ١٤١ ، عام ١٩٤٨ .

الأمور ، كانت هـذه جميعا من العناصر الفعالة التى أثرت فى حياة حور محب ، وبناء مستقبله ... وقد فاز بتحقيق آماله فأصبح ملكا فى ظروف تعصف بالبلاد الأزمات ، فعمل على إنقاذها وأصبح أبا للشعب وصديقا له. فأصلح القوانين وجعلها أكثر عدلا وانصافا ، وعنى بالجيش الذى خرج من صفوفه وأمضى صباه بينه والمعروف عنه أنه قاد هذا الجيش فى حملة إلى سورية ليدعم سلطان مصر فى الولايات التى كادت تستقل بأمورها ، بيد أنه لم يتوسع فى حملته لضم أراض جديدة. كما أنه قاد حملة أخرى إلى السودان ، وأوفد بعثة إقتصادية إلى بلاد بونت .. ولما مات ، دفن بوادى الملوك حيث وجدت مقبرته ، ولكن جثمانه لم يعثر عليه .

أعتلى العرش من بعده رمسيس الأول،ثم سيتى الأول (١٣٠٢—١٢٩٠ق.م) الذى استرجع فلسطين وأخضع البدو والفينيقيين فى الشرق ، كما حارب الليبيين فى الغرب ، ولكن أهم حروبه وقعت فى الشرق وفى سورية بالذات ووصلت جيوشه الى لبنان حيث اصطدم بالحيثيين،وسنقرأ فى الصفحات التالية ماتم بجهود خلفائه ...

معركة قادش

(١٢٨٩ ق . م)

مصادر المعركة الأصليـــة :

كان «شامبوليون» أول من اهتدى إلى قصيدة المعركة المسماه «قصيدة بنتاؤر» وكان « سالفولينى » أول من تولى دراستها عام ١٨٣٥ ، إلا أنها كانت دراسة بدائية وتبعه«لينورمان» عام ١٨٥٨ بدراسة أخرى تضمنت أخطاء خطيرة فى ذات الوقت لأنه لم يستخدم نصوص المعركة المنقوشة على جدران معبد أبى سنبل ، ومثل هذه الأخطاء كشفها « شاباس » وأضاف ملاحظاته عن المعركة معتمدا على التقارير الأصلية التى سنذكرها فيما بعد . ولم يكتف بذلك فحسب بل جمع متنا تضمن النقوش الأثرية للمعركة فى الرمسيوم وأبى سنبل فجاء بحثا غاية فى الدقة .

ثم أقبل بعدهم « دى روجيه » ، ولم يكن بحثه الرائع لقصيدة بنتاؤر للعروفة التى ندين اليها كأول مصدر عن معلوماتنا الأولى للمعركة ، تحقيقا للمعركة ، بل كان هدفه التثبت من النص و الاضطلاع بالترجمة الصادقة ، لهذا كان بحثا أدبيا بحتا .

وجاء « بروجش » الألمانى فأصدر مقدمة منمقة باللغة الألمانية، لكنه لم يحاول تحليل و« هضم » المعركة أو شرح تفصيلاتها وإيضاحها .

ولم يستفد الأب تومكنز فى بحثه بكل المعلومات التى استقاها من النصوص ، إلا أنه قدم عرضا لا بأس به بما وصل إليه علمه . أما المــؤرخ إرمان فقد وصف الحوادث كما هى مصورة ، وشرح أسلوب الحياة كما رآها منقوشة ، ولم يطلع علينا بدراسة تبين استعداد الجيوش وترتيبها . وبين ماير بحذقه وذكائه طبيعة هجوم الحيثيين ، بيد أنه لم يشرح المناورات الابتدائية التى مهدت للهجوم .

وكان الملخص الذى أمدنا به « موللر » عبارة عن وصف جغرافى لقادش وما جاورها ، وليس فيه شيء عن دراسة المعركة ، ثم قدم المؤرخ ماسبيرو فى كتابه كفاح الأمم ، بحثا مستفيضا عن معركة قادش ، وأبرز المناورات الجوهرية التى أدت إلى المعركة وكان ذلك فى عام ١٨٧٥ . ومن الغريب أننا نلاحظ بعض الأخطاء فى آخر دراسة له عن المعركة لا نلاحظها فى دراسته الأولى . ولا نعلم إذا كان هذا الخطأ وقع منه إهمالا أو عمدا . ومضمون هذا الخطأ أنه ذكر أن رمسيس كان يرى فى معسكر « شابتونا » إلى جنوب قادش عندما بدأت المعركة بينما كانت جنوده قد قامت قاصده الشمال الغربى أو شمال قادش ، وأنه عسكر هناك قبل المعركة — وقد أحتوت الصور البارزة للمعركة على نقش يبدأ بالعبارة : « وقف الملك حينما عسكر بجنوده فى الشمال الغربى من قادش » بينما فرت فرقة رع نحـو الشمال عندما هوجم الملك ، إلى حيث كان الملك فى الشمال .. فكيف تفرقوا إلى الشمال من معسكر الملك وانضموا إليه فى الشمال . هذا ليس واضحا ، يجعلنا نضع قوات رمسيس فى جنوب قادش . وبينما تؤيد المصادر أنه كان فى شمال قادش . وأن جيشه كان فى الشمال أى فى مقدمة الملك فإننا نجد مصادر أخرى تؤكد بدون التباس أو غموض أن فرقة رع كانت فى مؤخرة الملك . ولكننا نجد فيما كتبه ماسبيرو عن ترتيب قوات المعركة ما يرجع الوقائع إلى أصولها الصحيحة [1] ، ومنذ خمسين سنة تقريبا عاد « شاباس » فصحح هذا الخطأ المحير وأزال الارتباك الذى كان يسود التفاصيل .

إن هناك كثيرا من نقط الخلاف فى مصادر المعركة . ومن المهم أن نقدم بيانا وجيزا عنها قبل الخوض فى المعركة ذاتها ، فهناك ثلاثة مصادر هامة .

المصدر الأول:

ملحمة بنتاؤر — «Pn-t-Wr-t» : أثبت المؤرخ إرمان أن بنتاؤر لم يكن إلا ناسخا للقصيدة وليس مؤلفا ، وسنشير إلى هذا المصدر فيما سنكتبه عن موضوع المعركة بكلمة قصيدة .

---

١ — Brestead, J.Henry : The Baule of Kadesh

المصدر الثانى:

تقرير المعركة للنقوش على جدران الهياكل فى شكل نقوش بالهيلوغريفية..وهى تصوير للحوادث الرئيسية وسنشير إلى هذا المصدر بكلمة « تقرير » .

المصدر الثالث :

النقوش على جدران المعابد — كسجل لحوادث المعركة — تصحبها الكتابات المفسرة

فالقصيدة أهم مصادر معركة قادش — ولو أننا فقدنا الخمسة والعشرين سطرا الأولى منها — هى عبارة عن وصف سفر الملك من مصر إلى قادش . وبيان مواقع الفرق العسكرية الأربع التى تألف الجيش منها فى تحركها إلى لحظة هجوم القوات الآسيوية عليها ولا تختلف القصيدة فى الشكل ولا فى الجوهر عن التقارير التى خلفها الفراعنة الآخرون ، كتنفتاح ورمسيس الثالث عن معاركهم . والقصيدة برمتها ليست شعرا من ناحية التركيب ولكنها فى صورة شعرية زاهرة ، منمقة الأسلوب ، على نسق ماجاء فى وصف انتصارات الأسرة الثانية عشرة . ومما يتعين تبيانه أن هذه القصيدة سجلت فى أسلوبين : أولهما بالهيروغليفية والآخر بالهيراطيقية .

وقد ذكر « بروجش » أن النصوص الهيروغليفية منقوشة على جدران معبد الرمسيوم مرتين وفى معبد الأقصر وأبى ممبل وبيت الوالى ، ويقول ماسبيرو أن هذه الملحمة نقشت فى كل مكان فى النوبة وفى الصعيد وأبى ممبل وبيت الوالى والدر والأقصر والكرنك .

والراهن أنها لاتوجد فى أى مكان فى النوبة وفى الرمسيوم ، بيد أنها توجد على جدران معبد الأقصر والكرنك وأبيدوس وأبى ممبل .

أما النسخة الهيراطيقية فواحدة ، عبارة عن لفافة من جزئين تسمى « برديه رافيه » وهى باللوفر وتشمل بداية وصف المعركة ، والثانية « برديه سالية » فى المتحف البريطانى وهى المتممة للجزء الاول .

ولما كانت النصوص التي جمعها لم تشر الى نسخة ايدوس ، فقد قام برستيد بترتيب كل النسخ بالهيروغليفية والهيراطيقية فى أعمدة متوازية ، ثم جاهد الأستاذ إرمان فى تنسيقها مستعينا ببردية سالية الأصلية الموجودة فى المتحف البريطانى ليستخدمها فى « قاموس برلين » وبذا تسنى تنظيم بردية ساليه ونصوص أبيدوس ونقوش الأجزاء السفلية فى معبد الأقصر وصور الكرنك الفوتوغرافية .

وكان التقرير « Record » هو السجل الرسمى للمعركة ، غير أنه ليس كاملا كالقصيدة فى وصف سير ومواقع الحيثيين ، الا أن روايته تامة عن التاريخ الداخلى الذى أفضى برمسيس الى توجيه تقدم جيشه بلا حذر الى شمال قادش ، وبذلك قدم لنا أول خدعة حربية عرفت فى التاريخ العسكرى ، وقد خلت القصيدة من هذه الحقيقة . وهذا التقرير محفوظ فى ثلاثة أماكن ، على جدران معبد أبى سنبل وفى الرمسيوم وفى معبد الأقصر .

وعلى العموم فينبغى علينا أن نذكر أن هذه النقوش حفرها الفنانون على جدران المعابد سبع مرات فى أيام حكم رمسيس الثانى فى أبيدوس والرمسيوم (مرتين) والكرنك والأقصر وأبى سنبل والدر . ومعظم نقوش أبيدوس أبيدت أما زميلتها فى الدر فقد أندثرت ولم يبق منها شيء .

وتعانى كل هذه الأصول الأثرية للمعركة عيبا مشتركا ، فغرضها الرئيسى انما كان لتصوير شجاعة الملك الشخصية ، أما تسجيل حركات الجيش فيلوح أن الغرض من نقشها كان لبيان جرأة الملك فى أثناء هجومه على العدو حينما فصل عن قواته الرئيسية وتقهقرت بعض الوحدات .

والأحوال التى أدت برمسيس الثانى الى محاربة الحيثيين اكتشفت بعد دراسة رسائل تل العمارنة ، فقد وصل الحيثيون إلى أعالى منبع نهر الأورنت فى تقدمهم نحو الجنوب وحشدوا قواتهم على مقربة من بحيرة حمص .

وكان رمسيس فى السنة الرابعة من حكمه قد وطد اقدامه على الساحل الفينيقى بعد غزوته الأولى الى ما يجاور بيروت وأقام نصب حدوده على شواطىء نهر الكلب وطفق يعد نفسه لمقابلة الحيثيين .

وأما عدد الجيش فلم نقف له على أثر أو دليل ، مع أنه تقابلنا أحصائيات للجيوش للصرية فى حملات صغيرة [1] ليست لها أهمية معركة قادش ، الشيء الذى يفصح عن — أهمالهم ذكر عدد جيوشهم فى الحملات الكبيرة ! وقد ذكر ديودورس أن عدد حملة قادش بلغ ٤٠٠ر٠٠٠ من المشاة و ٢٠ر٠٠٠ من الخيالة ولكن مثل هذه الأرقام — ولا نزاع — مبالغ فيها .

وقد يكون أقدم إحصاء ذكره النبيل « أونا » (من قواد المملكة المصرية القديمة) لما قاد حملته إلى سيناء وفلسطين ، فقد قرر أن عدد رجاله بلغ عشرات الآلاف،ولكن مثل هذا التقدير لم تدعمه مستندات أو مراجع أخرى،فضلا عن أنه رقم مبهم . أما حملة الحمامات التى حشدها الملك بنتوير امنتحوتب (٢١٠٠ ق . م) فقد بلغ عدد رجالها عشرة الآف مقاتل من البدو الرحل أهالى المديريات الجنوبية وثلاثة الآف بحار من الدلتا فيكون مجموعها ثلاثة عشر ألف مقاتل . وأرسل الملك « سنبكيرى » من ملوك الأسرة الحادية عشرة الى الحمامات فى حملة أخرى قوامها ثلاثة آلاف مقاتل . وهناك حملات صغيرة أخرى نهض بها حكام المديريات ، تألفت الواحدة منها من ستمائة وأربعمائة مقاتل .

وهذا أمنمحعت الثالث من ملوك الأسرة الثانية عشرة أرسل جيشا من ألف مقاتل إلى محاجر الحمامات — وكان معهم ٣٠ من صناع المحاجر و ٣٠ بحارا و ٢٠ من رجال الأمن . وقد أرسل كذلك قوة مؤلفة من ٧٣٤ جنديا إلى وادى للغارة فى سيناء .

ولم تصل إلينا إحصائية دقيقة عن عدد رجال حملات الأسرة الثانية عشرة .

أما عن حملات الأسرة التاسعة عشرة فقد أرسل رمسيس الثانى جيشا إلى الحمامات كان مؤلفا من الجنود المرتزقة /١٩٠٠ من الشردانا و ٦٢٠ من كيهيك(؟) و ١٦٠٠ من مشاواشا و ٨٨٠ من العبيد ، وبلغ مجموعهم ٥٠٠٠ مقاتل .

---

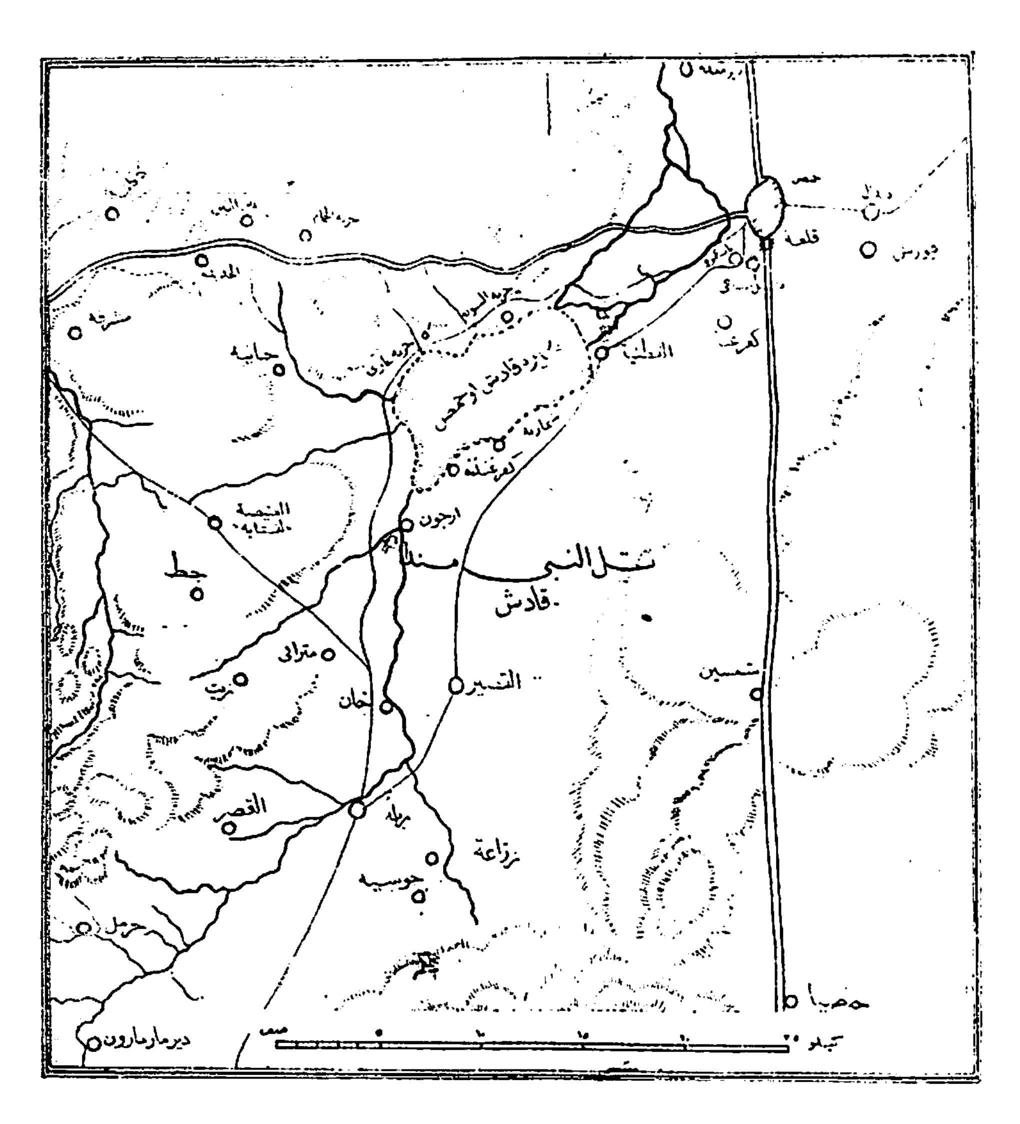
(١) حملات المناجم فى سيناء أو وادى الحمامات أو الحملات التى وجهت لفتح بلاد النوبة .

واتضح لنا من نقوش معبد الكرنك الكبير التى تبين الحرب الليبية التى شنها منفتاح (القرن الثالث عشر ق. م) أن عدد القتلى من الأعداء قد بلغ ٩٣٧٦، ووقع فى قبضته من الأسرى ما يقرب من هذا الرقم. وفى حرب ليبية أخرى مشابهة لتلك، شنها رمسيس الثالث فى السنة الخامسة من حكمه بلغ عدد قتلى الأعداء ١٢٫٥٣٥، وفى الحرب الليبية التالية كان عدد قتلى الأعداء ٢١٧٥ والأسرى ٢٠٥٢ وتألفت الحملة التى أرسلها الملك ذاته إلى محاجر جبل سلسلة من ٣٠٠٠ رجل — من بينهما ٢٠٠٠ من الجنود. ولم يكن غرض الحملة لأسباب عسكرية أو تأديبية بل كان القصد منها للعاونة فى أعمال النقل.

وأرسل رمسيس الرابع حملة إلى محاجر الحمامات وصل عدد رجالها ٨٣٦٨ منهم ٤٠٠٠ جندى وكان الهدف منها حماية العمال فى المنطقة وتقديم المساعدة لهم.

ومن المصادر القديمة التى تلقى قليلا من الضوء على عدد القوات فى ذلك العهد خطابات تل العمارنة، وقد تضمنت أرقاما ليست كبيرة بعكس الأرقام التى تصادفنا فى المصادر القديمة للغاية، كما ينبغى علينا ألا نعتمد على ما أورده هيرودت أو ديودور من الأرقام الضخمة المبالغ فيها. وعن جيوش البطالسة لا نقف على إحصائيات صحيحة وكل ما ذكره المؤرخون منها يعد أرقاما تقريبية.

وعلى كل، فقد كانت جيوش مصر فى العهد القديم الأول قليلة العدد، بينما كانت الجيوش الليبية المهاجمة أكثر عددا من الجيوش المصرية المدافعة. وأقرب الأرقام إلى الصحة كانت ٢٥٠٠٠ أو ٣٠٫٠٠٠، وتألف جيش رمسيس الثانى من أربع فرق بينها بعض القوات المرتزقة من شاردانا الذين تكونت منهم المشاة الثقيلة ولا يتيسر لنا أن نقرر بالضبط عددهم فى الجيش. كما أنه من الصعب تحديد عدد قوات المشاة أو قوات العجلات الحربية.



(ش٦٣) خريطة توضح موقع قادش هدف رمسيس

وقدر ماسبيرو عدد قوات الجيشين وحلفائهم بعشرين ألف مقاتل [1] .. ومن المستبعد أن يكون جيش رمسيس الثانى أقل عددا من ٢٠,٠٠٠ وهو أقل عدد يستطيع به القضاء على قوات الحيثيين . وعلى ذلك يكون قوام الفرقة الواحدة خمسة الآف مقاتل — لأنه إذا كان قد أستطاع أن يوفد حملة صغيرة إلى الحامات تعدادها خمسة الآف ، فمن السهل أن يصل جيشه فى حرب كبرى إلى عشرين ألفا على أقل تقدير، إن لم يك أكثر قليلا .

حمـــلة رمسيس الثانى

فى أخريات شهر أبريل من العام الخامس من حكم رمسيس الثانى — كما ذكر فى القصيدة المنسوبة إلى بنتاؤر — قاد حملته مبتدئا من ثارو فى الشمال الشرقى من حدود مصر . وكانت تتألف من أربع فرق — يقود الأولى منها وهى فرقة آمون التى كانت مقدمة الجيش — تتبعها الفرق الثلاث فرقة رع و بتاح وسوتخ .

والطريق الذى اتبعته تلك الفرق فى مسيرها فى فلسطين من الصعب معـــرفته بالتأكيد . ولكن ما كادت تقترب من جنوب لبنان حتى اتخذت الطريق المحاذى — كما يتبدى من نصوص قصيدة بنتاؤر — وكان رمسيس قد ثبت قدميه عليه فى العام السابق للحملة— بعد احتلاله مكانا على الشاطىء أطلق عليه اسم رمسيس — هذا المكان يقع عند مصب نهر الكلب حيث أقام نصبا لا يزال فى مكانه إلى اليوم .

وعقب ثلاثين يوما [2] من مغادرة الملك مدينة ثارو أقام معسكره جنوبى مدينة قادش واتجه صوب الشمال إلى نقطة تقع جنوبى وادى الأورنت .

---

١ — دفع الحيثيون إلى الميدان لمقاتلة المصريين — ٢٤٠٠ عجلة حربية ثم أرسلوا ألفا أخرى وكان فى كل عجـلة ثلاثة جنود — فيكون مجموع القوات ١٠,٥٠٠ — وكان تحت أمرتهم أيضا ٨٠٠٠ من المشاة — وبذلك وصل المجموع الكلى حوالى ٢٠,٠٠٠

٢ — بمتوسط سير ١٣ ميلا تقريبا فى اليوم .

ولا يتعين علينا ان نتتبع رمسيس إلى المعركة التى كان ينتظر نشوبها فى قادش قبل التعرف إلى جغرافية أرض المعركة — فعند هذا البحث نصطدم مباشرة بالحقيقة المعقدة حيث الجغرافية وطبيعة الأرض فى فلسطين معروفة ومدروسة جيدا على عكس ماتم منها فى شمال سورية [1]

والنقط الرئيسية التى تفيدنا فى فهم المعركة وسيرها هى :

١ — قادش .
٢ — المرتفعات الواقعة جنوبى قادش .
٣ — شابتونـا .
٤ — أرانامى .

قـــادش :

عندما نذكر أن رمسيس اتجه شمالا محاذيا نهر الأرنت للوصول إلى قادش . وأن هذا الاسم كان يطلق على بحيرة حمص كما ورد فى تاريخ « ابو الفداء » يتضح لنا أنه ينبغى البحث عن قادش على نهر الأورنت بالقرب من البحيرة المذكورة — وقد وصف المؤرخ أبو الفداء (القرن الرابع عشر) بحيرة قادش كما يلى :

« بحيرة قدس وهى بحيرة حمص طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ثلث مرحلة وسعتها طول السد الذى سنذكره ، وهى مصنوعة على نهر الأورنت فانه قد صنع فى طرف البحيرة الشمالى سد من حجر من عمارة — الأوائل وينسب إلى الاسكندر وعلى وسط السد المذكور برجان من الحجر الأسود ، وطول السد شرقا وغربا الف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعا وعرضه ثمانية عشر ذراعا ونصف . وهو حابس

---

١ — لم نرجع فى ذلك الى الخارطات التى عملت خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة ، فقد اوضحت علينا تفاصيل تلك البقعة التى داورت عليها معركة قادش والمرجع الطبوغرافى المفصل نجده فى خارطة (Blanckenhorn)

لذلك الماء العظيم بحيث لو خرب السد لفاض الماء وخربت البحيرة وصارت نهرا وهى فى أرض مستوية وهى تبعد عن حمص بعض يوم بغربيها ويصاد بها السمك »

ثم يعود أبو الفداء إلى ذكر البحيرة مرة أخرى عندما يصف مجرى نهر الأورنت .

وكنتيجة لكل الأبحاث التى عملت للوقوف على مكان قادش ، يمكن القول بأن قادش لابد انها كانت على مقربة من موقع البحيرة حتى إذا كانت البحيرة قد تكونت فيما بعد . وان قادش المدينة كانت تقع على نهر إلى جنوبى البحيرة .

وإذا انتقلنا إلى الربوة المعروفة باسم « تل النبي مند » التى تقع على الضفة اليسرى لنهر الأورنت على مسيرة ساعتين شمال « ربلة » ومسيرة ساعة من بحيرة قادش لوجدناها أهم الأغراض الطبيعية فى تلك المنطقة ، حيث نستطيع تعيين موقع قادش . وسنرى فى أى المناسبات جاء ذكرها فى نص المعركة .

يقول الملك رمسيس الثانى ان آخر نقطة عسكرت فيها قواته قبل وصوله إلى قادش كانت على « الربوة الواقعة إلى جنوبى قادش » ثم انه اتجه شمالا ووصل إلى جنوبى مدينة « شابتونا » ثم اتجه الى الشمال وصل الى الشمال الغربى من قادش . ويتفق هذا النص مع ماجاء فى نص قصيدة بنتاؤر . وقد تمت كل هذه التحركات بمحاذاة نهر الاورنت وكانت آخر مراحل السير « الربوة الواقعة إلى جنوبى قادش » ومنها قصد قادش ليحارب المعركة الفاصلة على رأس قواته ، وقد تم ذلك فى يوم واحد.

ولما كان من الممكن فى تلك الأيام السالفة ان تكون سرعة التحركات عبارة عن خمسة عشر ميلا فى اليوم تقريبا . فمن المنتظر ان تكون قادش واقعة شمال هذه الربوة بخمسة عشر ميلا .

والواقع أنه كان لموقع قادش أهمية كبرى ، فهى أهم مفترق للطرق الرئيسية الفاصلة بين السهول والجبال الشامية ومفتاح الطرق المؤدية من الداخل الى البحر — ولتلك الأهمية تفهم الأسباب التى كانت تدفع بملوك مصر الفاتحين فى العهود القديمة الى

الاستيلاء عليها . فقد استنفذت جهود ثمانية أعوام قضاها تحوتمس الثالث محاربا أعداءه قبل استيلائه عليها — الى أن وقعت فى قبضته — ثم أصبحت فيما بعد مركز الحلف السورى الذى ناصبه العداء حوالى عشرين سنة من الجهاد المستمر بين الطرفين . فلما استولى على قادش ، بعد حصار طويل ، أصبح تحوتمس سيد الموقف وقضى على مقاومة المتحالفين ضده .

وفيما بعد لما انحدر الحيثيون وأحلافهم من جنوب آسيا الصغرى ، مكتسحين كل الدويلات التى أمامهم ، كان هدفهم الاستيلاء على قادش ، لتكون قاعدة أمامية لهم وحرمان ملوك الأسرة الثامنة عشرة المصرية من الانتفاع بها — وقد تم لهم ذلك — وعرفوا مزاياها مدة طويلة — وقاوموا رمسيس الثانى فى تقدمه نحوهم فى العام الخامس من حكمه .

وقد وقفنا على موضع الربوة التى تقع جنوبى قادش فى خلال ماذكرناه عن مكان قادش — وهذه الربوة هى « تل قموات الهرمل » أما « شابتونا » فلا بد أن تكون واقعة على نهر الأورنت بين الربوة المذكورة وقادش وقد مربها رمسيس الثانى فى ذهابه الى المعركة وهى المعروفة باسم « ربله » .

اما أرانامى فهى جنوب شابتونا — وقد مرت بها فرقة بتاح فى تقهقرها الى الجنوب .

معركة قادش

تكلمنا عن أهم مراجع المعركة المصرية ، ثم حددنا أمكنة أهم بقاع السير والتقدم والتحركات . ولنستهل الحديث عن أدوار القتال وتكتيكات المعركة .

فى عام ١٢٨٩ ق . م بدأ رمسيس الثانى الحرب ضد الحيثيين فى سورية ، وكان العالم الأول عام اعداد وتجهيزت فوصل فى نهايتـه الى نهر ليسيوس على مدى سبعة أميال شمالى بيروت . وفى بيروت أو على مقربة منها أنشأ قاعدة لعملياته الحربية فى العام التالى . فلما انتهى منها قفل راجعا الى مصر مع بقية جيشه .

وحين حل الربيع التالى —العام الخامس من حكمه ـ خرج الى ميدان القتال فى نهاية ابريل ووصل قاعدته مجتازا فلسطين فبلغها بعد ثلاثة أسابيع ، وهنا نظم جيشه فى تشكيل القتال ، وضم حامية القاعدة الى جيشه الذى كان قد وصل الى عشرين ألف جندى مشكلين فى أربع فرق سميت حسب ترتيب السير .

فرقة آمون — فرقة رع — فرقة بتاح — فرقة سوتخ .

وقد وضع جنود الحامية ، الذين تزعم بعض المصادر بانهم من الجنود الجدد أو صغار السن ، فى قلب الجيش بينما كان الفرعون نفسه مع الحرس الأمامى لفرقة آمون وراكبي العربات بنسبة متساوية . وكان جنود المشاة مسلحين فى الغالبية بالحراب والدروع بينما كان راكبو العربات مسلحين بالأقواس والسهام .

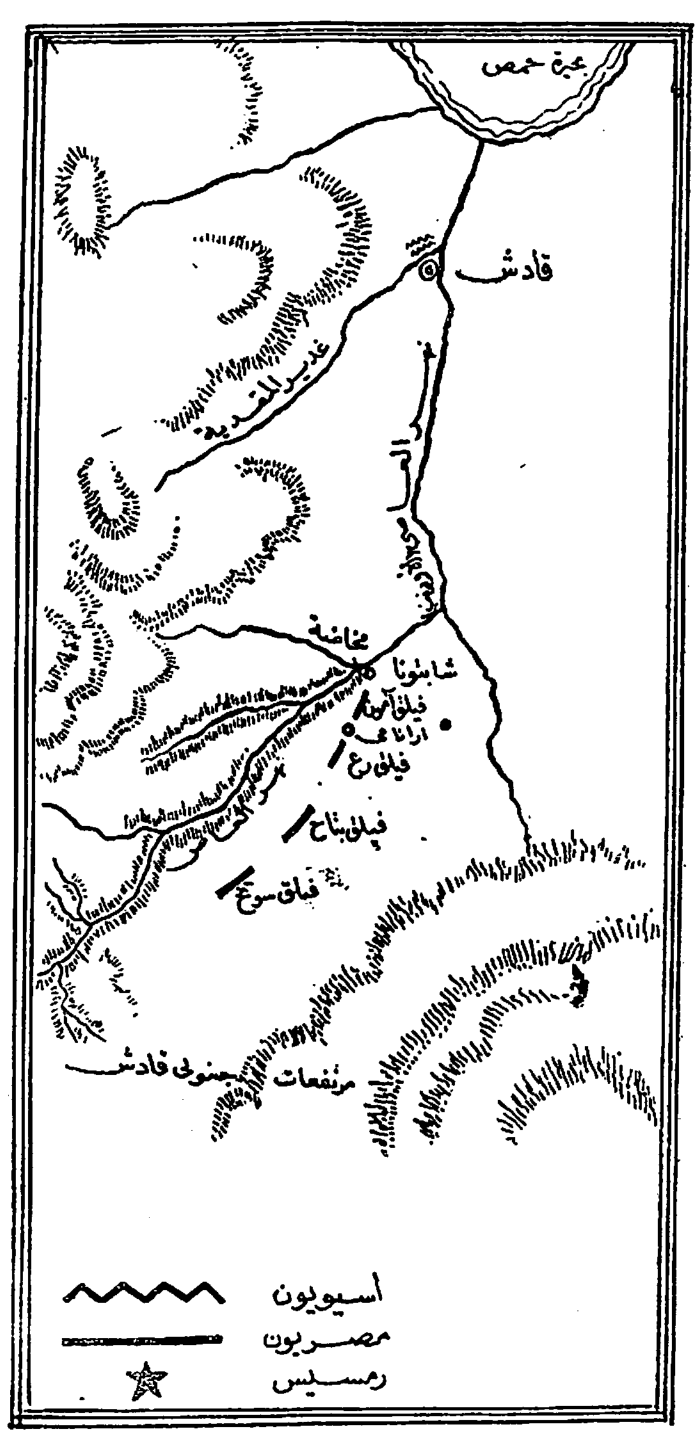
وبالرغم من ان الجيوش لم تك تعرف فى ذلك الوقت التنظيمات الخاصة بالامدادات والتموين وكان الجند يعيشون على ما فى المنطقة التى يقيمون فيها من طعام ، فان جيوش الفرعون لم تعش عالة على الأهلين ، ولهذا فقد كان فى مؤخرة جيش الفرعون عدد كبير من الماشية والأبقار والماعز .

وكانت كل فرقة من الجيش مؤلفة من جميع الأسلحة وتستطيع أن تقاتل مستقلة عن غيرها ، وكانت القوى المعنوية للجيش سامية وتنظيماته لسير الاقتراب فى درجة من الروعة ليست قليلة .

على أن قوة جيش فرعون لم تكن فى عدده وعدته ، بل كانت فى شهرة ومهارة القائد الأعلى وهو رمسيس الثانى ، الذى لم يكن قد تخطى الثلاثين بعد أن كان وصل نهاية الحقبة الثالثة من عمره ، تلك الشهرة التى جعلته فذا بين محاربى عصره .

ولقد يتسنى لنا أن نقارن رمسيس الثانى بالكثير من الملوك القادة الذين نالوا انتصارات حاسمة فى فجر حياتهم كاسكندر الأكبر أو نابليون ..... مع بعض الفارق فى نواح أخرى .

والآن يتيسر لنا أن نتجه بالحديث الى الحيثيين الذين هم أصلا من آسيا الصغرى ونلقاهم فى فجر هذه الحملة يتجمعون على مقربة من حماة وكانت قاعدتهم الأمامية فى حلب



(ش ٦٤) خريطة تبين الوضع الأول لفرق الجيش المصري استعدادا لمعركة قادش

ولسنا نعرف اسم ملك الحيثيين . ولكنه لا ريب كان خصما عنيدا لرمسيس ولم يك جيشه يقل عددا عن جيش رمسيس الثانى ، كما كان نصفه — على وجه التقريب — من راكبي العربات بنسبة ثلاثة من الجنود لكل عربة ، ولم يك الجيشان الأساسيان قد التقيا فى القتال فى العام السابق ، وكان كلاهما يمتلئان بروح هجومية قوية .

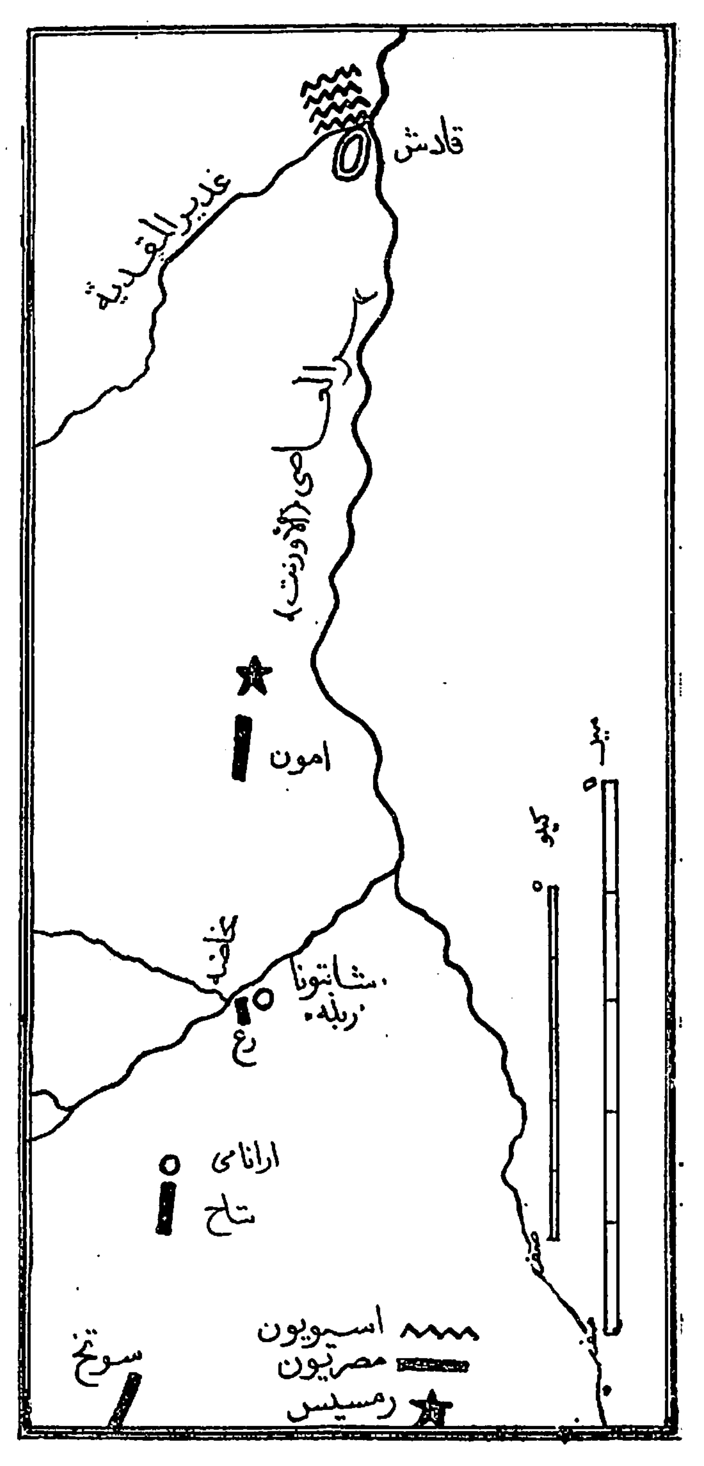
سير الاقتراب للمحاربين المتضادين

فاذا تركنا الحيثيين فى حماة يواجهون الجنوب ، وعدنا الى مصاحبة المصريين فى الطريق التى سلكوها ، فانا نلقى رمسيس لا يتوقف الا القليل جدا فى قاعدته الأمامية ، ثم يتابع السير فى خطوات سريعة ، هذه الخطوات التى بدت واضحة فى مراحل سيره الأولى منذ ترك وادى النيل متجها للشرق ، فلما عبر سلسلة الجبال بين ممر فى شرق بيروت اندفع فى الوادى قاطعا طريقا من أقدم الطرق المعروفة فى التاريخ . فوصل الكرمل بعد ثلاثين يوما من مبارحة مصر .

وكان قد قطع أربعمائة ميل فى هذه الأيام الثلاثين . أى بنسبة ثلاثة عشر ميلا فى اليوم الواحد ، وهى سرعة تدل على سرعة حركة تعتبر مثالية لجيش كبير نسبيا فى ذلك العصر . وفى ذلك المكان فوق مجرى النهر عند أعلا التل ، أقام رمسيس معسكره لقضاء الليل . ولم يك قد اشتبك بعد بقوة ما من جيش الحيثيين ، أووصل إلى علمه شىء من أنباء الاشتباك .

وكانت جميع الظروف توحى بحقيقة واحدة ، وهى أن الحيثيين مازالوا بعيدين فى الشمال . وكانت مدينة قادش ذات الأسوار العالية لا تزال على مسافة خمسة عشر ميلا من معسكره . وقرر رمسيس أن تكون قادش هدفه فى اليوم التالى .

واستهل جيش فرعون مسيره مبكرا مع ظهور الضوء . فلم يكن من سبيل للبقاء أكثر من ذلك لانعدام المياه فى ذلك المكان من التل . واندفع رمسيس بجنوده مسرعا نحو سفوح التلال صوب السهل عن طريق « ربلة » .



(ش ٦٥) خريطة توضح الوضع الثانى لفرق الجيش المصرى و هى تقترب من قادش و نلاحظ فرقة آمون فى المقدمة

وقبل أن يصل رمسيس إلى تلك المدينة بلغه نبأ هام . فقد أمسك جنود الوقاية الأمامية بتلابيب اثنين من البدو ربما كانا قد هجرا الصفوف من جيش الحيثيين وأوريا أن زملاءهما ، يتوقون إلى الفرار جملة والانضمام إلى المصريين . وقال البدويان أيضا إن الحيثيين عندما سمعوا باقتراب الفرعون توقفوا عن السير بجوار حلب . كما أرشدا رمسيس إلى مخاضة فى النهر لشمال المدينة هى أصلح طريق لعبور جيش الفرعون .

وكانت هذه الأنباء فى مجموعها كافية لأن تهب رمسيس الفكرة التى كانت قد اختمرت فى رأسه من قبل . وهى أن الحيثيين لازالوا بعيدين .

وهكذا تابع رمسيس مسيره فى ذات التشكيل ... وكل فرقة تصل المخاضة تنتشر بالدور . الواحدة تلو الأخرى لترتوى ولتعد طعامها فيتناوله الأفراد .

فإذا رجعنا إلى الحيثيين فانا نلقى شيئا غريبا ، فإن ملك الحيثيين بدلا من أن يرتد إلى حلب سار جنوبا بكل جيشه ، وكان إذ ذاك يحتل مواقعه شرقى قادش مع قوة غير قليلة فى المدينة نفسها .

وكان الهدف الذى عناه ملك الحيثيين هو أن يقوم بالهجوم ، وأن يدمر جيش عدوه وكان هدف رمسيس مثله تماما ، إلا أن ترتيبات ملك الحيثيين كانت أوفر تنظيما لأن هذين البدويين اللذين قالا أنهما هجرا الجيش للانضمام إلى المصريين كانا رسولى الحيثيين بعثوا بهما لتضليل الأعداء .

على أن الخطة كانت قد سارت شوطا أبعد من هذا . فإن الرجلين بحديثهما لم يعرضا رمسيس وجيشه لعامل « للفاجأة » وحده بل أنهما باغرائهما رمسيس على اتخاذ طريق خاص لسيره — هو الطريق الذى يجرى على الشاطىء الأيسر للنهر — فإنهما كانا يمكنان الحيثيين من الحصول إلى جانب المفاجأة على عامل آخر هو تطبيق عامل الحشد لقوة أكبر فى النقطة الحاسمة ، وهذا يمكن إدراكه بوساطة توزيع قوات جيش المصريين وكانت الخطة بسيطة ، وكانت بساطتها من أهم

الأسباب التى تجعلها قوة مؤثرة عند تنفيذها . ولكى نستطيع أن نتبين مدى قوة خطة الحيثيين بارسالها هذين الرجلين لخداع رمسيس ومدى تأثيرها عندما تم فصولها — ينبغى أن ننظر إلى التنظيمات التى قدرها ملك الحيثيين فى تطبيقها تبعا لطبيعة أرض المعركة .

أرض المعـــــركة

تقع مدينة قادش فوق التل وتحيط بها من كل الجهات تقريبا مجارى مياه طبيعية تخرج من الزاوية العمودية التى يكونها النهر ، وتبعا لاختفاء جيش الحيثيين فى الجانب الآخر من المدينة فإن المصريين عندما يصلون قبالة المدينة لن يرقبوا شيئا منه لوجود التل والمدينة فيما بين الجانبين المتضادين ، وسيكون كل قول من القولات المصرية عند عبوره المخاضة وخروجه من الغابة التى تقع على مسافة أميال قلائل فى الشمال غير منظم وغير ملتئم الصفوف.

ولهذا كانت خطة الحيثيين فى تلك المرحلة من المعركة هى أنه عندما يكون رأس كل قول فى مواجهة قادش تعبر النهر قوة كبيرة من وحدات العربات مجتازة المخاضة على مسافة ميلين جنوبى المدينة فتقطع قول المصريين فى منتصفه وتطوى رأس القول ثم تشتبك بمؤخرته، وعند خروجها من الأحراج الكثيفة الأشجار فى مجموعات صغيرة ، وينبغى أن نلاحظ أن وقاية قوات الحيثيين قد وضعت على أساس الاستناد إلى النهر ، وإلى أعداد نقط للرقابة فى أعلا أسوار المدينة ، وكانت الخطة على بساطتها قوية رائعة ، وتبدى قوة المصيدة التى أعدت لرمسيس وجنوده ... ترى هل كان القدر يقضى أن يقع فيها ؟

اقتراب جيش مصر :

وبدأت فرق جيش مصر ترتوى وتتناول طعامها ، ثم تجتاز المخاضة ... وقد تم هذا دون أية حادثة ... ولا زالت القوات فى تشكيلها الأول .

وكان رمسيس لا يزال يتولى القيادة فى مقدمة جيشه بنفسه راكبا عربته الحربية

وكان من الطبيعى أن كل فرقة ، تبعا للإضطراب الذى يحدث فى تنظيم الصفوف أثناء العبور ، كانت مقدمتها تتوقف عن السير عند الشاطىء البعيد لتمكن مؤخرتها من الاقتراب، وهكذا كانت توجد ثغرة من ميل إلى ميلين بين كل فرقة وأخرى ، وفقدت القوات المسافة بين بعضها البعض ثانية فى خلال إجتيازها الاحراج ، ولكن بعد أن وصل رمسيس إلى الشاطىء الشمالى للنهر لم يفكر فى الانتظار حتى تنضم إليه فرقة آمون ، بل تابع سيره ، ثم أن مدينة قادش كانت قد بدت على مرمى سهم !!

ووصلت مقدمة فرقة آمون إلى المكان المختار للمعسكر فى المساء المبكر ، فكان هذا إيذانا بأن الجيش قد أكمل مسيرة خمسة عشر ميلا فى أرض وعرة وفى يوم واحد وهذا نجاح منقطع النظير .

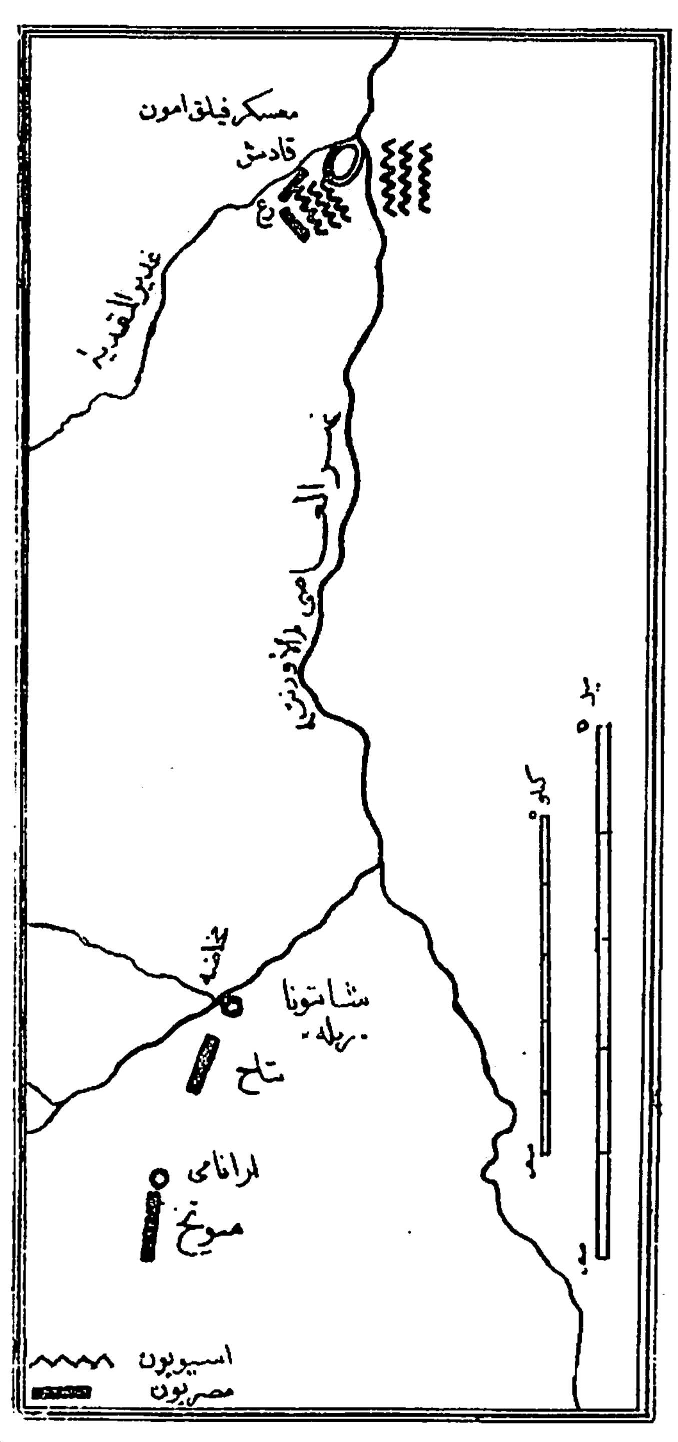
وفجأة لاح فى أعلا جدران المدينة جماعات من الجنود المسلحين ، ولهذا بعث رمسيس بدورياته وأقيمت زريبة من الدروع القوية حول المعسكر وحطت فرقة آمون رحالها .

وقد أقيم المعسكر على مسافة ميل تقريبا غربى المدينة وثمانية أميال شمال المخاضة

وتقدم لنا المعلومات التى وصلتنا صورة طيبة لمعسكرات الإقامة ، وهذه الصورة توضح لنا أن أصول الحرب لم تتغير ولن تتغير منها إلا وسائل وأساليب تطبيق هذه الأصول بل ولا شك أن أصول استخدام العربة والجواد لا يمكن أن تتغير ، فإن العربات تجمع بعضها البعض .

وتوقفت الخيول فى صفوف متراصة على مقربة من العربات ، فاذا كان أحد الرجال مشغولا بإعداد العلف للخيول ، فان آخر يكون يقوم يسقيهم بينما يكون ثالث الرجال لكل عربة جالسا يتناول غذاءه .

على أن هذه الصورة صالحة لحياة السلم فى معسكر للاقامة بعيدا عن العدو ولم يكن هناك من سبب يدعو لتعديل هذه الصورة . أليس جيش العدو وقد توقف عن السير عند حلب عندما وصل إلى الجيشين نبأ سير رمسيس . إذن ففيم الخوف ؟



(ش ٦٦) خريطة تبين الوضع الثالث لفرق الجيش المصرى وفرق الجيشين أمام قادش

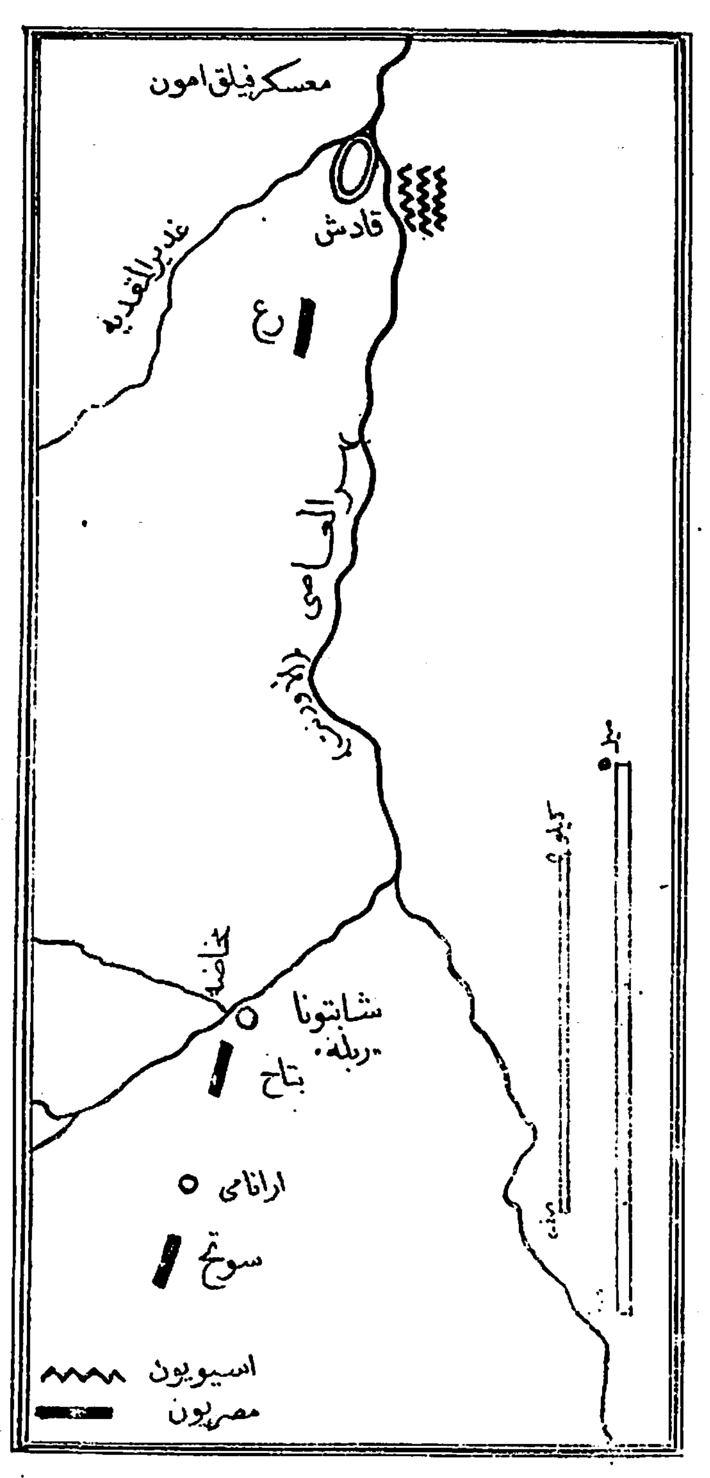
وفجأة اضطرب الجو .. فقد جاءت إحدى الدوريات باثنين من جنود استطلاع العدو أمسكت بهما على مقربة من جدران المدينة وقد رفض الرجلان أن يتكلما حتى جلدا ، وإذ ذاك قالا بأن جيش الحيثيين ليس بعيدا كما كان رمسيس يؤكد بنفسه بل إن العدو فى الجانب الآخر من المدينة ، وكانت دهشة رمسيس بالغة وكانت ثورة غضبه كبيرة ، فقد التفت إلى أركانى الحرب مؤنبا إياهم على سوء ترتيباتهم لتسقط أنبـاء العدو ولـكن ماذا يفيد اللوم والتأنيب والأنباء السيئة تجىء فى أثر بعضها البعض ؟

على أننا قبل أن نمضى بعيدا فى الحديث عن المعركة ، فمن الضرورى أن ندرس موقف الجيشين المتضادين ، هذه الدراسة التى نجدها واضحة فى الرسوم التى تصحب هذا الفصل .

ففى أحد هذه الرسوم يبدو لنا الموقف الحرج الذى كان فيه جيش الفرعون ممتدا لمسافة ثمانية أميال بفواصل فسيحة بين فرقه ، بينما كان جيش الحيثيين متجمعا محتشدا متأهبا لتوجيه ضربته لجيش الفرعون .

وقد نظم ملك الحيثيين ضربته فى ترتيب زمنى جيـد ، والحشد يمكن من التوقيت الزمنى الجيد دون مراء ، سيما إذا قدرنا أن تطبيق مبدأ الحشد فى صورة طيبة إنما معناه الحشد فى المكان والوقت الصحيحين .

ووجه ملك الحيثيين ٢٥٠٠ من راكبي العـربات و ٧٥٠٠ من المشـاة تجاه المخاضة بعيدا عن نظر المصريين ، وعبرت النهر هذه القوة الكبيرة واندفعت نحو الجنب المعرض لفرقة رع ، ولم يكن المصريون قد فكروا فى حراسة جنبهم ، ثم أن هذا الاندفاع العنيف جاء مفاجأة بدرجة كبيرة واستطاعت العربات أن تقسم فرقة « رع » من منتصفها وأن تدور الموجات التالية حول أجناب القسمين الموزعين وأن يقوم المشاة بهجوم اقتحامى قوى ، وفى ذلك الوقت استطاع ضابط مصرى من فرقة « رع » أن يشق طريقه وسط عربات الحيثيين وأن يصل إلى معسكر رمسيس حاملا اليهم النبأ السىء بأن لمزيمة تدب فى صفوف جيشه!!



(ش ٦٧) خريطة تبين الوضع الرابع لفرق الجيش المصرى وفرق الحيثيين أمام قادش

نشاهد الآن صورة فذة لهجوم القوات المدرعة وهى تفاجىء قوات فى تشكيل السير لم تأخذ أهبتها للقتال على أن الضربة على شدتها وعنفها لم تمزق أكثر من شرايين قليلة فى جسم جيش مصر .

وهنا حانت الفرصة ليظهر رمسيس معدنه الصلب وتحكمه فى أعصابه وتفكيره فى اللحظات الحرجة كقائد مدرب له قدم موطدة فى الصراع ، وانتهى رمسيس بسرعة من دراسة موقفه ، ولم يكن أمامه غير خطوتين اثنتين يتعين عليه أن يخطوهما سريعا.

الخطوة الأولى أن يزيد من سرعة سير فرقتيه الأخريين ، وهذا أمر وكله إلى وزيره أى (رئيس أركان حربه)

والثانية ، أن ينظم هجوما مضادا بفرقة آمون ، الأمر الذى قدره وقرر أن يتولاه بنفسه واندفع رمسيس من مخيمه فامتطى عربته التى كانت معدة بعد أن بعث الانذار فى جنبات المعسكر ايذانا بهجوم العدو فربطت الجياد إلى العربات وأسرع الجنود إلى أسلحتهم ، ولكن فى تلك اللحظة زاد الاضطراب والجزع اللذان كانا يبدوان بجلاء فى وسط المعسكر بوصول بعض جنود فرقة « رع » الذين كانوا قد اطلقوا سيقانهم للريح نحو المعسكر للفكاك من المذبحة التى يقوم بها الحيثيون ، وقد اندفع هؤلاء وسط المعسكر يتبعهم الحيثيون الذين تعقبوهم مندفعين فى موجات متتابعة وسط جنود رمسيس ، وتزاحمت عربات الحيثيين تحيط بمعسكر المصريين . وبالرغم من انهماك الكثير من المشاة للدفاع ولدفع هجوم الحيثيين جانبا إلا ان ضغط هجوم الأسيويين كان كبيرا وبدا لرمسيس أن لافائدة من البقاء لأمد أطول من هذا ، فجمع ماتبقى من فرقة آمون واتجه للشمال .

وسقط المعسكر غنيمة باردة فى يد الحيثيين ، وهنا أضاع الأسيويون الفرصة التى سنحت لهم وما كانت لتسنح لولا عامل للفاجأة والحشد اللذين فقدهما رمسيس فى أول جولة نتيجة ضعف تنظيمات مخابراته ، فإن هؤلاء بدلا من ان يتأهبوا



(ش ٦٨) منظر من معركة قادش بعد ماضلل رمسيس الثاني بأنباء زائفة فكان أن عزلته مركبات العدو عن قواته ولكنه استطاع وحده أن يلحق الهزيمة بأعدائه ، فسقط محاربوهم وقتلت جيادهم (معبد أبو سمبل)

لمطاردة المصريين المرتدين فى صحبة الفرعون ، انصرفوا إلى نهب المعسكر واستطاع رمسيس أن يعيد تنظيم فرقتى آمون ورع وأن يعاود الهجوم بهما لقتال الحيثيين .

ويتعذر الاعتماد على المراجع التى وصلت إلى أيدينا وقد لايكون هذا غريبا لأن القتال على مايبدو كان مضطربا ، وهو لايزيد على هجمات مضادة متتالية عنيفة قطعت ثلاث ساعات طويلة من ذلك اليوم .

وفى أثناء هذا ألقى ملك الحيثيين بألف من العربات للمعاونة فى القتال ولكنه هو نفسه لم يعبر النهر ولم يبعث بأى جديد من مشاته للقتال .

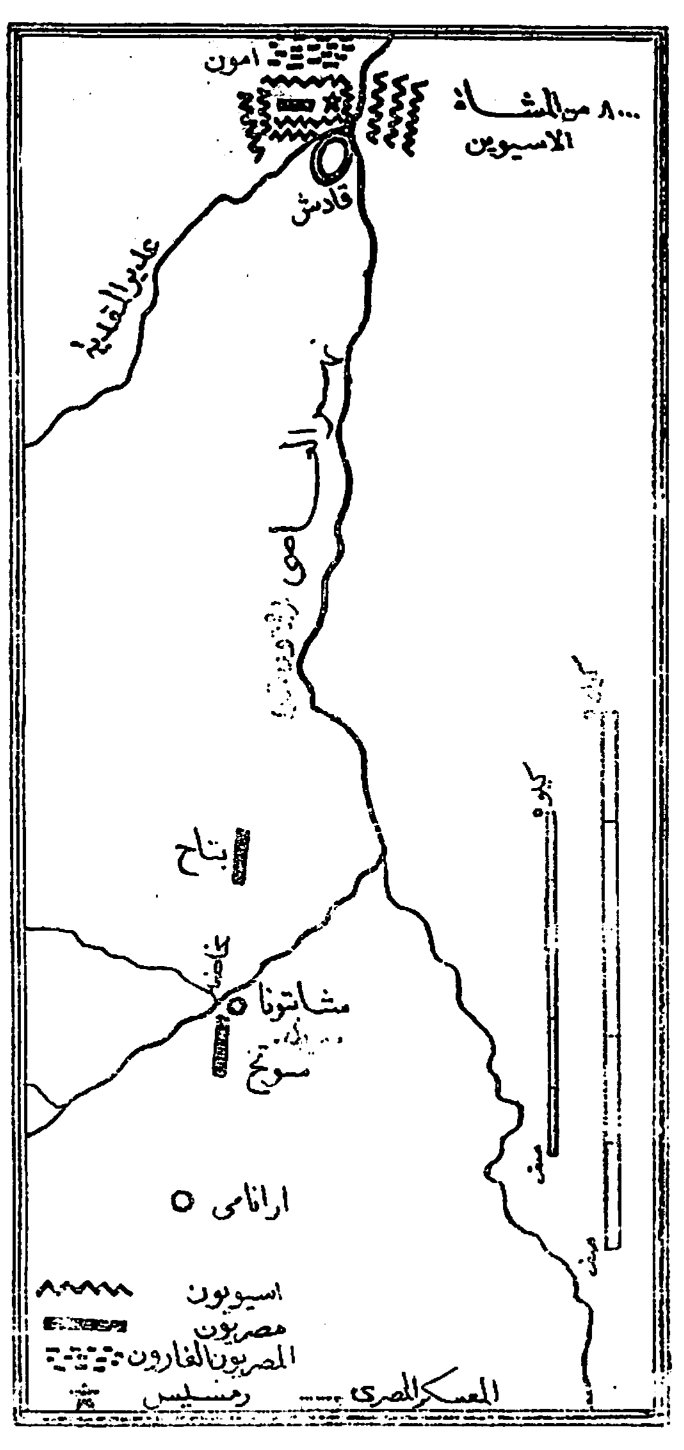
ولكن ماذا كان يحدث فى الجنوب إذ ذاك ؟

كان وزير فرعون قد بعث ، عندما تلقى تعليمات رمسيس وأوامره ، جنديا لينقل الأوامر إلى الفرقتين اللتين تجيئان فى المؤخرة للإسراع لنجدة فرعون ، ويلوح أن الوزير أجمع أمره على ان الأصلح أن يذهب هو بنفسه واندفع بعربته فى أعقاب رسوله ، بعيدا عن ميدان المعركة .

ولقى فى طريقه جماعة كبيرة من جنود القاعدة عند طرف الأحراج فوجههم لمهاجمة الحيثيين الذين يحتلون المعسكر من الغرب ، ثم فكر فى أن يندفع نحو فرقة « بتاح » ليقود جندها بنفسه لمهاجمة المعسكر من الجنوب فى هجوم أمامى .

وكانت فرقة « سوتيخ » لاتزال بعيدة فى الجنوب وعلى مسافة لاتمكنها من الاشتراك فى القتال فى ذلك اليوم ، وقد اتجه جنود القاعدة كما أمرهم الوزير الذى تابع طريقه للبحث عن فرقة « بتاح » فوجدها . وبدأ سيره فى الاتجاه الجديد يقود بنفسه فرقة كاملة لنجدة فرعون .

ونتيجة لهذا كانت عربات الحيثيين تلقى الأمرين ، فرمسيس يقاتل بنفسه وبجنوده قادما من الشمال ، بينما يتقدم الجنود الجدد من الغرب متجهين إلى الشرق فى قوة وعنف ، فهم لم يشهدوا القتال بعد ولم يقابلوا الحيثيين من قبل ، فهم لايقدرونهم



(ش ٦٩) خريطة تبين الوضع الخامس لمعركة قادش حينما اصطدمت فرقتا آمون ورع بقوات الحيثيين التى أحاطت برمسيس

بأكثر مما يمكن أن يقدروا أيا من خصوم رمسيس الذين اعتاد اباؤهم من قبل الانتصار عليهم . وفى أثناء هذا جاء هجوم جديد من الجنوب بفرقة كاملة يتولى قيادتها وزير رمسيس ورئيس هيئة أركان حربه .

وتلفت الحيثيون حولهم للبحث عن مدد ، بيد ان شيئا لم يبد فى الأفق . فان مشاة الحيثيين بقوا فى مكانهم فى الجانب الآخر من النهر وفى المدينة ولم يقم ملك الحيثيين بأية محاولة جدية لمعاونة قواته الخفيفة على ما يظهر من المراجع التى وصلت إلى ايدينا ، وإن كان بعض الناس يقولون ان ملك الحيثيين قد حاول عبور النهر على رأس قوة كبيرة إلا انه قد غرق لأن المراجع المصرية القديمة تذكر ان جثته انتشلت من مياه النهر بسحب قدميه . ولهذا أمكن التعرف عليه من درعه وثيابه [1] وتعدل الموقف وتبادلت كفتا الميزان ولم يعد أمام الحيثيين من راكبي العربات إلا أن يستشعروا طعم الهزيمة فداروا على أعقابهم واسرعوا للفكاك من قبضة المصريين. وكان الاندفاع نحو المخاضة غريبا فكل فرد يعمل على أن يسبق زميله لينجو . وارتطمت الجياد والعربات ، وبات التزاحم عند المخاضة أخطر من حراب المصريين الذين تابعوا المطاردة بعنف وهم يقذفون الحيثيين بغلالة كثيفة من السهام .

وانتهت المعركة ...

ولم يبق على الضفة الأسيوية (الغربية) أسيوى واحد ... وبات الفرعون سيد ميدان القتال بلا منازع .

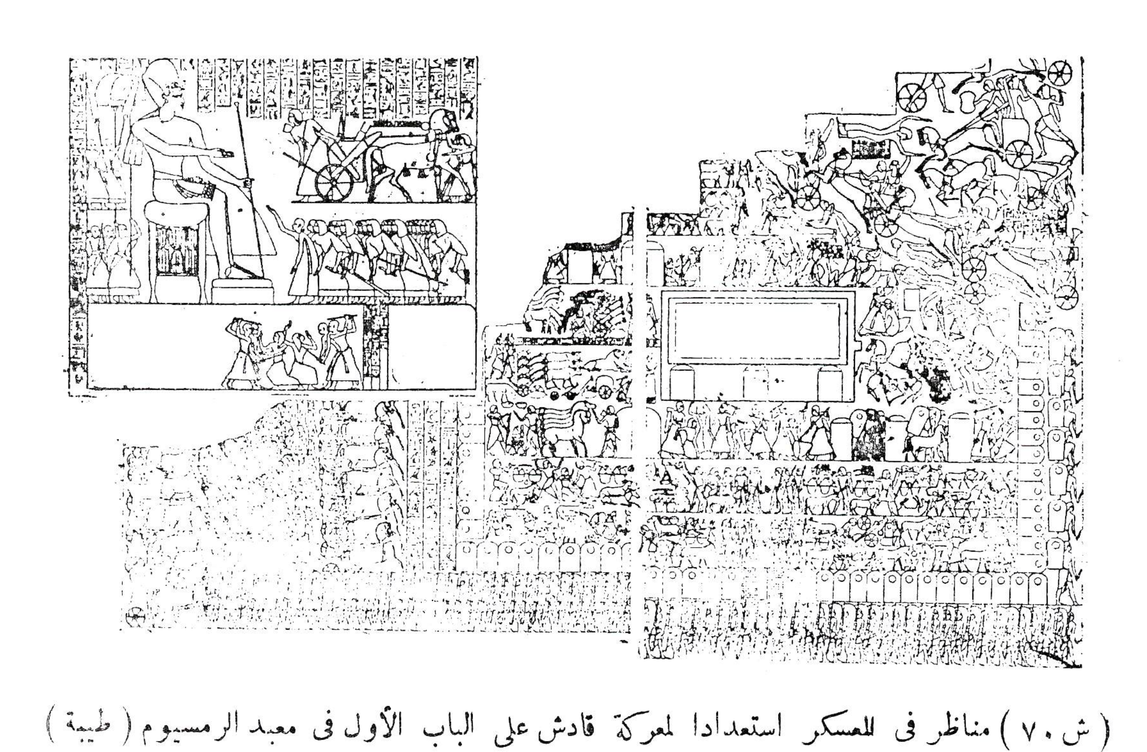
نظرة الى المعركة :

ولكن لماذا لم يدفع ملك الحيثيين مشاته للقتال ؟!

كثير هو مايمكن ان نفكر فيه عند محاولة التعليق على المعركة ... بيد أن شيئا واحدا هو هذا السؤال الذى قدمنا به الحديث يسيطر على رأس الباحث فلا يمكنه من التفكير فى شىء آخر .

---

١ — نقلنا هذا الوصف من كتاب للكولونيل بيرن عن الحروب البرية .



(ش ٧٠) مناظر فى المعسكر استعدادا لمعركة قادش على الباب الأول فى معبد الرمسيوم (طيبة)
وإلى اليسار يرى رمسيس الثانى جالسا على عـرشه والجنود يقدمون له الولاء

يبدو ان ملك الحيثيين قد فشل في إدراك عاملى « التعاون والحشد » وكان فشله فى المزج بين هذين العاملين هو المؤثر الأول فى اخفاق إدراكه من اصول الحرب الأخرى .

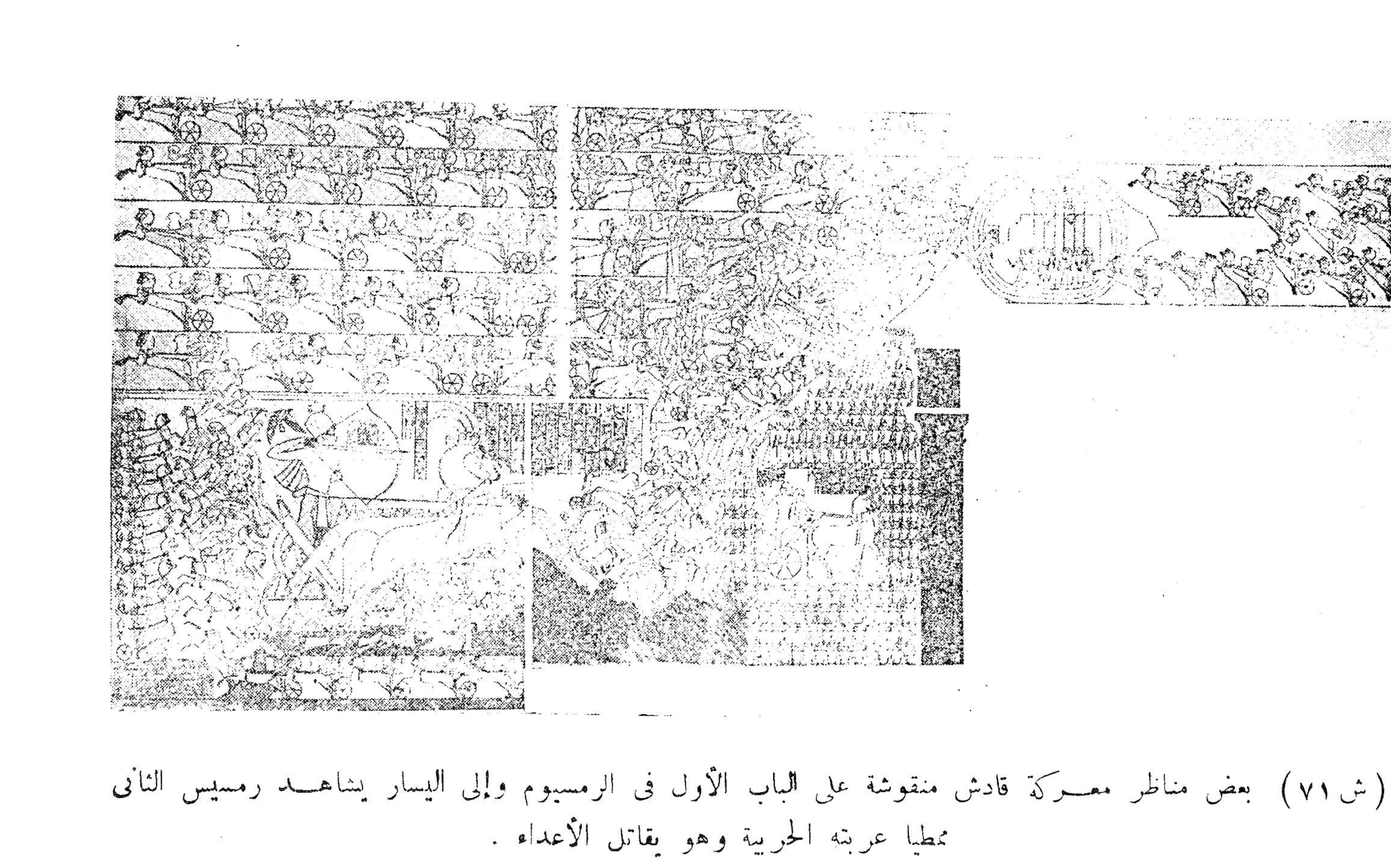
ولو كان ملك الحيثيين قد تابع النجاح الذى استحوذ عليه فى المرحلة الأولى للمعركة بأن دفع كل عرباته للقتال وسار فى اعقابهـا بكل مشاته إما عن طريق المخاضة ذاتها أو بالدوران من الشمال للمدينة لحصل بلا شك على نصر حاسم .

على ان السبب الحقيقى لفشل ملك الحيثيين يمكن ان يكون نفسيا أكثر من أى شيء آخر ، فقد كان موفور القوة الذهنية وكان من هذه الناحية يضمن افضلية ساحقة على الفرعون ولكنه كان يحس فى قرارة نفسه بانه اضعف من خصمه ... ولهذا لم تتوفر فيه الجرأة فى تنفيذ خطته الحكيمة ..

ومن جهة أخرى نلقى الفرعون ووزيره يهملان فى بداية المعركة أصول الحرب من الوقاية إلى الحشد .. إلى الاقتصاد فى القوى، ولكنه لم يلبث أن استعاد السيطرة على كل هذه الأصول نتيجة لفشل ملك الحيثيين فى الاحتفاظ بها .

والواقع أن رمسيس الثانى كان صورة فذة وسط خصومه ، وقد بقى الساعة بعد الأخرى يقاتل ضـد قوات تزيد عددا عن جنوده ، منقطعا عن بقية جيشه لا يستطيع حتى الاتصال بفرقتيه اللتين لا تزال قوتهما كاملة ، ولكن كانت ثقته برئيس هيئة أركان حربه كبيرة ... وكان يعرف أنه لن يخذله .. وهكذا استطاع الرجلان نتيجة تعاونهما معا أن يقلبا الهزيمة إلى نصر حاسم .

على أن المعركة فى الواقع بالرغم من أنها كانت صورة رائعة لفن القتال إلا أنها كانت أبعـد من أن تكون حاسمة من ناحية النتائج . فإن مشـاة الحيثيين كانوا لا يزالون فى قوة كاملة . وكان من الممكن أن يقاتلوا فى أكثر من معركة ، ثم أن الحيثيين كان لا يزال لديهم بعض العربات يتهيأ لجنودها أن يقاتلوا فى سلسلة من المعارك للارتداد شمالا أو لانتظار امدادات أخرى من الشمال .



(ش ٧١) بعض مناظر معركة قادش منقوشة على الباب الأول فى الرمسيوم وإلى اليسار يشاهد رمسيس الثانى ممطيا عربته الحربية وهو يقاتل الأعداء .

ولم يكن فى استطاعة رمسيس كذلك أن يقاتل بقوة نظرا لخسائره الجسيمة، علاوة على أن تأثير المعركة فى نفسه كان كبيرا . وذلك لم يكن مثار غرابة أن يقبل رمسيس الصلح وأن يعود بجيشه إلى مصر .

ولكن مع هذا فان المعركة تبين بدرجة كبيرة أن أصول الحرب ثابتة ، وأن الذى يتغير وحده هو تطبيق هذه الأصول .

وانتهى القتال بأن وقع الفريقان المتحاربان معاهدة صلح حوالى عام (١٢٧٢) قبل الميلاد .

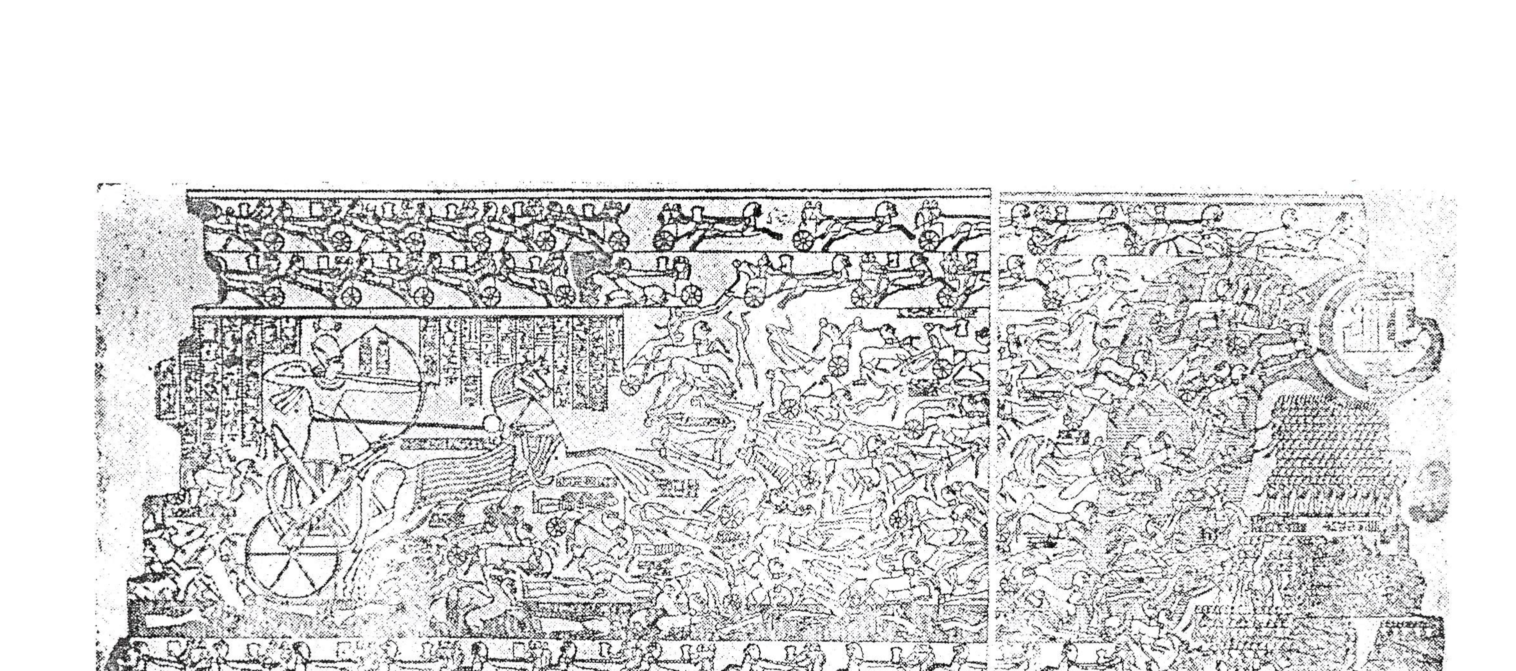
المعاهدة بين مصر وخيتـــا[١]

ذكر الأستاذ برستد أنه فى السنة الحادية والعشرين من حكم رمسيس الثانى (أى حوالى سنة ١٢٧٢ ق.م) وصلت رسل « خيتا صار » ملك خيتا إلى القصر الفرعونى وكان وقتئذ بالدلتا ولابد أن تكون الحكومتان المصرية والحيثية اتفقتا سابقا على صورة معاهدة بمساعدة ممثليهما لأن الآثار دلت على أن الرسل لم يرسلوا وقتئذ إلا للموافقة النهائية على المعاهدة وقد نقشت هـذه المعاهدة على لوح فضى وتشمل ثمانىعشرة مادة رسم فى أعلاها المعبودة (سوتخ) محتضنة ملك الحيثيين وبجوارها المعبودة عينها محتضنة ملكة الحيثيين المدعوة (بوتوخيبا زوج خيتاصار) وبجوار هـذه الرسوم وضعت أختـام (سوتخ) معبـودة الحيثيين و (رع) و (رمسيس) و (خيتا صار) ويرجح أن ملك الحيثيين احتفظ بنسخة أخرى من هذه المعاهدة .

وتعتبر هـذه أقدم معاهدة دولية معروفة وفيما يلى ترجمـة ديباجتها وملخص موادها :

---

(١) برستد وترجمة الدكتور حسن كمال : تاريخ مصر القديمة ، القاهرة



(ش ٧٢) منظر من القتال الدائر في إحدى مراحل معركة قادش على الباب الثاني في معبد الرمسيوم
ويشاهد رمسيس الثاني في عربته الحربية يتوسط قتلى الأعداء

١ — الديباجة :

معاهدة منقوشة على لوح فضى بين ملك الحيثيين (خيتا صار) الشجاع بن (ميراسار ملك الحيثيين الشجاع بن (سبل) ملك الحيثيين الشجاع فريق أول ورمسيس الثانى الملقب (أسره رع استينرع) حاكم مصر الأعظم الشجاع بن (سيتى) الأول حاكم مصر الأعظم ابن رمسيس الأول حاكم مصر الأعظم الشجاع (فريق ثان) .

هذه المعاهدة الطيبة دونت لحفظ السلام والإخاء واستتباب السكينة بين الطرفين إلى الأزل .

٢ — العلاقات السابقة بين الأمتين :

كانت العلاقة منذ الأزل بين ملك مصر وملك الحيثيين ودية مانعة للمشاحنات وموطدة للمعاهدة ثم أتى أخى (مثلا) لحارب (رمسيس الثانى) ، بعد ذلك أتى دور (خيتا صار) فأراد توطيد السلام بين الأمتين مانعا بذلك الحروب إلى الأبد مستعينا بالمعبودين (رع) معبود المصريين و (سوتخ) معبود الحيثيين .

٣ — المعاهدة الجديدة :

ومنذ اليوم أصبح (خيتاصار) ملك الحيثيين فى صفاء وأخاء مع (رمسيس الثانى) ملك مصر ، وستكون ذرية ملك الحيثيين الأعظم فى اخاء وصفاء مع ذرية (رمسيس الثانى) ملك مصر وستكون كذلك مملكة الحيثيين فى اخاء وصفاء مع المملكة المصرية .

٤ — عدم الاعتداء :

تبطل الحروب بين الفريقين الى الأبد ويتعهد ملك الحيثيين بألا يغزو الأراضى المصرية للاستيلاء على شىء منها ويتعهد رمسيس الثانى بألا يغزو مملكة الحيثيين للاستيلاء على شىء منها .

٥ — الاعتراف بالمعاهدات السابقة :

يتعهد ملك الحيثيين الحالى بمراعاة نصوص المعاهدتين اللتين أبرمهما أبوه وجده من قبل ويتعهد رمسيس الثانى بأن يراعى أيضا المعاهدتين المذكورتين منذ اليوم .

٦ — التعهد الدفاعى :

إذا هاجم عدو المملكة المصرية واستنجد (رمسيس الثانى) بملك الحيثيين، فعلى هذا الأخير أن يأتى بنفسه ويشترك فى صد العدو وإذا ، لم يرغب ملك الحيثيين فى الحضور فعليه أن يرسل قواته الحربية من مشاة وعجلات لقتال مهاجم مصر .

وإذا شقت مستعمرة مصرية عصا الطاعة على ملك مصر وأراد هذا الأخير أن يعاقبها ويخضعها، فعلى ملك الحيثيين أن يساعد ملك مصر على ذلك .

وإذا هاجم عدو مملكة الحيثيين واستنجد ملك الحيثيين بملك مصر فعلى هـذا الأخير أن يأتى بنفسه ليشترك فى صد العدو . وإذا لم يرغب ملك مصر فى الحضور فعليه أن يرسل قواته الحربية من مشاة وعجلات لقتال مهاجم الحيثيين ، وإذا شقت مستعمرة حيثية عصا الطاعة على ملك الحيثيين وأراد هذا الأخير عقابها واخضاعها فعلى ملك مصر أن يساعد ملك الحيثيين فى ذلك .

٧ — معامـلة الهاربين السياسيين المصريين :

إذا هبط مصرى رفيع المقام أرض الحيثيين وكان هاربا سياسيا فيتحتم على ملك الحيثيين ألا يأويه فى مملـكته بل يرسله الى فرعون مصر رمسيس الثانى .

٨ — معاملة المهاجرين المصريين :

إذا هاجر مصرى أو مصريان من طبقة الشعب المجهولة (أى الوضيعة) الى مملكة الحيثيين ليعاملوا معاملة رعايا الدول الأجنبية فان مثل هؤلاء لايصرح لهم بالبقاء بالأراضى الحيثية بل يرسلون الى رمسيس الثانى حاكم مصر الأعظم .

٩ — معاملة الهاربين السياسيين الحيثيين:

إذا هبط حيثى رفيع المقام الأراضى المصرية وكان هاربا سياسيا فيتحتم على ملك مصر ألا يأويه فى مملكته بل يرسله الى ملك الحيثيين .

١٠ — معاملة المهاجرين الحيثيين :

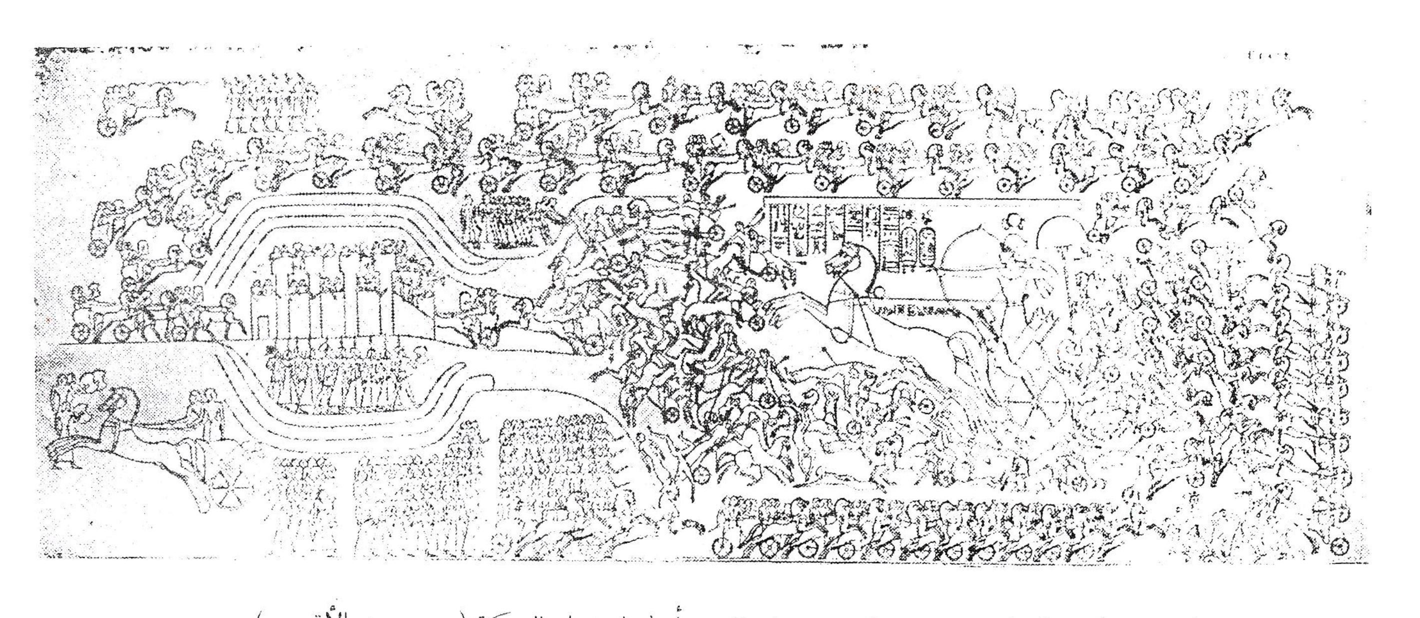
إذا هاجر حيثى أو حيثيان أو ثلاثة من طبقة الشعب المجهولة (أى الوضيعة) الى المملكة المصرية ليعاملوا معاملة رعايا الدول الأجنبية، فان ملك مصر لا يسمح لهم بالبقاء بالمملكة المصرية بل يعيدهم الى حاكم الحيثيين الأعظم .

ويلى ذلك ملحق يحض على استعمال الرأفة فى معاملة هؤلاء الأشخاص والاستشهاد بألف معبود ومعبودة من مملكة الحيثيين والف معبود ومعبودة من مملكة مصر لهذه المعاهدة ، وقد علمنا منها عدة معبودات حيثية ومحل عبادتها، وتنتهى المعاهدة بصب اللعنات على كل من يخالف شروطها ويطلب الرحمة والسلام لكل من يحترمها .والظاهر أن الملاحظة الأخيرة صيغت فى آخر الأمر، وقد أمر رمسيس بنقش صورتين من هذه المعاهدة بسرعة على جدران معبدين له بطيبة قدم لها بوصف وصول رسل ملك الحيثيين ، وأورد بعد ذلك رسم للعبودات والأشخاص الوارد ذكرهم فى اللوح المذكور .

ولم يرد بهذه المعاهدة بيان حدود للملكتين المصرية والحيثية ، ولكن يرجح أنها حددت فى معاهدة سابقة ، ومن الصعب وصف هذه الحدود بالضبط [١]

ومنذ ذلك الوقت انتهت الحرب وخيم السلام على المملكتين ، فوقف رمسيس الثانى بآسيا عند حده .والظاهر أن شروط المعاهدة جاءت فى مصلحة الفريقين كثيرا لأنه بعد ابرامها بثلاث عشرة سنة (حوالى سنة ١٢٥٩ ق . م) زار ملك الحيثيين

(١) عثر الأثرى وينكلر على نسخة مبدئية لهذه المعاهدة منقوشة بالخط المسمارى على قالب لبن فى بوغاز كوى بآسيا الصغرى .



(ش ٧٣) القتال فى إحدى مراحل حصار قادش أثناء احتدام المعركة (عن معبد الأقصر)

مصر وحضر الاحتفال بزفاف كريمته الكبرى الى رمسيس الثانى . ودلتنا الآثار على أن مجيء ملك الحيثيين اقتضى اقامة احتفال عظيم فى القصر الملكى تقدمته كريمة جلالته متبرعة بالهدايا الجزيلة ثم جلالة خيتاصار نفسه ثم ملك كوت . واختلط وقتئذ حرس الحيثيين بالجنود المصرية بعد ما كانوا ألد الأعداء ثم سميت الأميرة الحيثية باسم مصرى هو (معات نفرورع) أى الناظرة محاسن الشمس . واحتلت مكانا مبجلا بالقصر الملكى [1] على أن رمسيس الثانى لم يفصل فى المعركة نهائيا ، إذ ترك قادش دون اسقاطها ، فكان ذلك مثارا للتحرش فيما بعد .

جبهة النوبة :

بعد أن وطد رمسيس الثانى صلاته مع الأسيويين وتخلص نهائيا من مشاغلة الشرق ، تطلع إلى توطيد نفوذه فى الجنوب والغرب حيث كان النوبيون والليبيون يواصلون الشغب والثورات .

ولم نجد على الآثار ما يهدينا إلى التواريخ التى قام فيها رمسيس بحملاته فى الجنوب ، على أننا نعرف أن النوبيين قاموا بثورة فى السنة الثانية من حكمه فأخضعها فى وقتها ، ثم جددوا هذه الثورة عقب صلحه مع الحيثيين ، فأنفذ إليهم جنده ، فاضطروا إلى الخضوع والتسليم .

وعلى جدران معبد « الدر » ومعبد « بيت الوالى » نشاهد نقوشا تمثل الملك عقب انتصاره على أهل النوبه وبلاد كوش وأمامه أمير تلك الأصقاع يقدم له الأسرى السود ومقدارا كبيرا من الهدايا .

ويظهر لنا رمسيس الثانى فى تلك اللوحة يقود المعركة الرئيسية راكبا عجلته الحربية ، وقد ظهر معه أسده الأليف المسمى « سمام خفتوف » أى الذى يقطع الأعداء إربا .

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، القاهرة . أنظر أيضا :

Erman : Aegyptens, pp. 696 — 701

Muller : Asien und Europa, pp. 215

Maspero : Struggle of Nations, pp. 390 — 398

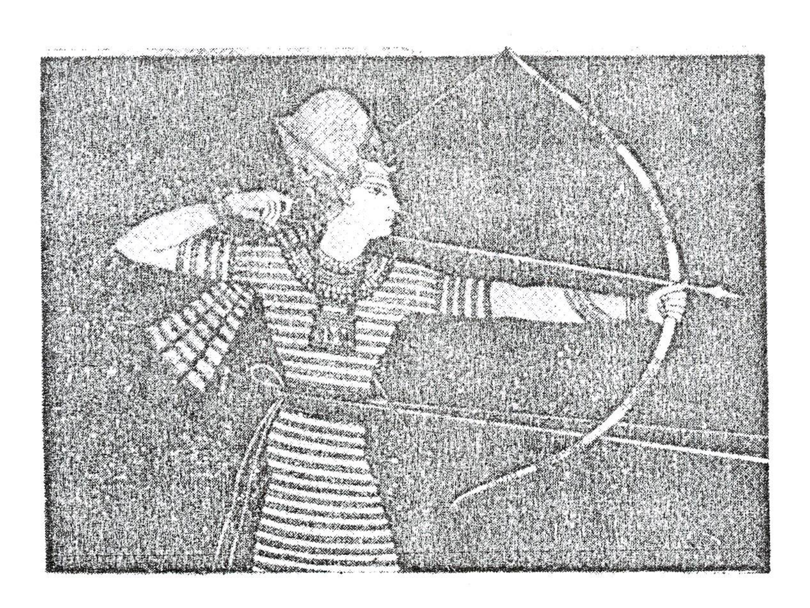


(ش ٧٤) مناظر عامة ومنوعة لتدريب الجيش على القتال استعدادا لمعركة قادش منقوشة على جدران معبد أبي سمبل (عن شامبوليون ومقتبسة من برستد)

جبهة الصحراء الليبيــية :

عقب وفاة رمسيس ، تجددت الفتن فى ممتلكات مصر ، فاتحد أهالى جزر البحر المتوسط مع الليبيين للهجوم على مصر ، وساعدتهم خيتا فى غزوات شنوها فى غرب الدلتا . بيد أن الملك منفتاح قمع تلك الثورة . وكان الليبيون (التحنو) يواصلون الضغط على غرب الدلتا بمساعدة أهل البحر ، واستطاع منفتاح رد هجومهم وكسر شوكتهم كما سنرى فيما بعد .

إن مصر القديمة معلمة العالم ، وأبناؤها أحق بنى البشر فى الافادة مما ابتدعته فى العلوم والفنون وقيادة الجيوش ، ولولا هذا التفرق لشيدت تلك الامبراطورية العظيمة ....



(ش ٧٥) لوحة للملك رمسيس الثالث وهو يصوب سهمه
(عن شامبليون بديس دافن)

منفتاح ورمسيس الثالث

أتبعت الامبراطورية المصرية سياسة الدفاع ، وكان الأهالى يترنمون بأعمال قواد تحتمس الثالث ويمتدحونها رغبة فى الاحتفاظ بالروح الوطنية . ثم انتشرت الفوضى والمنازعات عند حدود مصر ، وأخـذ سكان البحر الأبيض المتوسط يزحفون على شواطىء شمال مصر للنهب والاستيطان ، ثم اتحدوا مع الليبيين وأهالى آسيا فضغطوا على حدود الامبراطورية المصرية .

كان منفتاح ، وهو الملك الذى جاء فى أعقاب رمسيس الثانى مسنا . فلا ندهش أن نرى الليبيين وسكان البحر الأبيض المتوسط يزحفون كالسيل على مصر من جهة الغرب دون أن يلقوا أية مقاومة . وبقيت علاقة منفتاح مع الحيثيين ودية . والفضل فى ذلك يرجع للمعاهدة التى عقدت بين الدولتين ، لكن هذا الود لم يدم طويلا ففى نهاية السنة الثانية من حكمه نقض ما اعترف به والده فى معاهدة الحيثيين إذ تحقق له أنهم أخذوا يساعدون أهالى البحر المتوسط من «ليبيين» و«دردانيين» وهم الذين أتحدوا مع الليبيين فى غاراتهم على غـرب الدلتا . كما أنهم أوقدوا نار الفتنة فى مدن ممتلكات مصر الأسيوية رغبة منهم فى ضمها لأملاكهم .

حملة منفتاح :

هبت الثورة بممتلكات مصر الأسيوية . فقام منفتاح فى السنة الثالثة من حكمه وقمعها على الرغم من كبر سنه . ومن المحتمل جدا أنه اقتص جدا من الحيثيين . واستطاع أن يذل فلسطين إذلالا تاما . ولم يرجع منفتاح من آسيا إلا بعد أن قمع ثورتها وأعاد الأمن إلى نصابه .

وأخذت الحالة فى غرب الدلتا تتحول من سوء إلى أسوأ لأن الليبيين «التحنو» (Tehenu) واصلوا زحفهم على مصر بطريق مستعمراتهم على شاطىء البحر

المتوسط . وتقدموا حتى بلغوا الشاطىء الغربى لفرع النيل الكنوبى (Canope) المعروف وقتئذ بالنهر الكبير . ثم استوطن ليبيون آخرون الواحتين اللتين فى جنوبى وغربى الفيوم . ولما زاد عدد الليبيين بالدلتا تطاولوا على فرعون مصر ، فجمعوا شملهم وكونوا قوة نظامية للاستيلاء على بلاده . وكانوا وقتئذ تحت قيادة ملكهم المدعو مريى (Meryey) الذى أجبر بدو التحنو أن ينضموا إليه . وكذلك استطاع أن يضم إليه قرصان البحر المتوسط . فبلغ مجموع قواتهم مالايقل عن عشرين ألف مقاتل .

فلما أدرك منفتاح الخطر المهدد لكيان دولته ، حصن قلاع عين شمس ومنف . وفى آخر مارس من السنة الخامسة من حكمه بلغه خبر زحف الليبيين على مصر ، فاستدعى موظفيه بسرعة وأمرهم بحشد جيوشه وتجهيزها للقتال .

فلما حل منتصف أبريل ، كانت الجيوش المصرية معسكرة فى غربى الدلتا ، ثم وصلت إلى مواقع الأعداء بالقرب من « بربرع » ، وهى مدينة مجهولة الموقع بالضبط لكنها تبعد عن القلاع التى على رأس الطريق الموصل للدلتا بصحراء ليبيا بعدة أميال . وكانت فى تلك المنطقة مزارع كروم فاخترقوا خطوط القلاع الغربية والتحموا بجيش منفتاح وكان ذلك فى صباح اليوم الخامس عشر من أبريل . واستمرت الموقعة دائرة بشدة عدة ساعات حتى انتهت بطرد الليبيين بعد ما تكبدوا خسائر فادحة .

ويذكر برستد أن منفتاح تعقبهم بخيله ومزقهم شر ممزق ، ثم واصل اقتفاءهم حتى بلغ « جبل قرون الأرض » وهو آخر حدود الدلتا الغربية ومنه فر الليبيون . أما « مريى » فقد هرب إلى بلده يائسا تاركا أفراد أسرته وأثاث منزله فى أيدى المصريين . وقدرت خسائر الأعداء بتسعة آلاف قتيل ثلثهم تقريبا من سكان البحر المتوسط . وبلغ عدد الأسرى ثلث هذا العدد ، ووقع بين القتلى أنجال ملك الليبيين الستة . وغنم المصريون فى هذه الموقعة أشياء كثيرة منها تسعة آلاف سيف نحاسى وعدد كبير من أدوات الحروب المختلفة البالغ عددها ١٢٠٠٠٠

وأسلحة أخرى، وأثاث بديع وجد فى خيام ملك الليبيين ورؤساء بلاده. ولما نهب المصريون خيام الأعداء أضرموا فيها النار فالتهمتها كلها. ثم عاد منفتاح إلى قصره وجمع أمراء مملكته، وألقى عليهم خطابا وبينما كان يوجه كلامه إلى أمرائه وصل إليه نبأ من قائد قلاع غربى الدلتا بأن ملك الليبيين هرب مخترقا خط الدفاع المصرى ليلا وأن قومه خلعوه وملكوا عليهم غيره من خصومه.

وهكذا سقط الحزب الحربى فى ليبيا ووقف كل هجومه من تلك الجبهة على مصر فى عهد منفتاح على الأقل، ولم يكن الفرح الذى عم أهالى مصر لمجرد الفوز العسكرى، بل كان أيضا لخلاص مصر من الوقوع فى أيدى الأعداء. ومما يدل على هذا السرور ترنم الأهالى بأنشودة عرفت فى ذلك العهد نقتطف منها ما يلى :—

« شمل مصر فرح عظيم وصعدت من بلاد الدميرة (مصر) اصوات السرور. فأصبح الكل يتحدثون بنصر منفتاح على التحنو قائلين ما أحب هذا الملك المنتصر. وما أعظمه بين المعبودات. وما أسعد هذا القائد الحاكم، إجلس مسرورا وتكلم أو امش بعيدا حينما أردت فلا خوف الآن فى قلوب الخلق / القلاع تركت وشأنها والآبار فتحت من جديد. وأصبحت الرسل تنتظر حول القلاع مستريحين فى ظل جدرها من حرارة الشمس حتى ينتبه الحراس من الداخل. أما الجنود فصارت تنام مستريحة البال، وأضحى حراس الحدود يشتغلون فى حقولهم كالعادة.

ومن اعمال منفتاح أنه حصن حدوده الأسيوية بقلعة سميت باسمه. وأخضع ثورة نوبية فى الجنوب أيضا، وتوفى منفتاح عام ١٢١٥ ق. م بعد حكمه عشر سنوات وقد أتى من اعمال الشهامة والاقدام ما يستحق الاعجاب. ومن بعده تولى الملك عدة ملوك كان آخرهم « سيتى الثانى » ولضعفه عجز عن الحكم وظهر أمراء البلاد بثورتهم الداخلية التى جزأت القطر إلى عدة أجزاء مستقلة.

انحدرت الامبراطورية المصرية بسرعة إلى الانحلال، فانتهز الليبيون هذه الفرصة وأقبلوا على البلاد فاستولوا على شاطىء فرع النيل الكانوبى.

ومن حسن القدر أن اعتلى العرش أمير مصرى اسمه « ستنخت » فوطد الأمن وأعاد النظام إلى البـلاد واستأصل شأفه الاوبين . وقبل وفاة هـذا الملك (عام ١١٩٨ ق . م) عـين ابنه رمسيس الثالث شريكا له فى الملك . ويعده بعض المؤرخين مؤسس الأسرة العشرين . وتصادف فى أوائل أيامه وصول سكان جزر البحر إلى آمور حيث ضربوا خيامهم .

معـــارك الأسرة العشرين

(ح١٢٠٠ — ١٠٩٠ ق . م)

تولى الملك رمسيس الثالث وهو آخر ملوك مصر المحاربين (ح عام١١٩٥ ق.م) فأخذ يستعد لصد هجوم أعدائه، فحصن حدوده السورية، وجمع أسطولا ضخما وزعه على الموانئ الشمالية ، ولما كمل استعداده قاد بنفسه الحمله الأولى إلى سورية ونجح فى صد زحف أعدائه بالقرب من آمور ، وانتصر عليهم . ويستدل من صور تلك الموقعة أن جنوده السردينيين شقوا صفوف أعدائه واستولوا على عجلاتهم . وقد تمكن رمسيس الثالث من الوصول إلى ميناء على شاطىء « فينيقيا » راقب منها سير المعركة البحرية التى دارت رحاها بين الأسطولين ، وانتهت بانتصار البحرية المصرية ، ونجاة الامبراطورية المصرية بآسيا للمرة الثانية من الخطـر الأجنبى . وبعد الموقعة، عاد رمسيس الثالث إلى قصره بالدلتا .

الحملة الثانيـة :

اتحد الليبيون وسكان الغرب وقبائل المشواشيين القاطنين غربى الليبيين على مهاجمة مصر ، فعبروا الحدود المصرية وكان ذلك فى الشهر الثـانى عشر من السنة الحادية عشرة من حكم رمسيس الثالث . فحاصروا قلعة هاتشو التى تبعد عن حدود الدلتا بنحو أحد عشر ميلا وتقع بالقرب من ترعة « مياه رع »

فى تلك الجهة وتحت أسوار قلعة « هاتشو » هجم رمسيس الثالث على أعدائه هجوما عنيفافى حين أخذت حامية القلعة تمطر المصريين بسهامهم حتى عجزوا عن المقاومة

ودب الذعر بينهم وفروا هاربين . لكن قلة ثانية أصلتهم بالنبال فى أثناء هربهم فقضت عليهم . وبعد ذلك تعقبهم رمسيس بجيوشه لمسافة أحد عشر ميلا من حدود الدلتا حتى تأكد من خروجهم تماما من أرض مصر . ثم استراح فى حصن هناك عرف بحصن « مدينة رمسيس الثالث »

وانتهت هذه الموقعة بقتل قائدالمشواشيين « مششو » وقتل مايبلغ ٢١٧٥ نفسا وأسر مايبلغ ٢٠٥٢ نسمة بينهم نساء يزيد عددهن على ربع هذا الرقم . واعتبر الملك هذا النصر العظيم عيدا كان يحتفل به سنويا وسماه عيد قتل المشواشيين ، ولقب نفسه بعد ذلك بالألقاب الآتية :

« حامى مصر والمدافع عن الأقطار وغازى المشواشيين ومتلف أرض التمحو »

أما حملته الثالثة فكانت موجهة ضد الليبيين وسكان البحر وقد قضى على هجومهم فى غرب الدلتا .

الحملة الرابعة :

لما انتهت الحملة الثالثة سافر رمسيس الثالث إلى آمور . ولم يصل لنا من أخبار هذه الحملة إلا اليسير ، ومنها يستدل على أنه استولى عنوة هناك على خمس مدن على الأقل . واحدة فى آمور ، وثانية يظن أنها قادش . وثالثة واقعة على تل ولا تزال مجهولة . أما الاثنتان الباقيتان فتسمى احداها « إرث » (Ereth) ، والأخرى مجهولة الاسم ، وقد دافع الحيثيون عنها ويظهر أن رمسيس الثالث لم يتوغل كثيرا فى البلاد الحيثية رغم ضعفها وما انتابها من غارة أهالى جزر البحر المتوسط عليها .

بعد انتهاء هذه الحملة أخذ رمسيس الثالث ينظم مستعمراته الأسيوية . ويرجح أنه لم تمتد حدوده عما كانت عليه أيام منفتاح وشيد حصونا عدة عند المواقع الهامة من حدود فلسطين وسورية ثم أقام هناك تمثالا عظيما للمعبود آمون وأجبر أمراء آسيا على أن يقدموا الجزية السنوية لهذا المعبود ، ولم تقم بعد ذلك اضطرابات تذكر باستثناء ثورة صغيرة قام بها بدو صير (Seir) فأخضعت بسهولة وعاد السلام .

وقائع رمسيس الثالث خالدة على آثاره :

فى سهل طيبة الغربى معبد كبير يعرف الآن بمدينة هابو وقد سجل رمسيس الثالث على جدرانه جميع أعماله الحربية سنة بعد أخرى . فيخيل لزائره أنه داخل متحف حربى حديث التنسيق . فاذا اخترق الزائر باب الصرح الأول شاهد إلى يساره رمسيس الثالث يهزم الليبيين فى أثناء العام الحادى عشر من حكمه . وعلى الجدار الغربى نحو الشمال تشاهد احتفال رمسيس الثالث بانتصاره على سكان البحر الأبيض المتوسط الذين غزوا مصر براً وبحراً . ويرى المشاهد على الجدار الأيسر رمسيس الثالث يقدم ثلاثة صفوف من الأسرى للمعبودين آمون رع وموت — وبعد اختراق باب الصرح الثانى يرى الزائر مناظر بديعة جدا على الجدار القبلى . فيشاهد العربة الحربية الملكية يمسك جوادها سائسان بينما يفتش الملك أيادى الأسرى التى قطعت وأمامها الكاتب المسجل والجند يعدونها ويسجلون عددها . وعلى الجدار المجاور يرى المشاهد انتصار الملك على الأسيويين وعلى نفس الجدار يرى الملك يقود عربته الحربية بنفسه وأمامه صفوف الأسرى ويحيط به الحرس الخاص وحملة المراوح ووراءه قواته المنتصرة . وبالاختصار فانك تشاهد جميع وقائع رمسيس الثالث البحرية والبرية منقوشة على جدران معبد هابو . ويعجب بها هواة الآثار المصرية القديمة وخاصة العسكريون منهم .

حكم رمسيس الثالث مصر احدى وثلاثين سنة وأربعين يوما وتوفى حوالى عام ١١٦٣ ق.م ، فتولى الحكم من بعده كثير من الرمامسة الذين لم يخلدوا على صفحات التاريخ شيئا يذكر سوى ضعفهم وماجروه من الويلات على مصر . وأهم مايلاحظ على عصورهم أن الحمية التى تولدت فى نفوس المصريين أثر غزوة الهكسوس انعدمت واستعيضت بعقائد فاسدة ، فحل الجهل والضعف محل العلم والقوة . وليس لدينا مانذكره من الأمجاد القومية فى أثناء حكم ملوك الأسرة الحادية والعشرين .

الاسرة الثانية والعشرون واليهود

لما مات سليمان ملك اليهود (ح عام ٩٣١ ق.م) ولى الملك ابنه رحبعام من بعده ، وفى أوائل أيامه انقسمت المملكة ، وخرج عليه عشرة أسباط منهم يربعام[١] ولم يبق معه سوى سبطى يهوذا وبنيامين . وقد عرف القسم الشمالى من المملكة باسم اسرائيل . أما القسم الجنوبى وملكه رحبعام ، فقد عرف باسم مملكة يهوذا ، وفكر رحبعام أن يزحف على العصاة بجيش كبير ويخضعهم ،واستمرت الحرب طويلا ، ثم انتشرت العبادة الوثنية فى المملكتين على السواء .

ولذلك انتهز شيشنق الأول[٢] ملك مصر انحلال المملكة اليهودية ، فهاجم رحبعام حوالى ٩٢٦ ق . م فوصل بيت المقدس على رأس جيش فيه ١٢٠٠ عربة حربية ، وستين الف فارس ودمر المدينة ، وسبا أهلها وأخذ كنوز بيت الرب يهوذا وبيت الملك وآلاف الأتراس الذهبية التى صنعت فى عهد سليمان . ونقرأ أخبار الحملة كاملة على جدران معبد جليل العمارة فى طيبة بمعبد الكرنك .

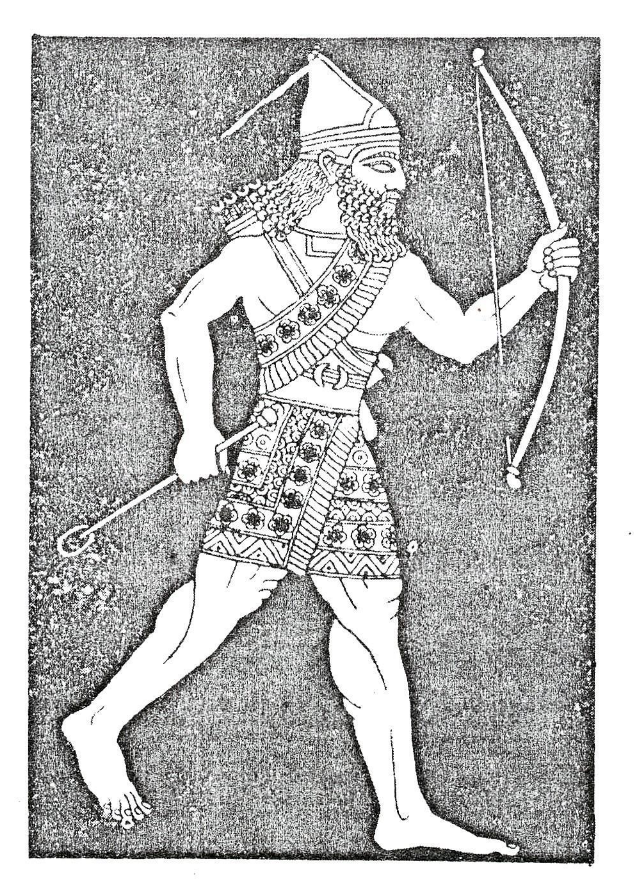
والمعروف أن شيشنق لم يذهب الى أبعد من حد شاطىء بحر الجليل شمالا وماهنايم التى هى بوادى الأردن شرقا . وفى هذه الحملة أرسل الملك قواته الليبية لتنهب مدن سهل يزرل بادئة برهوب وحفرايم ومجد وتناخ وشونم وبيت شين شرقى وادى الأردن ، أما فى الجنوب فغنمت الجنود يرازا وبيت حورن واابالونا وجبيون وسكو وشرحان وغيرها ،وكان من نتائج هذه الحرب الخاطفة التى لم تستغرق طويلا أن دمر شيشنق عشرات المدن اليهودية ومستعمراتهم كما ذكرنا ، ونهب الهيكل .

---

(١) كان يربعام قد هرب الى مصر فى أيام الملك سليمان وظل مدة فى حماية شيشنق فرعون مصر

(٢) أول ملوك الأسرة الثانيه والعشرين .

وهكذا دمرت مصر ملك الدولتين ، فلم تقم لهما قائمة ، وأصبحتا خاضعتين للنفوذ المصرى ، وكذلك كان أحفادهما . وبالرغم مما أصابهما من المحن ، فقد استمر النضال بين اسرائيل ويهوذا لأنهما لم يستطيعا العيش فى هدوء .



(ش ٧٦) جنـدى أشورى مسلح بالأسلحة الخفيفة
(من حفائر نمرود)

الأسرة الخامسة والعشرون

(٧١٢ — ٦٦٣ ق . م)

مرت اعوام طويلة حكم الليبيون فى خلالها المصريين (الأسرة ٢٢ — الأسرة ٢٤) وانتهز بعنخي ملك إثيوبيا (السودان)[١] فرصة ضعف البلاد المصرية . فاتصل بعض زعماء الجنوب ليساعدهم على التخلص من سوء أحوالهم ومن أجل ذلك قاد جيشا (ح ٧٢٥ ق . م) على متن عدة سفن نيلية ، وكان يستولى على مدينة أثر أخرى حتى دانت له معظم أنحاء مصر، ومن ثم عاد الى بلاده بعد مااعترف له بسيادته وقد بلغ من العمر عتيا بعد ماحكم بلاده حوالى ٢١ سنة . وكان قبل أن يغادر مصر نصب عليها حفيده شاباكا (ابن كيشتو) واليا من قبله . والمعروف عن شاباكا هذا أنه قاد جيشا الى فلسطين[٢] بيد أنه لقى الهزيمة من سرجون ملك أشور (ح ٧٢٠ ق م) ثم تخلص من أخر المدعين بالملك « واهكيرى بكن رانف » بعد ماهزمه وقتله فى آخر معركة ، فاصبح ملك مصر وأسس الأسرة الخامسة والعشرين (ح ٧١١ ق . م) وقد نهضت مصر فى أيامه ، واستعادت رخاءها ومكانتها فى العمارة والفنون ، ويستدل على ذلك ماخلفه عصره من الأعمال الفنية الجليلة .

ولم يقف الأمر عند ذلك ، ففى عام ٦٩٩ ق م عقد حزقيا ملك يهوذا اتفاقية مع الملك طهارقة الذى خلف شاباتاكا ابن شاباكا ورفض (حزقيا) طاعة سنحاريب ملك آشور ، فزحف هذا على رأس جيشه لمحاربته وقد علم أن طهارقة سوف يهب لنجدته . فلم ينتظر مجيئه ، بل سار على رأس جيشه الى مصر فوصل الى بلوسيوم (الفرما)

(١) كانت عاصمة مملكته نباتا بالقرب من الجنادل الرابعة .

(٢) حينما زحف سرجون على غزة كان أميرها قد حالف مصر ، ففر الى رفح واستنجد بشاباكا فأتاه بنجدة بعد ماوصل الى رفح ، وعلى أرضها دارت معركة حامية بين آشور مصر ، وانتصرت الأولى فى معركة رفح (الأولى) .

مفتاح مصر من الشرق وحاصرها حصارا شديدا ، ثم وصل أسطوله لنجدة قواته البرية فاستطاع أن يحاصر بلوسيوم برا وبحرا وفى الوقت الذى كان فيه على استعداد للمعركة هبت ريح شرقية، أفقدت سفنه تنظيمها ، ولم تتمكن من جمع شملها ثم تناثرت فى عدة جهات . ولذلك أضطر سنحاريب الى الفرار ناجيا بقواته ولم يتمكن من تحقيق أحلامه لغزو مملكة يهوذا أو مصر .

ولما تولى « أسر حدون » ملك آشور بعد سنحاريب ، عزم على غزو مصر (ح ٦٧٤ ق م) فلقى الهزيمة . ثم حاول غزوها مرة ثانية فى عام ٦٧٠ ق. م فنجح ووقعت منف عاصمة البلاد فى قبضته ، واعترف له أمراء الدلتا بالطاعة ، فى الوقت الذى فر فيه الملك السودانى الى الوجه القبلى. ولم يكد « أسرحدون » يعود الى وطنه فى آشور حتى استأنف طهارقة ثانية حكم الدلتا . ولذلك اضطر « أسرحدون » الى العودة ثانية (ح ٦٦٨ ق . م) بيد أنه مات فى الطريق، فواصل ابنه آشوربانيبال السير الى مصر ، والتقى بطهارقة فى معركة حامية وفاز عليه . وفى أعقاب الهزيمة فر ثانية الى الوجه القبلى ليحتمى فيه .

اختار أشور بانيبال مصريا اسمه « منيبرى نيكو » ليكون نائب الملك فى مصر السفلى أما طهارقة ، وقد بلغ آنذاك (٦٦٥ ق . م) السبعين من عمره ، فقد عين أحد أفراد أسرته « بكيرى تو تنامن ليشاركه الحكم ثم مات طهارقه (ح٦٦٦ ق . م)

عاد تو تنامن الى نباتا حيث توج رسميا ، ثم رجع الى مصر لملاقاة الأشوريين وقوات نيكو فى الدلتا ، فاستولى على منف وقتل نيكو ، وفى حوالى عام ٦٦١ ق . م وصل جيش أشورى الى الدلتا ففر تو تنامن مرة أخرى الى نباتا، وانتصر الأشوريون وسقطت طيبة وكنوزها فى أيديهم ، وقد كان لأنباء هذه الكارثة صدى مؤثر فى البلدان المجاورة ، وظل الناس يتحدثون بأهوالها عدة سنين طوال .

سقطت طيبة ذات المائة باب ، أعظم مدن العالم القديمة وأظهرها حضارة ، ومع أنها نهضت ثانية من كبوتها على أيام البطالمة ، لكنها لم تستعد مكانتها ومجدها التالدين ولقد اختفى تو تنامن فى أقاصى الجنوب من مسرح التاريخ ، وأجلس الأشوريون المنتصرون على عرش مصر كنائب عنهم أمير سايسى أصغر أبناء نيكو المتوفى ، واتخذ اسم واحبرى ، أو بسمتيك الأول ، ويعتبره المؤرخون مؤسس الأسرة ٢٦ .

الأسرة السادسة والعشرون

(٦٦٣ – ٥٢٥ ق.م)

الصحـــوة فى أيام بسماتيك

خمدت الروح الحربية فى مصر عقب وفاة رمسيس الثانى ، وتعاقب على عرش الفراعنة اللوبيون والأثيوبيون فالآشوريون . وظلت مصر فى سبات عميق حتى نهض أحد الأمراء المصريين وكان خاضعا لملك آشور ، وأعلن الثورة عليه للخلاص من سلطنه وتحرير البلاد . وكانت حركة بسماتيك بلغت حدا بعيدا لم يجرأ آشور بانبال بعد اضطرامها على مايظهر أن يخاطر باخضاعها .

اتفق الأمراء المصريون فيما بينهم ووحدوا كلتهم للوصول إلى غرضهم ولكى يفوزوا باستقلال البلاد بقوة اتحادهم ، فلموا شملهم فى كامل قوتهم . وكانوا اثنى عشر أميرا... الأمير باكرور من بسيباتو وبتوباستس أمير تنيس ، وشيشنق من أبوصير وتافنخت من بروسوتيس ويكنبفى من أتريبس وناخهى من خير اكلوبوليس وبياى من مندس ولا منتو من هربوبوليس ومنتوم أنخ من طيبة وغيرهم من أمراء الأقاليم ونظموا قواتهم وألفوا منها جيشا واحدا جعلوه تحت قيادة بسماتيك .

وفى ساحة منف على حدود الصحراء اللوبية اصطدم جيش الأمراء تحت قيادة بسماتيك بجيش آشور ، ولم تدر رحى القتال على أحد الفريقين . وفى النهاية صمدت القوات الاغريقية والكارية وكانت تؤلف بعض وحدات الجيش المصرى وانتصروا على جيش الأعداء . وظفر بسماتيك على أعدائه وهزمهم فى المعركة الأولى [١].

---

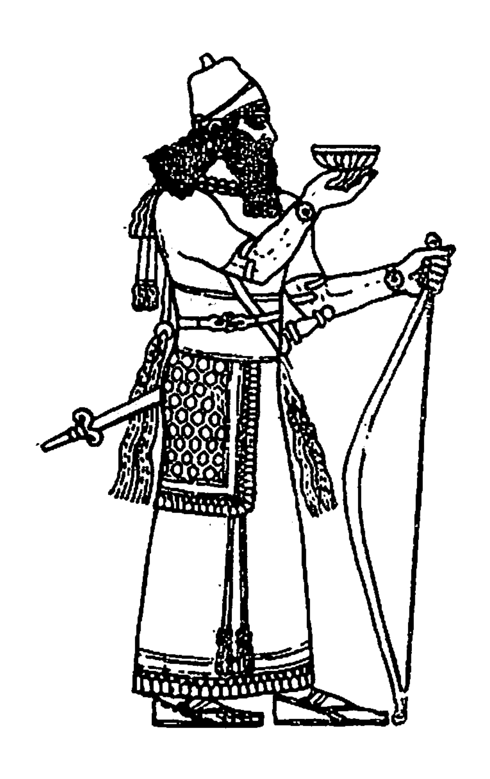
(١) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى ، ترجمة الدكتور حسن كمال ، ص ٣٨٣ .

واصل بسماتيك منازلة الأعداء ومهاجمتهم فى حامياتهم فوقعت فى يده مدن الأمراء الذين كانوا لم يعترفوا بعد بسلطانه ، وأباد قواتهم . وقد تحققت مآرب بسماتيك وأعاد إلى البلاد وحدتها واستقلالها الذى كانت قد نقدته . وأصبح الملك الوحيد الذى لاينازعه فى الملك منازع، فأنقذ مصر من حكم هؤلاء الأمراء وأتباعهم الحربيين الذين جروا على وطنهم الذلة والهوان مدة أربعمائة سنة تقريبا . وصار بسماتيك بفضل هذه الأعمال من أعظم وأكفأ فراعنة مصر . فساوى بسماتيك فى الشرف والمنزلة امنمحعت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، وأحمس الأول طارد الهكسوس .

وكان من أصعب الأمور على بسماتيك أن يحافظ بالسيف على ما كسبه بالسيف وان ينشىء قوة حربية . ففكر فى الأمر فوجد أمامه الليبيين الذين عاشوا بمصر عدة قرون فأصبحوا مصريين ، وكان الملك من سلالتهم . فاستخدمهم فى بعض وحدات الجيش واحتفظ بقوات الجنود اليونانية والكارية (Carians) وكانوا أرسلوا اليه لمساعدته فى حروبه ضد الآشوريين . وحشدهم بالقرب من مدينة دفنة (Darhnae) وهى على حدود مصر الشمالية الشرقية التى كان يخترقها فرع النيل البلوزى . أما غربى النيل فكان محميا بقوة حربية أخرى من هذا النوع بجهة قلعة مريا (Marea) من الاسكندرية . ووضع بسماتيك الحامية المصرية بجزيرة فيلة بأسوان لمنع غارات النوبة من الجنوب .

قال هيرودوت فيما يختص برجال هذه الحامية ان مائتين وأربعين ألفا من جنود مصر هجرت معسكرها جهة أسوان وعرضت مساعدتها لملك أثيوبيا لاستيائها من بقائها ثلاث سنوات بمعسكرها ، ولايخفى أن هذا العدد مبالغ فيه على عادة هيرودوت.

رأينا الملك بسماتيك يستخدم لحماية مصر الجنود المأجورة ، وهى خطة سبق اليها رمسيس الثالث وآخرون من الفراعنة ، ويظهر أنه كان مضطرا إلى اتباعها . لقد تعذر على بسماتيك أن يجعل مصر أمة حربية فى غمضة عين . ومن هنا نشأ اعتماده على الجنود المأجورة وان لم يهمل شأن الجنود المصريين والعناية بترقية الروح المعنوية بينهم بعد أن فقد الشعب الحماسة والانطلاق .



(ش ٧٧) تمثال لأشور ناصر بال ملك أشور فى المتحف البريطانى

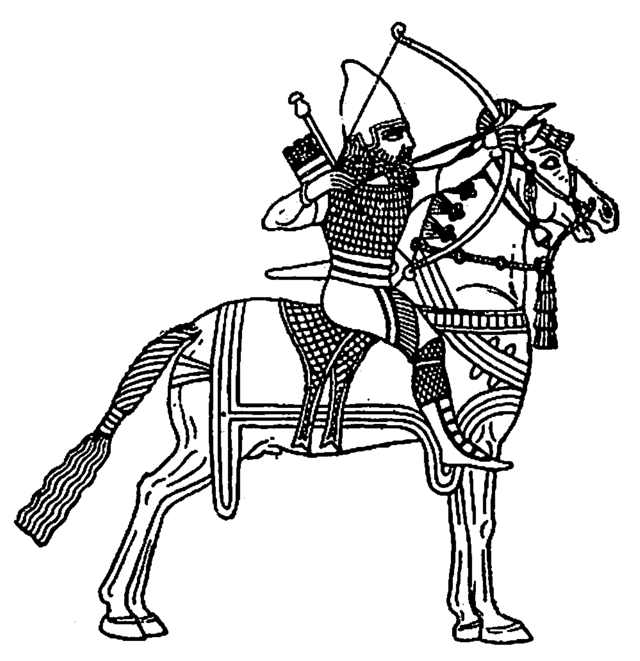
وقد ذكر المؤرخ ديودور الصقلى أن بسماتيك منح الجنود الاغريقية هبات ثمينة ، وأسكنهم فى مساكن كانت تسمى « ستراتوبيدا » ومعناها الخيام وأقطعهم أراضى كبيرة تقع على فرع النيل البللوزى بالقرب من دفنه كما ذكرنا . وكان الضباط ينزلون القلاع المحصنة المنيعة . وقد قام الأستاذ فلندرز بترى بحفريات هـامة بين عامى ١٨٨٥ و ١٨٨٦ كانت نتيجتها اكتشاف أحد معسكرات الجنود المأجورة الأغريقية فى تل دفنه [1] وفى هذا المكان كان يعيش حوالى ٢٠ ألف رجل من الجنود المرتزقة . وكانت مركزا هاما لصناعة الأسلحة ومعـدات الجند وصناعة الخزف أيضاً .

ولمـا انتهى بسماتيك من توطيد دعائم ملـكه داخل البلاد المصرية وقضى على سلطان الأمراء ونفوذ الآشوريين ، انتهز الفرصة الملائمة لغزو سورية . فجهز جيشا من المصريين والاغريقيين واللوبيين وسار فى طليعته عابرا به الصحراء . واستولى على غزة وعسقلان وحاصر مدينة أشدود . ولم تتفق كلمة المؤرخين القدماء فيما إذا كان بسماتيك قد نجح فى الاستيلاء على تلك المدينة الحصينة أم أن قواته لم تتمكن من القضاء على حصون المدينة المنيعة . وأنها لم تتوغل فى بلاد الشام بسبب حصارها لمدينة « أشدود » مـدة طويلة . ولقد قام جنود الجيش المصرى المأجورة بدور هام فى فتح سورية وأبلوا بلاء حسنا فى المعارك . وقد ذكر ديودور أن بسماتيك بعد أن حازا النصر فى حملاته على سورية ، قسم جيشه إلى قسمين جعل الجنود المصرية فى الشمال ، والجنود الأغريقية فى اليمين . وهذا التوزيع أثار غضب الجنود المصرية وجعلهم يحسون بأن ملكهم يؤثر الأغريق على بنى جلدته . ويذكر المؤرخ أيضا أنه نجم عن هذا العمل أن هاجر إلى أثيوبيا عدد كبير من الجنود المصرية .

وأن مشكلة هجرة الجنود المصرية مازالت موضوع شك وجدال بين المؤرخين القدماء والمحدثين على السواء . فمنهم من ينكر ذلك الحادث ومنهم من يثبته ، أنما بنص يختلف عن نص الآخر .

---

(١) تل دفنة مكان يبعد عن تانيس بمقدار ١٧ ميلا انجليزيا وعن بوبسطة بمقدار ٤٥ ميلا فى وسط الصحراء بين الدلتا وقناة السويس فى ابتداء الطريق الذى كانت تسلكه القبائل التى كانت تعبر مصر إلى سورية . وكانت لموقع المعسكر أهمية حربية .



(ش ٧٨) فارس أشورى مسلح بالقوس

على أن هجرة الجنود المصرية إلى اثيوبيا قد تبعها حادث آخر يحيط به الشك ذلك أن بسماتيك لم يترك جنوده المصريين وشأنهم بل أعد حملة لمطاردتهم واقتفاء أثرهم وهذه الحملة تركت أثرا فى بلاد النوبة . ومازال هذا الأثر من الموضوعات التى يعالجها المؤرخون . وهناك وصل بعض جنود حملته التأديبية إلى أبى سمبل وكتبوا أسماءهم على ساق أحد التماثيل العظيمة عند مدخل معبد هناك . وهذه الكتابات المنقوشة ذات صور ثلاث مختلفة بعضها اغريقية وبعضها كارية والبعض الآخر بلغة سامية . والنصوص الأغريقية والكارية تلفت نظر علماء فقه اللغة الأغريقية وكذلك علماء الكتابة الأغريقية القديمة . وكل ما يستنتجه المؤرخ من نصوص معبد أبى سمبل أن ملكا يدعى بسماتيك قد وصل إلى هذه البقعة على رأس حملة مؤلفة من ثلاث فرق : الفرقة الأولى اغريقية وكان يقودها قائد أغريقى اسمه بسماتيك على اسم ملك مصر . والفرقة الثانية من الكاريين ، والثالثة من المصريين . على أن مسألة بسماتيك هى موضوع الشك ونقطة الجدل ، لاننا لا نعلم ما إذا كان الملك المنقوش اسمه هناك هو بسماتيك الأول أم الثانى الذى وصلت جنوده إلى ذلك المكان ، فان بعض المؤرخين يقول أنه بسماتيك الثانى وليس الأول [1] .

وصادفت الأعوام الأخيرة فى حكم بسماتيك ـ وكان قد هرم ـ اضطرابا واضمحلالا أصابا بعض الدول الأسيوية وعلى رأسها مملكة آشور ، فقد كانت تحتضر . وكان أمام الملك المصرى ميدانا عظيما ليوسع مستعمراته لكن فتوحاته فى فلسطين وسورية كانت قد أنهكت قوى جيوشة . فتراجع مضطرا عن تحقيق . مرامية وترك ممالك آسيا للملوك الأسيويين ، يفعلون بها ما يريدون ونفض يديه نهائيا عن أعمال الفتح وترك لابنه نخاو جميع مشروعاته الاستعمارية بعد أن أحكم له الأساس ومهد له التوسع الأسيوى بغزوته الفلسطينية .

لم يجد نخاو (٦٠٩ — ٩٩٣ ق . م) أمامه ما يمنعه من استرداد الامبراطورية المصرية بآسيا . فقد سبق القول أنه فى الوقت الذى كانت فيه الامبراطورية المصرية

---

(١) بسماتيك الأول وجنود الافريق للأستاذ عبد الملك جرجس (مقال)

آخذة فى التقدم كانت مملكة آشور تنحدر فى طريق الاضمحلال . فلم يتردد نخاو فى مهاجمتها، ولذلك أخذ يحقق مشروعات والده الاستعمارية فأعاد تجهيز جيشه وشيد أسطولين بحريين ضخمين ، أحدهما فى البحر المتوسط والثانى فى البحر الأحمر .

ففى العام الأول من حكمه بدأ حملته فى فلسطين ، فاستولى على غزة وعسقلان ، ثم زحف شمالا ووصل مقاطعة يهوذا فظن ملوكها أنهم سيتمكنون من صد مصر . فجمع ملكهم يوشيا (Josiah) جيوشه وهجم على القوات المصرية بسهل مجدو حيث وقعت أول معركة حربية منذ تسعمائة سنة تمكن فيها المصريون من اخضاع آسيا . وانتهت هذه المعركة بهزيمة يوشيا التامة ، فقد أصيب فيها بجرح ثم وافته المنية .

ظن « نخاو » أن آشور ستحاول استرداد أملاكها الضائعة ، فزحف مسرعا ميمما نهر الفرات ، ولكن آشور كانت تحتضر ، ولذلك لم يجد قوة تقاومه هناك ففضل الرجوع إلى مصر . وبهذه الوسيلة تمكن من استرجاع سورية كلها وجميع مستعمرات مصر التى كانت تابعة لها فى أيام الامبراطورية فى غزوة واحدة وعاد منتصرا إلى وطنه .

دامت امبراطورية نخاو الأسيوية ثلاث سنوات تمتعت مصر أثناءها بفرح الانتصار ، ودبت فيها روح الفتح والقوة . فلما استيقظ « نابوبلاصر » ملك بابل اتحد مع ملك ميديا للقضاء على آشور نهائيا واقتسما أملاكها نهائيا . وكانت سورية من نصيب « نابوبلاص » . لكنه كان مسنا فأرسل ابنه « نبوخذر صار » لقتال نخاو . فلما سمع بذلك فرعون مصر جمع قواته وأسرع لملاقاته على الحدود الشمالية على نهر الفرات بالقرب من كركميش (٦٠٥ ق . م) ، فالتحم الفريقان ودارت المعركة على الجيش المصرى المختلط [١] .

رأى نخاو أن الوسيلة الوحيدة التى تنقذه هى أن يتقهقر مسرعا نحو الدلتا ليحتمى فى مصر وراء الصحراء والنيل . وكانت تتعقبه جحافل البابليين . ولكن

(١) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى ، ص ٣٩٤

وفاة والد ملك بابل أجبر نبوخذ صار أن يتفق مع نخاو على فض المشاكل التى بينهما . وقد أنتهى اتفاقهما على حد طمع المصريين بآسيا . وصمم ملك مصر على الاحتفاظ بدولته مكتفيا بترقية تجارة مملكته وتوسيع مشروعات أبيه الاقتصادية وأعاد حفر القناة التى كانت توصل فرع النيل الشرقى بالبحر الأحمر ، فعاد للشروع على مصر بالربح التجارى الكبير ، كما أنه ساعد كثيرا من الوجهة الحربية .

ويستدل على شدة رغبة نخاو فى ترقية الملاحة بعثته الفينيقية التى قال عنها هيرودوت ، أنه أرسلها لارتياد سواحل أفريقية المعروفة وقتئذ باسم ليبيا ، وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاث سنوات . فنرى أن السفن المصرية قد ارتادت القارة الأفريقية قبل ارتياد فاسكودى جاما بآلاف السنين .

الأيام الأخيرة

مات نخاو بعد حكم دامت مدته ١٢ عاما فخلفه بسماتيك الثانى . وقد رأى أن يتجه بفتوحاته نحو الجنوب ، فغزا جيشه المختلط أثيوبيا كما يستدل على هذه الغزوة من النقوش المدونة على تمثالى معبد أبى سمبل . وفى أثناء عصر هذا الملك زار صولون المشرع الأغريقى مصر وكان ذلك فى عام (٥٩٤ ق . م) .

وفى أيام خلفه « أبريس » اشتعلت الحرب بين مصر ونبوخذ صار ودارت رحى الهزيمة على المصريين فعاد الملك ولم يحكم طويلا وحده حتى شاركه فيه « أمازيس » . لكن لم يدم طويلا ذلك للملك فقد غزا ملك بابل نبوخذ صار وادى النيل واكتسح قواتها فى الدلتا [1] .

وجاء الملك أمازيس الثانى فرأى أن الوسيلة الوحيدة لحفظ كيان دولته أن يعقد المحالفات مع الدول المجاورة لمصر . فتعاقد مع برقة حيث نشر النفوذ المصرى عليها وغزا جزيرة قبرص . وارتبط بعدة محالفات دفاعية مع الأغريق والليبيين

---

(١) يقول بعض المؤرخين إن القوات البابلية دفعت القوات المصرية إلى أسوان .

والبابليين ليضمن التعاون معهم على صد جحافل دولة فارس الناهضة ، لكن لم يجد ذلك نفعا . فقد غزا كيروس ملك الفرس بلاد ليديا وقضى على الأسطول المصرى بالقرب من قبرص ثم تقدم نحو الشام إلى الحدود المصرية لغزو مصر . لكن ارتدت الجيوش الفارسية ولم تنفذ خطتها العسكرية لوفاة كيروس الذى أمتد ملكه إلى بلاد الهند .

وفى أيام خلفه بسماتيك الثالث (ح ٥٢٥ ق م) بدأ قمبيز ملك فارس يهدد مصر بغزوتها ، فاستعد لها وقام بتجهيز معداتها من الرجال والأسلحة . وكانت مصر منيعة بحصونها الشرقية ومن الصعب على أى جيش مهاجم اختراق هذه الحدود ، فكان من الضرورى معرفة أضعف مواقع الحدود لمهاجمتها والتسرب منها ، ولقد ذكر المؤرخون الأغريق أن قائدا إغريقيا أسمه فانيس (Phanes) أرشد مقدمة الجيش الفارسى على بعض تلك النقط ، فهوجمت مدينة البلزيوم [1] من البحر ، وتدفقت جحافل الفرس فى الصحراء ثم سقطت مدينة منف فى أيديهم ، كما وقع الملك بسماتيك أسيرا فى قبضتهم . فأرسلوه إلى فارس حيث قضى نحبه وبذلك إنتهت أيام الأسرة ٢٦ .

اعترف المصريون بسيادة قمبيز (٥٢٥ — ٥٢١ ق . م) ملكا عليهم ، سواء أرغبوا ذلك أم كرهوه ، واتخذ ألقاب الفراعنة ، وشارك المصريين فى عباداتهم ومعتقداتهم وقد عرف عنه أنه أرسل حملة للواحات الغربية ، ولكنها ضلت الطريق وهلكت ولاقت حملة أخرى لاخضاع النوبة المصير ذاته ، ثم عاد الى وطنه ، وخلفه داريس (٥٢١ — ٤٨٦ ق . م) واتخذ فى مصر لقب « سى توترى » ، وكان حاكما حازما متنورا ، فأقدم على إعادة فتح القناة التى تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر . وفى آخر سنى حكمه ثار المصريون عليه ، وأجلسوا على العرش خبيبنق (٤٨٦ — ٤٨٤ ق . م) ولم يعرف شىء عنه ، سوى أن أخشرشش الذى خلف داريوس على الحكم فى فارس (٤٨٤ — ٤٦٦) ، قدم الى مصر وقضى عليه ،

---

(١) تعتبر هذه المعركة فى نظر بعض المؤرخين بلوسيوم الثانية .

وأعاد البلاد الى طاعته .. ولما خلفه أرتخرشش (٤٦٦ — ٤٢٥ ق . م) ثار المصريون مرة أخرى بزعامة أحد الأمراء ، بيد أن سرعان ما أخمدت الثورة وأعيد الأمن الى نصابه . ويذكر معظم البحاثة أن هيرودت المؤرخ الاغريقي [1] ، زار مصر فى أيامه .

وهكذا ... توالت على أيام الفرس ، الأسرات ٢٨و٢٩و٣٠ و٣١ . وقد ظهر فى أثنائها قليل من الزعماء المصريين ، ممن تولوا الحكم مددا قصيرة ، ولم يخلد المصريون الى السكينة . بل كانوا يواصلون ثوراتهم ضد الفرس . فيطردونهم أحيانا ثم يعود الفرس مرة أخرى . واستمر الوضع على هذا الأضطراب بين الجانبين الى أن استطاع الملك تأخوس طردهم من البلاد ، ثم غزا فلسطين .

وأخيرا جاء داريوس الثالث (أردشير عند العرب) ، فانه لما تولى العرش (٣٣٦ — ٣٣٢ ق . م) ، عزم على استعادة مصر وولاياتها فى سورية ، فجمع جيشا كبيرا من المشاة الفرس والأغريق ، والفرسان ، ودعمهم بأسطول حربى وسفن للنقل . ثم زحف على صيداء ، ففتحها خيانة ، ثم عبر سيناء ، ووصل الى بلوسيوم (الفرما) .

كان نقطانب ملك مصر قد أعاد تحصين بلوسيوم ومعظم ثغور مصر ، وحشد جيشا قوامه ٢٠٠٠٠ من مأجورى الأغريق ، و ٢٠٠٠٠ من الليبيين ، و ٦٠٠٠٠ من المصريين ، ثم هاجم جيش فارس ، لكنه لم يستطع رده ، ومن ثم عاد نصف جيشه الى منف ، فاستطاع الفرس محاصرة بلوسيوم ، ورموا أسوارها بالمنجانيق وفتحوا ثغرات فيها . واقتحم الجيش الأسوار ، واستولوا على المدينة . ثم انتهت المعركة بضم مصر الى فارس .

وتعرف هذه المعركة بمعركة بلوسيوم الثالثة .

---

(١) د . صقر خفاجه و د . أحمد بدوى : هيرودت فى مصر . القاهرة

٤ – الجيش فى أيام البطالمة

سياسة البطالمة العسكرية :

فى أعقاب اندحار الجيش الفارسى فى موقعة أسوس شمال الاسكندرونة (٣٣٣ ق . م) زحف جيش اسكندر الأكبر على سورية ، ففتح صيداء صلحا ، ثم صور بعد حصار سبعة أشهر ، ثم غزة . وبعد راحة قصيرة قصد مصر بطريق سيناء ، وكانت سفنه تسير بمحاذاة قواته البرية حتى وصل إلى بلوسيوم (٣٣٢ق.م) وكانت الجيوش الفارسية قد انسحبت من مصر للدفاع عن سورية ، فسلمت له بلوسيوم فى يسر وسهولة . وانحدرت سفن الاسكندر فى فرع النيل البليوسى حتى وصلت هليوبوليس ، ثم عبرت النيل . وتقدم الاسكندر إلى منف ، وكان عليها وال من قبل دارا ملك فارس فسلمها للفاتح دون قتال ، وكان ذلك فى عام ٣٣٢ق . م . وأقام الأسكندر عدة أشهر فى مصر ، خططت خلالها الأسكندرية . ثم استأنف القائد مسيره ليقضى على امبراطورية الفرس ، وتم له ما أراده ، ثم قضى نحبه . وانقسمت امبراطوريته بين قادته الكبار :

فى الوقت الذى رغب فيه « بطلميوس » رغبة صادقة فى أن تظل قوته فى أمن وسلام فى مصر مضى يتطلع إلى أقاليم مجاورة يحتلها لتكون لمصر توابع وأن يكون له من الجزائر وشواطىء البحر المتوسط مواطن ارتكاز تأوى إليها قواته البرية والبحرية . ذلك بأن مصر البطلميوسية قد أصبحت دولة أكثر نشدانا اصالحها فى حوض البحر المتوسط منها دولة أفريقية . على العكس من مصر الفرعونية التى كانت تمد سلطانها أحيانا إلى جوف السودان . أما البطالمة فلم يعنوا بالاستيلاء على أرض تقع بعد الشلال الأول . ولكن بطلميوس أراد أن يملك جنوب سورية كما فعل الفراعنة الذين درجوا من قبله لتصبح دريئة من الشرق كما

كانت برقة دريئة من الغرب . وأحب أيضا أن يملك جزيرة قبرص كما فعل الملك أحمس فى القرن السادس قبل الميلاد ، وأن يتقدم خطوة أخرى ، فيبسط سلطانه على أفارقة جزر ايجة وعلى بقاع من آسيا الصغرى .

كان هذا برنامج التوسع البطلميوسى . والواقع أن مصر إذا شاءت أن تكون دولة قوية هائلة فانها لن تصل إلى ذلك إذا هى بقيت حبيسة فى داخل حدودها . فإن الأخشاب الضخمة التى كان ينتفع بها فى بناء السفن لا أثر لها فى وادى النيل ، وموردها جبال لبنان وتلال قبرص .

فنى عام ٣١٨ ق . م . أمتلك بطلميوس . سورية من حدود لبنان جنوبا . وهى الرقعة التى نسميها اليوم (فلسطين) ، وأنزل قواته البحرية على جزيرة قبرص وأخـذ سلطانه يمتد ويثبت فى أطرافها حتى أتم غزوها . وكان يريد أن يتخذها قاعدة بحرية يناجز بها منافسه (انطيوجونس) الذى تملك كل الموانىء الفينيقية الواقعة على الشاطىء السورى . وفى سنة ٣١٣ ق . م . فقد بطلميوس فلسطين ، ولـكنه استعادها فى العام التالى . وعاد سلطانه على المـدن الفينيقية ، وسرعان ما فقد سيطرته وسيادته على فلسطين مرة أخرى ، وإن ظل مالكا لجزيرة قبرص .

وفى سنة ٣٠٦ ق . م . تحطمت قوى بطلميوس البحرية وحلت بها كارثة عظمى فان دمطريوس حاكم سورية هاجم قبرص ونشبت معركة بحرية بالقرب من سلاميس فاوقع ببطلميوس الهزيمة وقضى على حكمة فى الجزيرة . كذلك فقد بطلميوس فى معركة واحدة نتائج كل الجهود التى بذلها خلال ستة عشر عاما ليملك فى خارج أفريقيا سورية وقبرص ولـكن بقيت مصر وبرقة . فظل السيد المطلق اليد فى مملـكة النيل ، واستطاع بطلميوس أن يتريث وأن ينتظر انقلاب دورة الحظ .

وبعد أن فقد بطلميوس كل املاكه فى خارج مصر فى سنة ٣٠٦ ق . م . انقلبت آية الحظ ثانية على (انطيجونيس) فقد حلت بجيوشه كارثتان فى خـلال السنتين التاليتين ، فقد أرادمهاجمة مصر وأن يذلل عقبتيها الخالدتين(الصحراءوالنيل)

عبأ جيشه فى أنطيقونيا (انطاكيا) ثم تحرك إلى غزة (نوفبر ٣٠٦ ق . م) وكان عدد جيشه كما قال « ديودورس » ٨٠,٠٠٠ راجل و ٨٣ (ثلاثة وثمانون) فيلا هنديامصحوبة بأسطول مكون من ١٥٠ قطعة حربية و ١٠٠ نقالة تحت إمرة ديمطريوس

وقبل أن يبدأ الجيش إجتياز الصحراء وزعت على رجاله مؤن تكفى عشرة أيام . وأجرت فئة من البدو أدلاء على الطريق على أن يحملوا معهم ١٣,٠٠٠ مدمنى (وزنا من القمح والعلف والدواب) .

وقد كان من الأوفق — إذا نظرنا فى الأمر من الوجهة الطبيعية المحضة — أن يؤجل « انطيوجونس » هجومه على مصر إلى الصيف . فان النيل يكون فائضا فى الشتاء والملاحةالبحرية صعبة إذ تعصف رياح شمالية غربية على الشاطىء . ولكن ضرورة القضاءعلى بطلميوس وهو مازال ضعيفا بعد خسائره فى قبرص حمل انطيجونس على أن يعجل بمحاولته . وكانت النتيجة أن اسطول « ديمطريوس » لم يستطع مقاومة الرياح وجنح كثير من سفنه إلى الشاطىء فى رآفيا (رفح) . وأصبح التعاون بين الاسطول والجيش كما كان منتظرا من قبل فى حكم المستحيل عمليا .

ولما وصلت قوات حلفاء « ديمطريوس » إلى بلوسيوم وجدتها محصنة ، وان مدخل النهر موصدا بالسفن . هذا إلى أن النهر تغشاه سفن صغيرة متأهبةلمقاومة كل محاولة يقصد بها عبوره. وقد امتدت عدوى الفرار من الخدمة فى جيش « انطيجونس » فنقص عدد جنده كثيرا .

وحين رأى أنه يتعذر عليه فى (بلوسيوم) النزول أراد أن ينزل فى مكان أبعد منها غربا فلمس الفشل . فقصد مصب النهر عند دمياط فصد أيضا . ثم عاجلته عاصفة أخرى حطمت ثلاثا من أكبر سفائنه . ولم يتمكن من العودة إلى معسكر أبيه شرق المصب البلوسيوى إلا بكل عناء . فارتد انطيجونس عن حدود مصر بأقصى ما يستطيع من سرعة لينجو بما تبقى من جنودة .

واستطاع بطلميوس فيما بعد أن يستولى على فلسطين ويسترد جزيرة قبرص (٢٩٥ — ٢٩٤ ق . م) وكانت قد انتزعتها منه قوات ديمطريوس وظلت بها ست

سنوات بعد موقعة إبسوس . وحوالى سنة ٢٨٧ ق . م كان للأسطول المصرى السيادة فى بحر « ايجة » كما استرد بطلميوس حمايته الفعلية على مجموعه جزيرة قوقلادس .

والآن لنعد لذكر بعض الحقائق الأولى الخاصة بالجيش .

بطلميوس الأول (ساتراب — سوتر) ٣٢٣ — ٢٨٢ ق . م :

عندما اختار بطلميوس مصر لتكون مقرا لحكمه وجد أنها قد وهبته أشياء عديدة . وهبته ارضا يسهل الدفاع عنها وثروة مادية عظيمة . سواء من مواردها الطبيعية أو من المتاجر التى كانت تردالها على ظهر النيل . وخلعت على ملوكيته فوق ذلك عظمة التقاليد المصرية — وهبته نضارتها ولكنها مع كل ذلك لم تعطه كل الضروريات فانها لم تزوده بالقوة البشرية وكانت من أهم الحاجات اليه . والحقيقة أن مصر كان فيها عددا وافر من الرجال ولكنهم لم يكونوا حينذاك فى زعمه من الطابع الذى يستطيع قائد حربى أن يؤلف منهم جيشا يناجز كتائب مؤلفة من جنود مقدونية وأغارقة . فكان من الضرورى أن يحصل بطلميوس على عدته من القدونيين أو الأغارقة ، ولكن أنى له بهؤلاء ؟ خطرت له فكرة انشاء مقدونية اصطناعية فى مصر ، وذلك بأن يكون طبقة من الفلاحين القدونيين أو الأغارقة . فنشر ألوفا منهم فى عرض البلاد وطولها . يفلحون الأرض ويستولدون الماشية . فإذا أذن مؤذن الحرب هبوا اليها ، فحملوا الحراب راجلين . أو امتطوا صهوات جيادهم فرسانا . وخرجوا فيالق أو صفوفا يتبعون بطلميوس أو أحد قواده إلى حيث أراد .

ومن أجل أن تعمر المدن الأغريقية الجديدة كالأسكندرية وتثبت قدم العساكر المستعمرين فى البلاد ، استوفد بطلميوس ألوفا من الأغارقة والقدونيين إلى مصر . لم يجلبهم كلهم من أغارقة مقدونية بل كان اكثرهم ممن يقعون فى الأسر بعد النصر كما كان من بينهم فرق تألفت جنودها من المغامرين الذين استقدمهم كرم بطلميوس. أثر أن ذاع عنه فى العالم الاغريقى أنه ذلك الجواد الكيس الكريم الشهم · الذى يجدر بكل رجل فتى يود أن يعيش جنديا أن يعبر البحر ليكون تحت إمرته .)

(لما بدأ حكم بطليموس الأول فى مصر كان الجنود الوطنيون يؤلفون طبقة مستقلة من طبقات الشعب المصرى . تلك الطبقات كان من أهمها طبقة الفلاحين ورجال الدين . وكان الأغريق يطلقون على هذه الطبقة المحاربة كلمة ماشيموى (Machimoi) أو الرجال المحاربون[1].

ويسود الشك إلى أى حد كانت تشترك الجنود المصرية فى جيوش البطالمة قبل أن يعتلى العرش بطليموس الرابع (فيلوباتور) (Philopator) فقد ذكر المؤرخ (Polybius) بوليبوس أن تسليح المصريين كمحاربين فى عهد بطليموس ٤ (٢١٧ق.م) كان عملا وقتيا ، فى حين ذكر المؤرخ ديودورس أن فى معركة غزة (٣١٢ ق.م) اشترك الجنود المصريون مع بطليموس الأول وقامت بعض الوحدات المصرية بأعمال النقل بينما قامت أخرى بأعمال القتال .

ومن المحتمل أن يعود سبب استخدام الجنود المصرية إلى حاجة بطليموس الأول (سوتر) اليهم لمعاونة قواته فى حملة (٣١٢ ق.م) الفجائية لكنه لم يكرر التجربة مرة أخرى حتى مر قرن كامل عندما استخدم بطليموس الرابع (فيلوباتور) الجنود المصريين فى ميادين القتال . وإذ ذاك سلحت الجنود المصرية بأسلحة القتال التى كان يتسلح بها جنود الأغريق تماما ونظموا فى فيالق نظامية .

وكان المصريون قبل ذلك الوقت يسلحون بالأسلحة والدروع الخفيفة التى كانوا يحملونها فى أواخر أيام الدولة المصرية . كما كان لا يطلب منهم سوى الاشتراك فى بعض العمليات العسكرية كأعمال الاستكشاف مثلا .

---

(١) انظر المصادر الآتية :

1. Lesquier : les institution militaires d l'Egypte sous les lagides Paris II Bevan : A History of Egypt under the Ptolymaic Dynasty.

راجع أيضاً : إبراهيم نصحى : مصر فى عصر البطالمة . القاهرة ١٩٤٦ .

ويرى المؤرخ الفرنسي ليسكيه (Lesquier) أن القوات الوطنية (ماشيموى) استخدمها بطلميوس الأول ومن جاءوا بعده كحاربين ، أما بطلميوس ٤ فقد أقدم على تسليح المصريين كلهم ، ولم يجند رجال الطبقة المحاربة فقط . وإن كان هذا الرأى يختلف عما ذكره المؤرخ بوليبوس .

وعلى أى حال ، ففى الأيام الأولى من حكم أسرة البطالمة استخدم رجال الطبقة المحاربة فى أعمال الأمن الداخلى أو فى الأعمال البحرية كحراسة السواحل والأسطول النهرى ثم نظمت القوات المصرية فى الأيام الأخيرة لحكم البطالمة ، فى فيالق اسمها (Laarchiai) يقود كل واحدة منها ضابط يدعى (Laarcl ės) وكانت القوات الأولى التى حاربت فى جانب بطلميوس الأول بعد وفاة الاسكندر ضد منافسيه قوات مقدونية وكان قد أحضر منهم عددا كبيرا استعان بهم فى حروبه ومنحهم مستعمرات عسكرية واستمرت عملية الاستعمار العسكرى فى نمو واطراد فى أيام بطلميوس الثانى وبطلميوس الثالث . وصار المقدونيون وغيرهم من الجنود الإغريقية الأوربية يكونون أغلبية قوات البطالمة حتى معركة رفح التى سيجىء الكلام عليها .

ويجب علينا أن نميز بين القوات النظامية والقوات المأجورة ، فقد كان رجال القوات الأولى من المقدونيين ، وبمرور الأيام انضمت اليهم عناصر أخرى ، فنجد البعض من الأغريق المقدونيين المتوطنين فى الاسكندرية أو باتوليس (مدينة جرجا) وكانت الأغلبية العظمى من رجال الجيش بعد الجنود المقدونيين من الاغريق وسكان الجبال البلقانية فكان رجال ترافيا يكونون العنصر الأكبر الذى يلى رجال مقدونية ثم الكرتيين من الاغريق . وكانت هناك نسبة صغيرة من الآشوريين وفيهم بعض اليهود . وكان للخيالة اعتبار يسمو على المشاة فقد كانت اقطاعات جنود الخيالة اكثر اتساعا من اقطاعات جنود المشاة . وكانت تميز فيالق الخيالة عن بعضها بالأرقام كما هو الحال فى هذه الأيام . فيقال الفيلق الثانى والثالث والرابع .. وهكذا — وفى بعض الأحيان كان يميز فيلق عن آخر باسم مقاطعته التى ينتمى اليها ، فيقال فيلق الميسيين وفيلق التراقيين وهكذا ..

وكانت للفيالق المرقومة (Hipparchies) القام الأعمى . أما الفيالق التى تنتمى الى الأجناس المذكورة فكانت كما يعتقد المؤرخ ليسكيه تجىء بعدها فى المنزلة ، وكانت الى أوائل عصر فليوباتور تتألف من جنود من أجناس ومن أوطان مختلفة دون تمييز لكنهم احتفظوا بالزرد والدروع كما تمسكوا بتقاليد أبناء وطنهم فى وسائل القتال

وكانت المشاة المنظمة (Pezoi) تسلح طبقا للأساليب المقدونية بالحراب الطويلة ومنها تألفت الفيالق الثقيلة . وفى موقعة رفح كان عدد الفيالق ٢٠,٠٠٠ جندى وكان ينظم الفيلق فى وحدات تسمى (Chibirchis) ميزت عن بعضها بأرقام ، وكانت الكلمة الاغريقية التى تدل على كلمة ضابط المشاة (Hegemon) أما ضباط الخيالة فكانت تطلق عليهم كلمة (Hipparchoi)

وكان القواد الذين اضطلعوا بالقيادات العليا فى الجيش البطلميوسى من كبار الجنود المغامرين الذين كانوا يفدون من البلاد الاغريقية من وراء البحار ليقودوا قوات الملك المنظمة وكانوا قد تدربوا بين أفراد العصابات الجبلية منذ شبت أظافرهم.

والى جانب الجيش البطلميوسى المنظم المؤلف من الاغريق والمقدونيين ، المتوطنين فى مصر — والجنود المصريين — كانت هناك جنود مأجورة كثيرة العدد جلبها وأشرف عليها زعماء عصابات سابقون تدربوا على أعمال القتال فى جبال وغابات آسيا الصغرى — وقد جمعوهم من بين رجال المقاطعات التى تألفت منها بلاد اليونان فى تيارم وبيلوبونيز واسبندوس . فكان الزعيم اذا جمع أفراد جماعته قدم نفسه ورجاله الى الملك أو المدينة التى تقدم اليه أجراً أكبر من غيرها .

قلنا إن ثروة أسرة البطالمة اجتذبت جنوداً كثيرين من هذا الطراز ، جاءوا من شعوب فيما وراء البحار فى أفواج كثيرة . كما أن كثيرا من ملوك البطالمة استمدوا قواتهم المأجورة من المحاربين الذين امتازوا فى استعمال بعض الأسلحة الخاصة كحملة القسى والدرقات الثقيلة وحملة السيوف ذات النصلين من أهل كريت وتراقيا ، أو من رجال بلاد الغال ذوى الشعر الطويل الناعم وسكان الشمال المسلحين بالدروع الطويلة

الضيقة والسيوف ذات الطول الممتاز وكانت لهؤلاء سطوة تؤثر على أعدائهم ومن استخدمهم ودفع لهم مرتباتهم .

وفى موقعة رفح كان جيش بطليموس الرابع مؤلفا من ١٠٫٠٠٠ مأجـور (خيالة ومشاة) منهم ٣٠٠٠ جندى كريتى و ٦٠٠٠ تراقى ومن بلاد الجال وكانت الجنود المأجورة تستخدم لمدة سنوات يتفق عليها . ومن بين الستة آلاف جندى المذكورين كان لأربعة آلاف منهم على الأقل اقطاعات وفيرة فى مصر . كما كان الجنود المصريون فى الجيش النظم ،وكان للملك الآيات خاصة من الجنود المختارة وهى تؤلف حرسه الخاص يقيمون فى ثكنات مجاورة للقصر الملكى غالبا فى الاسكندرية ، وكان الحرس مؤلفا من الخيالة والمشاة وكان بين جنود الحرس وحدة مؤلفة من الجنود المصريين سلحوا على نسق الفيالق الاغريقية فى رفح وعلى حسب الأسـلوب المصرى القديم .

جلس بطليموس الرابع على العرش بعد وفاة أبيه . وقد ورث ملكا واسع الأطراف مدعم الأركان، اشتمل على جنوبى سورية ومصر وقبرس وبرقة، وكانت البحرية المصرية أقوى بحريات دول شرقى البحر المتوسط وقد امتد نفوذ سفنها الى جزر بحر ايجه وبعض أجزاء تراقية حول اينوس وماروينا . وكان منافسه العظم انطيوخوس ــ ملك دولة السلوقيين وميديا .

فرأى ان ينشىء جيشاً مصرياً لمحاربة قوات انطيوخوس المدربة . ولم يكن هذا العمل الحربى أمراً صعبا على دولة لها مقام مصر وقدرتها على الثروة والانتاج فنى استطاعة الملك استدعاء الخبراء العسكريين لتنظيم القوات الحربية التى تحتاجها البلاد فى تلك الظروف . واعدادهم لميادين القتال ويعتقد المؤرخ « ماهـافى » أنه ليس من المعقول أن تفقد مصر قواتها الحربية الوطنية بعد ثلاث سنوات من وفاة بطلميوس الثالث . ويضعف شأنها إلا إذا كان الجيش قدأهمل اهالا تاما أثناء الأعوام الأخيرة من شيخوخة الملك ومرضه .

صحيح جدا أن الجيش أصابه الاهمال فى ذلك الحين ، ويدل على ذلك أن رجال البلاط الاسكندرى عندما شعروا بوطأة الأزمة التى هددت سلطانهم خارج البلاد

عملوا على زيادة عدد قوات الجيش بإضافة عدد من الجندين الجدد. واهتموا بتدريب الصفوف الموجودة ولما كانت الزيادة المنشودة تتطلب وقتا طويلا فى حين كان انطيوخوس يهدد حدود مصر رأى رجال البلاط أن يدخلوا فى مفاوضات مع انطيوخوس كسبا للوقت الى أن يكملوا وحدات الجيش ويكونوا آلة حربية تقوم بالدفاع عن البلاد . وكان غرضهم أن يعرقلوا مشروعه الحربى لغزو مصر (فى عام ٢١٩ ق.م) فاستدعت القوات الموجودة وتجمعت فى مدينة البلزيوم تحت قيادة الملك الشاب . وأوصلوا الترع بالنهر بوسائل تجعلها صالحة لتكون خطوطا للدفاع والمعروف أنه الى ذلك الحين لم يكن انطيوخوس قد تقدم إلى مصر. فلما قدم شتاء عام ٢١٨ — ٢١٩ لم يكن مسيطرا تماما فى قلب سوريا ولم يكن الساحل فى قبضته كما أنه لم يكن قد زحزح القائد نيولاوى من ثغر دورة (Dora) واذ ذاك بدأ المفاوضات المصرية مع انطيوخوس والذى فهم أن المصريين مستعدون لقبول شروطه مهما كانت ورضى انطيوخوس بهدنة أربعة أشهر هادفى أثنائها لقضاء فصل الشتاء .

وفى أثناء الشتاء استمرت المفاوضات بين مندوبى العاهلين . ولكى تستمر المفاوضات معقدة وتتطلب زمنا طويلا ، اتصل البلاط الاسكندرى برجال بعض الإمارات الصغيرة ليتدخلوا بصفة وسطاء فى الصلح وقد برعوا فى تأدية هذا الواجب السياسى فى صالح مصر ، فبينما كانت المفاوضات تبلغ الذروة اذ يسود المفاوضون روح التشاؤم فتتعقد بعض المسائل وتذهب جهود المفاوضين هباء منثورا ثم تتجدد ثانية وهكذا .

أما فى الاسكندرية وفى فصل الشتاء فقد كان النشاط سائدا جميع النواحى ، فكان الجند الجدد يصلون اليها من جميع الجهات ، وتنشأ لهم المعسكرات ، ويبدءون التمارين بوساطة ضباط من الأغريق فأصبحوا قادرين على القتال واشتركوا فى معظم الميادين المقدونية تحت راية ملكين .

وكانت تصنع المهمات الحربية ومعدات القتال بنشاط وسرعة ليكون كل شىء على أتم الاستعداد بمجرد اعلان القتال . وكانت الجنود المأجورة تتدفق سفنهم على

ميناء الأسكندرية وسرعان ما ينضمون إلى معسكراتهم ويؤلفون وحدات جديدة فى الجيش المصرى .

وفى ذلك الوقت حرم على رجال البعثات الأجنبية النزول إلى شاطىء الأسكندرية لكى لا يلحظوا النشاط العسكرى الذى سرى فى البلاد والاعداد القائم للحرب المقبلة ولكى يكون السر مجهولا فى الشتاء انتقلت عاصمة البلاد (الاسكندرية) إلى مدينة منف حيث كانت تستقبل الوفود الأجنبية . وفى هذه المدينة القديمة وبين أحراش النخيل العالية ، لم تكن تظهر دلائل الاستعداد للحرب .

ونعلم مما كتبه بوليبيوس كيف أعيد تنظيم الجيش المصرى ، فأصدرت الأوامر بتسريح القوات القديمة وأعيد تنظيم الجنود فى وحدات جديدة حسب أجناسهم وطبائعهم وأعمارهم ومهارتهم فى استخدام أسلحة خاصة للقتال تختلف عن الأسلحة التى تدربوا على استعمالها للقتال .

كان هذا الطارىء الفجائى باعثا على اتخاذ عمل جديد ، فقرر البلاط انشاء فيلق من الوطنين مع الفيلق المقدونى والإغريقى ، وتألفت قوات مصرية وطنية بلغ تعدادها عشرين ألف مقاتل مسلحين ومنظمين على الأساليب المقدونية ، وتدربوا على استعمال (الساريسا) المقدونية . وهم فى تشكيلات منظمة . وتألفت من المصريين وحدات كبيرة من الخيالة دربهم بوليكرات الأرجوسى (Polycrates of Argos) الذى نشأ فى أحضان أسرة شريفة من قدماء الأغريق وبجانب وحدات المصريين تجندت قوات من آلاف اللوبيين ، وأهالى برقة المصريين إندمجوا فى الجيش المصرى (فى الخيالة أو فى المشاة) وقد تسلح ثلاثة آلاف منهم حسب الأساليب المقدونية بقيادة قائد مقدونى من برقية اسمه أمونيوس (Amnonius) واستدعى من المستعمرات العسكرية فى مصر الرجال القادرون على حمل السلاح — فوفد من الفيوم وغيرها عدد لا يقل عن ٤٠٠٠ من رجال فرنسا (Gauls) وتراقية ووصل ألفان عن طريق البحر من تراقيا بقيادة ديونيوس (Dionysius) ومع ذلك كان معظم الجيش من الأغريق والمقدونيين — وقد وصل عدد فيلقهم ٢٥٠٠٠ وليس كالفيلق المصرى علاوة على الوحدات الأغريقية المسلحة الخفيفة والخيالة المقدونية .

وفى ربيع عام ٢١٨ انقطعت المفاوضات بين الطرفين دون نتيجة . وقد طالت عمدا لمهارة المفاوض سوسيبيوس (Sosibius) فتقدمت قوات انطيوخوس بسرعة ودخلت مدن فلسطين ووصلت إلى غزة وانتصرت بسهولة على القوات القليلة العدد التى لم تقاوم القوات المتدفقة وانسحبت بمهارة واستدرجت الهاجمين .

موقعة رفح الثانية (٢٢ يونيو — ٢١٧ ق . م) :

كانت الخطة الحربية التى وضعت لا تتطلب استخدام الجيش الأصلى قبل الوقت المناسب وكانت قد تحركت معظم وحداته بقيادة الملك نفسه فى اقليم بوبسطة .

وفى ربيع عام ٢١٧ ق . م كان قد حان الوقت للدخول فى المعركة الحاسمة . ففى ١٣ يونيو تحرك الجيش المصرى بقيادة الملك عابرا صحراء سيناء إلى فلسطين . وكان مؤلفا من ٧٠ ألفا من المشاة وخمسين الفا من الخيالة و ٧٣ فيلا أفريقيا تألف منها سلاح الأفيال . وكان فى ركاب الملك القائدان سوسيبيوس واجاتوكليس Agathocles وشقيقة الملك الطفلة أرسينو .

فلما بلغ أنطيوخوس خبر اقتراب الجيش المصرى جمع قواته فى مدينة غزة . واستعد لمقابلة بطلميوس ثم تقابل الجيشان بالقرب من مدينة رفح على تخوم الصحراء فى المكان الذى اصطدمت فيه منذ خمسة قرون سابقة قوات ملك الاشوريين وهزمت المصريين . وكان جيش أنطيوخوس لا يقل كثيرا عن الجيش المصرى (١) ولولا ما كان فى أخلاق انطيوخوس من التهور والاندفاع لا نتصرت قواته على الجيش المصرى . فمنذ بادىء الأمر لم يكن الحظ حليف بطلميوس . فما كادت المعركة تبدأ حتى هاجت الفيلة الأفريقية وزمجرت ولم تقف لتقاوم عدوتها الهندية . ولولا ثبات الجنود المصريين ، وهم مسلحون لأول مرة بالرماح الثقيلة لما أحرز بطلميوس النصر على السلوقيين .

---

(١) كان جيش أنطيوخوس مؤلفا من قوات اغريقية ومقدونية وقوات اسيوية جندوا من سوريا وفارس وآسيا الوسطى ، وكلهم مسلحون على الأساليب المقدونية وسلاح الفيلة المؤلف من ١٠٢ من أفيال الهند .

بلوسيوم السابعة (١٧٠ ق . م) :

أعلنت الحـــرب بين بطلميوس ٦ (فيلومتر) وخاله أنطيوخوس ٤ فى سورية عام ١٧٠ ق . م . فحشد هذا جيشه وسار إلى مصر ، والتقى الجيشان عند بلوسيوم وانتصر أنطيوخوس وأسر خصمه ، ثم تقدم إلى منف ودخلها دون مقاومة ، ثم قصد الاسكندرية ، بيد أنه عجز عن فتحها ، فعاد إلى سورية بعد أن ترك حامية عسكرية فى بلوسيوم ، ثم عقد الصلح بين الجانبين بوساطة روما .

بلوسيوم الثامنة (٥٥ ق . م) :

ضعفت أسرة البطالمة ، وتدخلت روما فى شئون مصر . ففى أيام بطلميوس ١٣ ضم الرومان قــبرص إلى أملاكهم ، فلجأ إلى روما متوسلا إلى مجلس الشيوخ لمساعدته ضد الشعب المصرى الذى ثار عليه وخلعه . لكنه لم يلق أى عـــون ، فالتجأ إلى القائد بومبى الذى طلب من جابينوس الوالى الرومانى فى سورية أن يساعده ، فأعد الوالى جيشا أرسل معه ماركوس أنطونى أمـــيرا على الفرسان . سارت الحملة عام ٥٥ ق . م . ، فوصلت بلوسيوم وهزمت حاميتها اليهودية . ثم أقبل جابنيوس على رأس جيش آخر زاحفا على مصر ، ففتحها وقتل الملكة بيرينيس وزوجها أرفلاوس ، ثم ولى بطلميوس ثانية على العرش .

بلوسيوم التاسعة (٤٨ ق . م) :

مات بطلميوس ١٣ تاركا ابنين وبنتين : كليوبطرة ، وأرسينوس ، وبطلميوس الأكبر والأصغر وكان قد أوصى قبل وفاته أن تتزوج كليوبطرة بابنه الأكبر ، وأرسل الوصية إلى مجلس روما لتنفيذها ، وأن يتولى الوصاية على ابنه إلى أن يبلغ الرشد . فأنفذ المجلس الوصية وعين « بومبى » وصيا على بطلميوس .

وكانت كليوبطرة ذات مطامع ، وراغبة فى الاستقلال بالملك ، فحاولت ابعاد أخيها ، ثم نشبت الحرب بينهما ، فهزمت كليوبطرة وفرت إلى سورية حيث أعدت جيشا عادت به إلى مصر ، وانتصرت على أخيها وقتلته ، وانفردت فى حكم البلاد .

ثم تنازع بومبى ويوليوس قيصر السلطة فى روما . وانحازت كليوبطرة إلى أولهما وقدمت له العون ، ولكن فاز قيصر عليه فى معركة فرساليا باليونان (٤٨ق . م.) وعند ذلك انتهز بوثينيس ، القائم على تربية بطلميوس الأصغر ، الفرصة ، وأعلن سيده ملكا على البلاد وعزل كليوبطرة . فهربت إلى سورية حيث أعدت جيشا وزحفت به على بلوسيوم التى أجبرتها حاميتها على عدم التقدم .

وكان بومبى عقب هزيمته قد فر راكبا البحر ، ووصل إلى بلوسيوم كلاجىء سياسى ، وبعد أيام نفذت مؤامرة قتله . ثم وصل يوليوس قيصر إلى الاسكندرية مطاردا خصمه ، وعرف بما حدث ، فحزن على خصمه . ومنذ ذلك الحين أصبح القنصل الأوحد لروما ، ومن ثم بدأ يعمل لإزالة سوء التفاهم بين كليوبطرة وأخيها فأمرها بصرف جيوشهما من بلوسيوم . وكان بطلميوس الأصغر قد عاد إلى الاسكندرونة ، ورأى أن يطيع أمر قيصر . لكن وصيه بوثينس لم يوافقه ، وأرسل إلى أخيلاس قائدالجيوش فى بلوسيوم لكى يعود بجيشه إلى الاسكندرية ، وألا يرضخ لأوامر قيصر . وفى الوقت نفسه أرسل بطلميوس بأمر قيصر إثنين من رجاله إلى أخيلاس ليبقى فى بلوسيوم ، وكان القائد من رأى بوثينس ، فقتل الرجلين ، وزحف على الاسكندرية على رأس جيش كبير . أما كليوبطرة فبقيت مع جيشها خلف بلوسيوم ، وأدركت أنها تستطيع استمالة قيصر إليها ليحكم لها عند شقيقها ، وعزمت على أن تذهب إليه متخفية ، ونالت منه ما أرادت .

وصل أخيلاس بجيشه إلى الاسكندرية ، ونشبت بينه وبين قيصر عدة معارك برية وبحرية ، كان النصر فيها يتبادله كل منهما : معركة حصار حول القصر ، ومعركة بحرية فى الميناء الغربى ، ومعركة بحرية أخرى ، وفقد جزيرة فاروس ، ومعركة السد ، ومعركة النيل حيث هزم بطلميوس ١٤ وغرق وانكسر جيشه . وأخيرا أصبح موقف قيصر حرجا بين مؤامرات القادة ورجال القصر ، وأصبح فى حاجة إلى قوات لإنقاذه من الورطة ! .

بلوسيوم العاشرة :

وصلت النجدات إلى قيصر فى بلوسيوم ، ففتحت المدينة عنوة ، وزحفت على منف وهليوبوليس ثم عبرت النيل . وكان قيصر قد عين بطلميوس الأصغر بعد وفاة أخيه شريكا فى الملك لكليوبطرة . وعاد هو إلى روما بعد تفاهمه معها وزواجه منها تاركا فى مصر حامية من جنوده تنفق عليها كليوبطرة .

وفى روما قتل قيصر غيلة . فطلبت كليوبطرة من مجلس الأعيان بروما أن يعترف بإبنها من قيصر شريكا لها فى ملك مصر بدلا من أخيها . لكن رجال السلطة لم يوافقوها ، فعادت إلى مصر لعلها تنفذ عزمها عند سنوح الفرصة ، وانتهى الأمر بقتل شقيقها ، ثم انفردت بالحكم .

أسرعت كليوبطرة فى إرسال نجدة إلى مارك أنطونى للانتقام من مدبرى قتل قيصر ، فكان جوابه عليها أن طلب منها الحضور إليه فى طرسوس فلبت دعوته وفتنته بجمالها ، ثم سألته أن يأتى معها إلى الاسكندرية ، فحضر وأولدها بنتا ثم توأما . وأرغمته الأحداث فى روما بعد تولية خصمه أوغسطوس قيصر الحكم على السفر إليها . وفى أكتيوم نشبت المعركة عنيفة (٣١ ق . م) بين الخصمين ، ففر مارك أنطونى إلى الاسكندرية وعاش شهورا مع كليوبطرة .

بلوسيوم الحادية عشرة (٣٠ ق . م) :

وتبعه أوغسطوس حتى وصل إلى بلوسيوم وحارب جيش مصر وقواتها البحرية . فسلمت له المدينة ، ثم زحف إلى الاسكندرية . فخرج مارك أنطونى لقتاله ، ولكن خانه قواده وفتحوا الطريق لاوغسطوس ، فدخل المدينة .. والمعروف بعد ذلك أنه استل سيفه وانتحر ، فى الوقت الذى انتحرت فيه كليوبطرة . وبموتها انتهى حكم البطالمة فى مصر ، وبدأ حكم الرومان ، فالبيزنطيين، حتى فتحها العرب بقيادة عمرو بن العاص (٦٣٩ م) .

استخدام الفيلة :

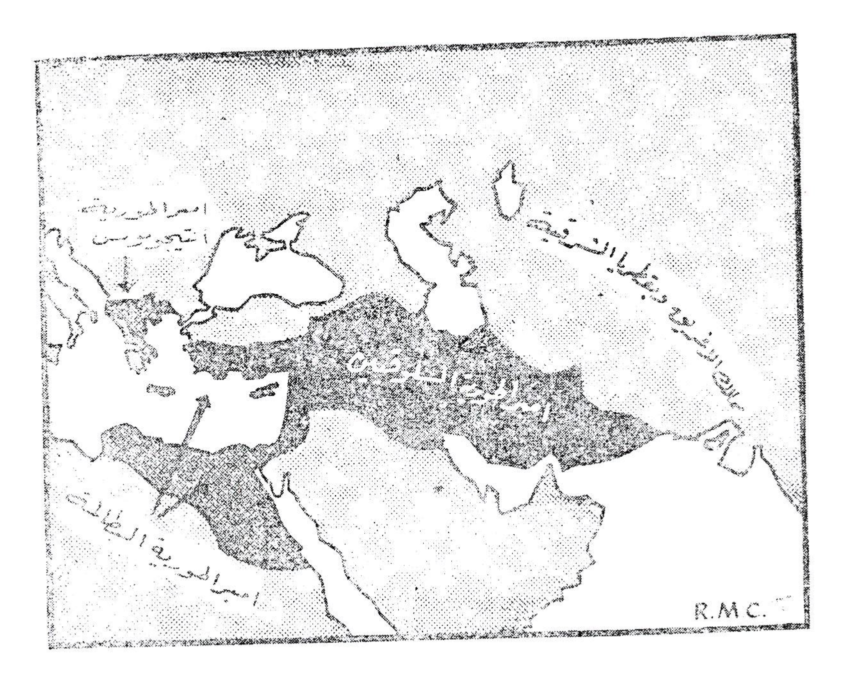
كان بين أسلحة الجيوش الإغريقية بعد وفاة اسكندر القدونى فيالق للفيلة ، وكان استخدام هذا الحيوان بعد غزو الاسكندر للهند وفتحها . فى القرن الرابع ق . م ، جلب سيلوقوس [1] من بلاد الشرق عددا من الفيلة الهندية ، وعنى بها فى مدينة أباميا (Apamea) فى وادى نهر الأورنت بسورية . وقد كان نقل الفيلة من الهند بطريق البحر عملا شاقا متعبا لا يقوم به غير أغنياء الملوك وفى عهد بطلميوس الثانى أوصى بأن يكون قنص الفيلة وجلبها عملا منظما تقوم به الحكومة على حسابها فى أواسط وجنوبى إفريقية . فنظمت البعثات الخاصة لذلك وكان من أهمها فى عهده ما وضع تحت قيادة ساتيروس (Satyrus) وأميدس (Eumides) فقد وصلا فى رحلات متعددة إلى أقصى سواحل البحر الأحمر وإلى بلاد الصومال . واصطادا الفيلة . فكانت تنقل بحرا فى سفن شيدت لذلك الغرض أطلق عليها حملة الأفيال (Elephantegoi) كما تسمى اليوم حاملة الطائرات (air craft - carrier) فإذا وصلت تلك السفن المشحونة بالفيلة إلى ميناء بيرنيقة فى البحر الأحمر نقلت عن طريق الصحراء الى قفط (Koptos) وأومبى (Ombi) فيتسلمها موظف خاص عرف باسم مراقب الفيلة لتدريبها والعناية بها .

أما المكان الرئيسى للفيلة فكان فى منف . وقد استدل من نقش أدوليس (Adulis) أنه كان من أهم أعمال بطلميوس الثالث جلب الفيلة من الجنوب .

---

(١) سيلوقوس أحد قادة الاسكندر ، ولاه على بلاد فيما بين النهرين ، فبدأ نجمه فى الصعود إلى أن مات الاسكندر (٣٠٦ ق.م) فأعلن نفسه ملكا عليها ، كما أعلن بطلميوس الأول نفسه ملكا على مصر .

وقد كان على ساحل البحر الأحمر عدة محطات عسكرية تقام مؤقتا للعناية بالفيلة منها ثيرون (Theron) التي حصنها القائد إيميدس (Emédes) ، وبالقرب من سواكن وبيرنيقة ومصوع وأرسينو [1] وكثيرا ما ترك قواد حملات صيد الفيلة نقوشا ونصبا على سواحل بلاد الصومال استدل منهم على وصول قوافلهم إلى تلك البلاد كما أثبتوا الغرض من رحلاتهم إليها .



(ش ٧٩) إمبراطوريات خلفاء الاسكندر الأكبر

---

(١) أرسينو مدينة بالقرب من بوغاز باب المندب وصل اليها نفوذ البطالمة .

٥ - الجيش الرومانى فى مصر

قبل للتحدث عن النظام العسكرى فى مصر فى أثناء الاحتلال الرومانى ، نتكلم بايجاز عن النظام الادارى الذى عرف فى البلاد .

جابهت حكام مصر فى طول تاريخها القديم ثلاثة أمور رئيسية ، يتوقف عليها نجاح حكمهم لتلك البلاد ، وكان إهمالها يؤدى دائما إلى تداعى الحكم للقائم ، كانت هذه الأمور الثلاثة : —

ا — الاحتفاظ بهدوء البلاد الداخلى .

ب — الدفاع عنها ضد أى غزو أجنبى .

جـ — اصلاح طرق الرى والسهر على تنظيمها .

كان الاستقرار الذى نتج عن حروب بترونيوس فى أثيوبيا وايجاد منطقة فاصلة بين مصر وأثيوبيا وتخضع لادارة حاكم طيبة (Epistratigos) وتحميها حامية خاصة ، كان ذلك كافيا لصد أية متاعب تأتى من ناحية الجنوب لعدة سنوات ، وكانت كذلك القوة التى تركها أوغسطس فى مصر كافية بل و أكثر من الكافية للوقوف فى وجه أى خطر يهدد البلاد من الداخل أو الخارج حتى أنه فى سنة ٢٣م سحبت كتيبة من القوة المصرية .

وكان القائد الأعلى لكل القوات هو الحاكم العام لمصر (Prefect) ،وكان جنود القوة مصريين فى الغالب ، وكلما تقدم الزمن كلما زادت نسبتهم فى الجيش .

وكان الجند يقطعون الأراضى فى القرى وعواصم الأقاليم ، وكان لهم فى تلك الأماكن أثر كبير ، وكونوا طبقة عليا بالنسبة للسكان الأصليين .

وبعيدا عن الاسكندرية كانت المدن الكبرى تنزع إلى التألب على سلطة الحاكم وقد بدأ اقليم طيبة الثورة لدى وصول جباة الضرائب الرومانيين سنة ٣٠ — ٢٩ ق . م ، ولكن الثائرين سرعان ما شعروا أن قوة الاحتلال الرومانية كانت تختلف عن الجيش البطلمي المنحل ، فتمكن أول حاكم لمصر جالوس (C Gallus) من إخماد الثورة فى أيام ، وكان من قبل قد أخمد ثورة أخرى فى هيرونبوليس ، وكانت أعمال جالوس المذكور بالغة القسوة حتى أن المصريين أخلدوا إلى السكون مدة قرن ونصف قرن بعد ذلك* .

أما عن التنظيم الادارى فان أوغسطس نزع إلى نظام المركزية المتطرفة ، كما كان البطالمة قبله ، وكما فعل العرب بعده ، كان الحاكم المسمى (Epistratigos) يشرف على شئون اقليم طيبة المدنيـة والعسكرية فى آخر أيام البطالمة ، فتبع الرومان نفس النظام ، ويلوح أن مصر قسمت فى ذلك العهد إلى ثلاثة أقسام إدارية ، طيبة والدلتا ومصر الوسطى بمـا فيها أقليم أرسينوى ، وعلى رأس كل قسم من هـذه حاكم يسمى (Epistratigos) ، وكان جميعهم من أصـل رومانى ماعدا فى طيبة فكان أغريقيا ، وكان نفوذهم إداريا مدنيا وقضائيا فى وقت واحد ، ويشرف على الجميع الحاكم العام (Prefect) أى الوالى .

الجيش الرومانى فى مصر

فى السنوات الأولى من حكم الامبراطور أوغسطس كانت حامية مصر الرومانية تتألف من الآتى : —

١ — ثلاث فرق (Legions) إحداها بالأسكندرية والثانية فى بابليون (مصر القديمة) .

٢ — تسع سرايا (Cohorts) ثلاث منها فى الاسكندرية وثلاث فى أسوان .

٣ — ثلاثة آلايات للفرسان (Alae) .

وقد جهزت الحامية المصرية على ذلك الوجه لمواجهة كل الاحتمالات التى لم تكن معروفة بالضبط ، لأن حدود مصر لم تكن فى الواقع فاصلة إلا من الجهة الشمالية ، وإن كانت الصحراء فى الشرق والغرب قد كونت حدودا عائقة ، كذلك لم تكن قوة جيرانها معروفة على وجه الدقة . هذا وقد كانت داخلية البلاد نفسها واحتياجها لقوات دائمة لاخضاع الثورات التى اشتهرت بها فى آخر حكم البطالمة أمرا لابد من وضعه موضع الاعتبار (١) .

غير أن الأحداث أفهمت الرومان أن القوات بمصر أكثر من اللازم ، فان دولة مرو فى الجنوب خلدت إلى السكون بعد عدة مشاغبات وأنشئت عدة محطات عسكرية ممتدة على النيل جنوب أسوان ، فكانت كافية لتأمين الأجزاء الجنوبية من البلاد أما غزوات الصحراء فكانت قليلة وبسيطة ، وأما عن الثورات الداخلية فقد عرف مركزها وأصبح من السهل التغلب عليها .

وهكذا ما أتى عهد تيبريوس حتى كانت إحدى الفرق الثلاث قد سحبت ، وبعد ذلك بقليل جمعت الفرقتان الباقيتان فى معسكر واحد بنيوكوبوليس قرب الاسكندرية وعلى العموم فقد أنقصت الحامية وأصبح عدد رجالها ١٦٧٠٠ بعد أن كان ٢٢٨٠٠

وفى عهد نيرون ظهرت فرق أخرى بمصر ، ولكن بصفة مؤقتة ، ولم تكن جزءا من الحامية الأساسية ، ويرجح أنها جاءت مصر وقتما فكر الأمبراطور نيرون فى غزو أثيوبيا ، ولكن فى سنة ١٠٩ أضيفت فرقة بصفة دائمة لقوة جيش الاحتلال الرومانى واستمرت الفرقتان القديمتان فى مركزها بالاسكندرية ، ثم اختفتا بعد ذلك حتى كانت كل الحامية عبارة عن فرقة واحدة هى التى أضيفت سنة ١٠٩ وذلك فى عهد أنيطونيوس بيوس ، وبقى الى جانبها بعض السرايا (Cohorts) وبعض آلايات الفرسان ، وكان عدد الجميع حوالى أحد عشر الفا ومائة رجل، واستمر الحال كذلك

---

(1) Milne J. G. : AHistory of Egypt under the Roman Rule pp 171-174

حتى عهد ديوكليتان تقريبا اذ أعيد تنظيم الجيش الرومانى لخلت فرقة وأتت مصر وحدات جديدة .

وفى خلال القرن الخامس اختفى نظام الكتائب من التنظيم البيزنطى للجيش بما أدخله جستنيان من التعديلات، وحلت محلها الوحدات ذات الأرقام . كما يستدل على ذلك من وثائق العصر ، وكانت الوحدات ذوات الأرقام تحمل أحيانا أسماء البلاد التى تعسكر فيها أو أى أسماء رمية أخرى .

ومن المحتمل أن كل مدينة كبيرة كانت تعسكر فيها وحدة خاصة ، بينما تحرس الحدود قوات أخرى عظيمة ، أما شواطىء الدلتا فلها قواتها الخاصة منذ عهد أوغسطس.

وليس لدينا دليل على أن مصر وجدت بها جنود من قوات حلفاء الرومان ، وكان الأسطول يشرف على الملاحة النهرية داخل البلاد ، كما أنيطت به مهمة إرسال الغلال من مصر الى روما بحرا .

أما عن جنسيات الجنود التى خدمت فى مصر فقد كانت فى الغالب تجند محليا ، فحتى سنة ١١٩ كانت هناك ٦١ سرية (Cohorts) منها ثلاثة عشر من أهل مصر والباقى من شتى الممتلكات الشرقية ، وفى القرنين الثانى والثالث نجد مجموع الفصائل بلغ ستا وأربعين، منها ثلاثون من أهل مصر عامة وكان التجنيد اجباريا لا يعفى منه الفرد الا نظير مبلغ معين من المال ، وكانت قوات مصر العسكرية عبارة عن حاميات للأمن الداخلى أكثر من كونها وحدات معدة لميادين القتال .

ونحن نفتقر الى مايثبت أن جيش الاحتلال الرومانى قد اشترك فى حروب خارج حدود مصر ، أو أنه اشترك فى قتال مع قوات منظمة داخل حدود البلاد نفسها ، ذلك أنه بعد الفتح الرومانى كان القرن الأول فى مصر بعد الميلاد فترة هدوء وسلام مما أعطى للاباطرة فرصة لإلحاق بعض وحدات من جيش مصر فى الميادين الأخرى عندما كانت تدعو الضرورة لذلك ، كما حدث فعلا فى أيام الامبراطور فاسبسيان فى فلسطين وأيام الأمبراطور تراجان فى بارثيا .

وفى القرن الثانى قامت ثورتان عظيمتان فى الداخل بسبب اليهود فى أيام تراجان وهدريان ولكن سرعان ماأخمدتا بعد نضال بسيط .

وقد تعرضت البلاد مع ذلك لبعض الغزوات كان نصيبها الفشل ، وكانت من بينها غزوة فارسية سنة ٥٠١ نجحت بعض الوقت ثم عاد الرومان فأرجعوا القطر لسلطانهم، وفى النهاية جاء فتح العرب فقضى نهائيا على الحكم الرومانى بمصر، والواقع أن الحامية الرومانية فى البلاد لم تكن من القوة بحيث تستطيع مواجهة غزوة أجنبية منظمة، وكان الغرض الأساسى منها ضمان الهدوء والسلام داخل حدود مصر نفسها.

ومما وجه الرومان عنايتهم له ، قوات الهجانة فزادوها لأهميتها فى الدفاع ضد غزوات بدو الصحراء ، وتحدثنا الوثائق أنه فى منتصف القرن الثانى كانت بصعيد مصر قوة كبيرة من الهجانة .

وكانت للجيش الرومانى بمصر واجبات سياسية الى جانب قيامه بواجباته العسكرية فهو مكلف بحراسة المبانى وللصالح الحكومية والمصانع المختلفة وعليه مراقبة الموانىء ومجارى المياه ، كما كان يقوم أفراده بمد الطرق واصلاحها وحفر القنوات وتطهيرها وكانت القوات العسكرية تشترك أحيانا فى جباية الضرائب ، ولاسيما فى العهد البيزنطى.

كانت جميع القوات المحتلة بمصر منظمة بحيث تخضع جميعها لقيادة الوالى المعين (Prefct) حاكما على مصر من قبل الأمبراطور الرومانى ، واستمر الأمر كذلك حتى عهد ديوكليتان ، وكانت الاسكندرية هى المركز العسكرى للبلاد، وكانت الدلتا محصورة بين قوات موزعة فى الاسكندرية ذاتها وبلوزيوم وبابليون وعلى طول الطرق ، كما توزعت وحدات صغيرة ، أما السويس فاختصت بقوة خاصة .

وعلى النيل الأعلى كانت توجد وحدات فى مختلف بلدان مصر الوسطى ، أما قفط، فاعتبرت المفتاح الرئيسى الى البحر الأحمر، ولهذا وضعت بها قوات كبيرة منظمة والى جانب ذلك وزعت قوات فى أسوان وطيبة وعند الشلال الأول حيث كانت الحدود الجنوبية للاحتلال الرومانى .

وقد قوى الدفاع عن منطقة فيلة والنوبة ، ثم نزعت الرقابة والقيادة من يد الوالى (Prefect) وأعطيت لقائد عسكرى ، وبعد ذلك بقرن قسم الجيش فأصبح فى مصر الوسطى والسفلى يخضع لقيادة الحاكم العام للقطر ، وفى طيبة يخضع لقيادة حاكم ليبيا وأقاليم الجنوب ، واستمر الأمر كذلك حتى عهد جوستنيان حيث وزعت مصر على أربعة حكام لكل منهم الاشراف العسكرى والادارى على ربع البلاد كالآتى :

١ — غرب الدلتا ويسمى اصطلاحيا مصر .

٢ — شرق الدلتا ويسمى اصطلاحيا أوجستنميكا (Augustanmica) .

٣ — مصر الوسطى وتسمى اصطلاحيا أركاديا .

٤ — إقليم طيبة .

وبدأت بذلك اللامركزية فى إدارة الجيش تظهر ، بمعنى أن كل وحدة كانت تقوم بواجباتها منفصلة تماما عن الأخرى ، وخاصة فى العهد البيزنطى ، وقد كان ذلك محتملا طالما كان الجيش قائما بأعمال شبيهة بأعمال الشرطة ، ولكنه انتهى بالدمار عندما اضطر الجيش لمقابلة الغزو العربى .

وكانت حماية البلاد والدفاع عنها يقوم على أساس إنشاء بعض الحصون والأسوار والتحصينات المحلية ، وأهم هذه كان فى فيلة وأسوان .

<u>الدفاع عن مصر :</u>

نتج عن سقوط الاسكندرية فى أول أغسطس سنة ٣٠ ق.م وضع الشرق كله تحت أقدام أوكتافيوس ، وأصبح لزاما عليه أن يسعى لضمان سلامته ، ولم تكن المهمة سهلة فى أى مكان قدر سهولتها فى مصر التى حبتها الطبيعة بحدود منيعة جعلتها أفضل البلاد من ناحية الدفاع فى حوض البحر الأبيض كله ، ولقد أملت جغرافية مصر الطبيعية مبادىء السياسة العسكرية اللازمة للدفاع عنها ضد الغزو الخارجى وللاحتفاظ بالهدوء الداخلى .

إن مصر سهل منبسط تكون من فتات الحجر الجيرى الذى كان ينحدر تدريجيا من شواطىء البحر الأحمر حتى خط الواحات الممتد من حذاء أسوان إلى سيوة حيث معبد آمون القديم ، ويحد هذا السهل من شماله الشرقى شبه جزيرة سيناء ، وهو شاسع جدا يخلو من الأرض الصالحة للزراعة إلا فيما عدا الأجزاء التى يمكن أن يغذيها النيل بمياهه المنحدرة من جبال الحبشة وأفريقيا الاستوائية وجميعها تمتد على جنبات مجراه .

ويضيق ذلك المجرى عند الشلال الأول ويشق طريقه بين صخور رملية وجيرية حتى يصل إلى الأقصر (طيبة) ، فيتسع الوادى كثيرا ويتراوح عرضه بين اثنى عشر وثلاثين ميلا حتى يصل إلى القاهرة فتتكون الدلتا العظيمة التى تقع فى شمالها عدة بحيرات ، وكانت الاسكندرية تكاد تكون منفصلة عن باقى القطر لا يصلها به سوى ممر ضيق من الأرض حتى سماها الأقدمون « الاسكندرية التاخمة لمصر » (Alex andria ad Aegyptum) .

فوادى النيل إذن كان من الصعب الوصول إليه من جهة الشمال لوجود البحر الأبيض المتوسط ، ومن الغرب تحمى القطر صحراء ليبيا بينما تحميه من الشرق صحراء العرب ، وهكذا صدق قولهم عن مصر إنها منعزلة عن العالم بأسوار منيعة تحفها من جميع الجهات ، أما جنوب مصر فيحميه الشلال الأول ومن بعده مملكة الحبشة المفككة والتى كانت فى الواقع رغم عدم تنظيمها سبب كثير من المشاكل .

وتدلنا أعمال التنقيب على أنه فى وقت الغزو الرومانى كانت الحبشة مقسمة كما كانت فى القرن الثالث قبل الميلاد — إلى مملكتين : الشمالية منها ومركزها نباتا والجنوبية ومركزها مروى .

---

(١) يشكر المؤلف الأستاذ الدكتور محمد عواد حسين لمساعدته القيمة فى كتابة هذا الفصل الختامى .

وكان أول من ولى أمر مصر ج . جالوس صديق فرجيل فأصبح عليه أن يوطد العلاقات مع أثيوبيا جنوبا وأن يضمن هدوء البلاد داخليا فيقضى على الثورات التى شبت فى شرق الدلتا بعد أن توطد حكم الرومان وحس الأهالى بعبئه الثقيل . وكانوا يظنونه بادىء الأمر شيئا يسيرا فإذا به أشد من الذى سبقه ، وكانت أولى الثورات فى مدينة هيرونوبوليس (Heroon opolis) شرقى الدلتا ، وفى طيبة حيث كهنة آمون أصحاب النفوذ الواسع الذين كانوا شوكة فى جنب الحكام السابقين . وكانت الثورات متواصلة ، ولكن سرعان ما كانت تخمد بفضل الحاكم الرومانى جالوس ، كما يحدثنا بنفسه على النصب التذكارى (Stele) الذى خلفه فى فيلة والمؤرخ فى ١٥ أبريل سنة ٢٩ ق . م . ففيه يقول مفتخرا أنه قضى على ثورة طيبة فى ظرف خمسة عشر يوما ثم مضى جنوبا حتى الحدود وواصل سيره إلى ما بعد الشلال الأول حيث استقبل سفراء فيلاى وأجبر ملكها على قبول الحماية الرومانية .

وقد داخل الغرور صدر جالوس لهذه الانتصارات فظن نفسه فرعونا جديدا بمصر وبدأ يقيم لنفسه التماثيل فى أنحائها مما كانت نتيجته أن استدعاه الامبراطور أوغسطس ثم صدر قرار السناتو باتهامه ، فانتحر .

ثم اضطرت روما إلى سحب قوات الحدود الجنوبية للانتفاع بها فى حملة وجهت لبلاد العرب تحت قيادة اليوس جالوس ، فكانت فرصة طيبة انتهزها أهل أثيوبيا للثورة وتدفقوا إلى الحدود سنة ٢٥ ق . م ، وتغلبوا على حاميتها الصغيرة المكونة من ثلاث كتائب فقط وتقدموا نحو الفنتين ، وكان والى مصر وقتئذ بترونيوس فذهب لمقاتلة الأثيوبيين بقوة بلغت عشرة آلاف من المشاة وثمانمائة من الخيالة فانتصر عليهم وطاردهم حتى عادوا الى بلادهم وتمكن من كسرهم فى دكه ثم نباتا عاصمة الأثيوبيين الشمالية حيث كانت تعيش الملكة وابنها ، وقد حاولت أن تصالح بترونيوس ولكنه أبى .

وعاد بترونيوس مع الأسرى، ومعه تماثيل أوغسطس التى كان الأثيوبيون قد نقلوها معهم . وفى طريقه حصن أبريم بقوة تبلغ أربعمائة من الرجال زودهم بمئونة

تكفيهم لمدة عامين كاملين . ولما وصل إلى الاسكندرية أرسل إلى أوغسطس ألفا من الأسرى تأكيدا لانتصاره .

وبعد عامين فكرت ملكة أثيوبيا للعودة إلى الشاغبة ولكن الوالى الرومانى أوقفها عند حدها فاضطرت لمفاوضته فى سبيل الصلح وتم الاتفاق بين الطرفين نهائيا وكان من نتيجة تلك الحرب الأثيوبية احتلال منطقة تسمى Dode kaschoines تمتد من أسوان إلى حيرا [1] وهى التى كان البطالسة قد أهدوها لمعبد أزيس فى فيلة فأصبحت من أملاك المعبودة المقدسة ، وكونت فاصلا بين مصر وأثيوبيا ، وهكذا أمنت مصر حدودها الشرقية . والغربية آمنة بطبيعتها لأن عرب الصحراء كانوا من الضعف بحيث لا يستطيعون القيام بغزوات على أرض الوادى .

وكانت مهمة الجيش الأساسية فى مصر هى الدفاع عن الحدود والاحتفاظ بالهدوء والسكينة فى داخل الحدود ، وكانت حامية واحدة ومتوسطة القوة كافية للغرض ، ولكن أوغسطس كان يرغب فى الاحتياط الكامل لكل الطوارئ فى مصر. فوضع فيها قوة كبيرة فى الواقع بالنسبة لحاجة الدفاع.

وكانت القوة كلها تخضع للحاكم (الوالى) وتتكون من ثلاث فرق ، وتسع كتائب وثلاثة آلايات من الخيالة ، والقوة فى مجموعها تبلغ حوالى ٣٢٠٠٠ من الرجال ، وكانت هناك قوة بحرية تشترك مع الأسطول السورى فى حماية الشواطىء الجنوبية للبحر الأبيض وتوصيل البضائع التجارية من الاسكندرية الى روما، كذلك اقتفى أوغسطس أثر البطالمة فى تخصيص حامية نيلية لملاحظة الملاحة فى النهر من أسوان حتى البحر الأبيض وكانت فى الغالب تحت سيطرة الأسطول .

ويحدثنا سترابو عن توزيع حامية مصر فى أول الأمر، فيقول إن إحدى الكتائب كانت بالاسكندرية وأخرى ببابليون على الشاطىء الشرقى للنيل ، أما عن التسع فصائل، فثلاث منها كانت بالاسكندرية وثلاث أخرى فى أسوان والباقى موزع

---

(١) Hiera

فى أنحاء البلاد ، ويحتمل أنها كانت فى مصر الوسطى، وأما بخصوص وحدات الخيالة أو الآلايات كما كانت تسمى Alae فلم يشر سترابو إلى أماكن معينة لها بالذات وإن قال إنها كانت موزعة فى أماكن مناسبة .

وكانت فرقة الاسكندرية تسمى فرقة ديوتاروس الثانية والعشرون وذلك نسبة الى الملك ديوتاروس الذى تكونت هذه الكتيبة تحت حكمه فى جالاتيا ودربت على النمط الرومانى ثم ضمت للجيش بعدضم جالاتيا الى أملاك الأمبراطورية سنة٢٥ق م وكان معسكر الكتيبة على بعد ثلاثة أميال شرق العاصمة فى حى نيكوبوليس .

وأما كتيبة بابليون فنكاد لانعلم عنها شيئا ، وأما الكتيبة الثالثة فلم يشر اليها سترابو وان كنا نعتقد أنهاوجدت بمصرالعليا عند قفط أوطيبة وكانت تسمى (سيرنيكا الثالثة) وقد وجدت آثارها عند طيبة حيث استخدمت فى إخماد ثورتها ، وكانت قفط مركزا تجاريا هاما كما كانت مركزا حربيا .

من ذلك نستطيع أن نستنتج مميزات التنظيم العسكرى لمصر فى عصر أوغسطس فقد كان احتلال مصر السفلى مضمونا بالقوات الثلاث التى ضمت الدلتا بين الاسكندرية وبابليون وبلوزيوم ، وكانت المواصلات بين تلك القوات الثلاث تقوم عن طريق فروع النيل وقنواته .

وكانت الاسكندرية هى المركز العسكرى البرى والبحرى لمصر ، وكانت أهميتها تزداد شيئا فشيئا ، أما القيمة الاستراتيجية لبابليون فتتضح فى أنها تتحكم كحلقة الاتصال بين مصر السفلى والعليا . أما بلوزيوم فكانت تشرف على الصحراءو بدوها ولاشك أن وحدات صغيرة من الجند كانت تحتل الحافة الشرقية للدلتا على الطريق الموصل بين بلوزيوم وبابليون ومنف ويحتمل أن مثل هذه الوحدات وجدت على طول الطريق بين منف — الاسكندرية — سيرانيكا (برقة) .

وفى سنة ٧ م ساد مصر السكون والهدوء وسمحت الظروف بانقاص حاميتها فسحبت كتيبة بابليون ولكن الفصائل بقيت كما هى وأصبحت قوة مصر حوالى سبعة عشر الفا من الرجال .

وكانت تتوزع فى كبريات المدن مثل الأشمونين (هرموبوليس ماجنا) قوات مستقلة ، وفى بداية حكم أوغسطس حفرت الآبار وقد حدثنا عنها سترابو الذى جمع معلوماته عن مصر وقت زيارته لصديقه اليوس جاليوس وهو يحكمها ، كما حدثنا عن مستودعات المياه العظيمة التى أنشئت فى ذلك الحين ، وكانت تقوم بأعمال الحفر قوات من الجند ، وكانت كذلك تسهر على صيانة المنشآت بعد إتمامها قوات أخرى من الجيش لحمايتها من بدو الصحراء الذين دأبوا على مهاجمة الطرق التجارية .

وفى جنوب طيبة حيث يضيق مجرى النهر أمكن عمل المواصلات مع الحدود عن طريق الحصون المقامة على جانبي النيل .

أما بخصوص الاحتلال العسكرى للنوبة الجنوبية فلا نكاد نعرف الكثير عنه .

ديوقلد يانوس (٢٨٤ — ٣٠٥) .

لما تولى ديوقلد يانوس الحكم ، أقدم على عدة إصلاحات وتغييرات أساسية فى الشئون الادارية والعسكرية والاقتصادية . وكان من أهمها فصل السلطتين المدنية والعسكرية فى المقاطعات الخارجية التى تحكمها الامبراطورية . فلم يعد الجيش خاضعا لحاكم مصر العام إذ أسندت قيادة الجند إلى قائد مستقل ، وضمت ليبيا إلى مصر وقسمت قيـادة الجيش بين ثلاثة أشخاص (١) ولما تولى يوستنيانوس الحكم (٥١٨ — ٥٦٥) وتبعه أفراد أسرته حتى عام ٦١٠ عدل عن فكرة الفصل بين السلطتين المدنية والعسكرية ، وقسم الجيش إلى خمس وحدات كبيرة بعدد المقاطعات وجعل كل وحدة تخضع لإمرة حاكم المقاطعة ، وكان حكام المقاطعات يخضعون لقائد الشرق الذى كان مقره القسطنطينية .

وسرعان ما تفاقمت الأحوال لأن واجبات الحاكم المدنية أبعدته عن حيـاة الجيش ، وتبعا لذلك عن متابعة تطور الفنون الحربية . ولم يزد عدد رجال الجيش على ٣٠٠٠٠ جندى ، وزعوا على المراكز العسكرية على الحدود وفى الداخل ، ثم فى المدن الكبرى وكان الوجه البحرى محصنا تحصينا قويا فى الزوايا للدلتا ، فى

الفرما شرقا ، والاسكندرية غربا ، وفى بابيلون (مصر القديمة) جنوبا حيث كانت بها حامية كبيرة . وفى الوجه القبلى أنشئت على طول الوادى مراكز عسكرية فى المواقع الهامة ، مثل قفط وأسوان

والواقع أن الجيش فى مصر فى العصر البيزنطى كان جيشا هزيلا يقوده رؤساء غير أكفاء ، ويتألف من جنود مرتزقة غير مؤهلين ، وكان واجبهم يقتصر على قمع الاضطرابات الداخلية ومساعدة الحكام على جمع الضرائب ، كأنهم رجال شرطة وقد أصبح للجندى حق الزواج واتخاذ مهنة مدنيه فى أثناء مدة خدمته فى الجيش(١) وبمجرد أن خضعت أثيوبيا لم يعد على مصر خطر فى الواقع مدة قرنين ونصف قرن حتى فتح العرب مصر بقيادة عمرو بن العاص .

(١) د . مراد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى ، ص ٢٠ — ٢١ القاهرة ١٩٦٨

ملحق بأشهر قادة الجيش
فى مصر القديمـــة

آى (حوالى ١٣٤٤ — ١٣٤٢ ق . م) :

قائد خدم فى بلاط الملك أخناتون ثم تولى قيادة الفرسان . كان أول ثلاثة من القادة العسكريين الذين بلغوا العــرش بين عهدى الأسرتين ١٨ و ١٩ . اعتلى العرش بعد وفاة توت عنخ آمون ، ولم يحكم سوى ثلاثة أعوام .

أمنمحب (ح ١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق . م) :

قائد اشتهر بشجاعته وحسن تصرفه فى المعارك التى قادها تحوتمس الثالث عند أطراف نهر الفرات . دونت سيرته على جدران قبره بجبانة طيبة .

أونى (وونى) :

قائد عسكرى وسياسى . اشتهر فى عهد الملك بيبى الأول (الأسرة السادسة) . قاد حملتين إحداها فى فلسطين ، والأخرى فى بلاد النوبة .

بى نخــت :

قائد لمع فى أيام بيبى الثانى (ح ٢٣٢٠ ق . م) قاد حملة لتأديب الخارجين من أهل واوات بالنوبة السفلى ، وحملة أخــرى لتأديب بدو الصحراء الشرقية . من آثاره مقبرته القائمة فى جبانة أسوان على الشاطىء الغربى للنيل .

حور محب (ح ١٣٤٢ — ١٣٠٣ ق . م) .

قائد وملك ، وثانى فرعون من القادة العسكريين . نشأ جنديا وبلغ منصب القيادة فى أواخر أيام الأسرة ١٨ فى أيام اخناتون وكانت مصر والشرق الوسيط

تضطرب بالفتن الدينية والسياسية ثم بلغ العرش، فأنقذ مصر من السقوط. لم يعهد بالعرش لأحد من أسرته، وإنما جعله لزميله في الجيش — القائد رمسيس الذى عرف فيما بعد باسم رمسيس الأول. شيد له قبر في منف ولا يعرف مكانه.

حرخوف :

قائد برز في أيام الدولة القديمة (٢٤٢٠ — ٢٢٧٠ ق . م). قاد أربع قوافل إلى النوبة، وأشهرها الثالثة. دون أخبار رحلة قام بها على جدران قبره بجبانة أسوان على الشاطىء الغربي للنيل.

سكنن رع (حوالى ١٥٩٥ ق . م) :

قائد وسليل بيت الإمارة في طيبة أيام حكم الهكسوس. تزعم المكافحين لاجلاء الغاصبين فقاد الثورة عليهم حين استفزه أميرهم أبوفيس. مات شهيدا، ومومياؤه في دار الآثار المصرية.

كاموسى (ح١٥٧٠—١٥٧٠ ق . م) :

ابن سكنن رع وخليفته في الجهاد الوطني، وثاني أبطال ثورة التحرير. قاد بعد أبيه ثورة المصريين ضد الهكسوس، فأجلاهم عن الصعيد، وظل يطاردهم حتى أبلغهم رأس الدلتا.

أحمس (أحموسى — أمانوس) (١٥٧٠ — ح ١٥٤٥ ق م) :

شقيق كاموسى. قائد وملك سطر في الجهاد أروع صورة للشجاعة والوطنية في طرد الهكسوس من مصر. دون أخبار حملة ضدهم أحد رجاله ويدعى أحموسى أيضا في قبر له بجبانة الكاب. تربع على العرش في طيبة وجعل منها عاصمة لمصر ولما مات خلفه ابنه أمنمحتب الأول.

تحوتموسى — تحوتمس الثالث (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق . م) :

سادس فراعنة الأسرة ١٨. تمكن بالرغم من اضطراب الشرق بمختلف

العواصف السياسية أن يصبح سيد الموقف فى الشرق الوسيط . قاد فى سبيل ذلك ١٧ حملة حربية خاض بها معارك مظفرة ، منها معركة مجدو . كان أول من أدلر معركة حربية منظمة .

رمسيس الثانى (١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق . م) :

ثالث فراعنة الأسرة ١٩ وأشهر الفراعنة وأغناهم فى الآثار . لازمه الحظ فى ميادين الحرب ، فانتصر على جيوش خيتا (الحيثيين) فى معركة قادش ، فسعى إليه الأعداء يرجون السلام ، فنحهم إياه وأكده بمعاهدة كانت الأولى من نوعها فى التاريخ . واشتهر أيضا بين القادة رمسيس الثالث (١١٩٥ — ح ١١٦٣ ق م) فى معارك ضد اللوبيين .

مراجـــع عربيـــة

إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، جزءان . ١٩٤٦

أحمد بدوى : فى موكب الشمس جزءان . القاهرة

ــــــــــ : حور محب . مجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة) ، المجلد ١٠، ج ١ ، مايو ١٩٤٨ ، ص ١٢٥ — ١٤٢ .

ــــــــــ : أيام الهكسوس فى مصر . المجلة التاريخية ، المجلد الأول ١٩٤٨ ، ص ٤١ — ٨٦ .

احمد فخرى : مصر الفرعونية ، القاهرة .

إرمان، أدولف : (ترجمة د . عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال) مصر والحضارة المصرية . القاهرة .

إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار . جزءان . القاهرة .

بتلر : (ترجمة محمد فريد أبو حديد) : فتح العرب لمصر ، القاهرة

برستد، جيمس هنرى: (ترجمة د . حسن كمال) تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الغزو الفارسى . القاهرة

بل، هارولد : (ترجمة الاستاذ زكى على) : الهيلنية فى مصر . القاهرة .

دريتون وفانديه : (ترجمة عباس بيومى) : (مصر سلسلة شعوب شرق البحر الأبيض المتوسط) القاهرة ١٩٤٩

سليم حسن : مصر القديمة ، ١٦ جزءا (١٩٤٠ — ١٩٦١) : القاهرة .

عبد العزيز صالح : الحضارة المصرية . فصل التربية العسكرية ، المجلد الأول
وزارة الثقافة والارشاد القومى .

محمد عواد حسين : حركات المقاومة الوطنية فى مصر البطلمية، القاهرة

هاملتون ، جون : تاريخ العالم، تعريب إدارة الترجمة بوزارة المعارف ظهر ٧ أجزاء .

د . محمد صقر خفاجة : تقديم وشرح د . أحمد بدوى :
هيرودوت يتحدث عن مصر . دار القلم . القاهرة .

ولسون ، جون : ترجمة د . أحمد فخرى :
الحضارة المصرية. مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر. القاهرة .

BIBLIOGRAPHY : مراجع أجنبية

ALLSHORN, F : Thotmes the third : Egypt's mighty King London, The Sheldon Press, 1928.

BONNET, H. : Die Waffen der Volker des alten Orients, Leipzig, 1926.

BREASTEAD, J. H. : The Battle of Kadesh. A study in the earliest Kno wn military strategy. Chicago, 1903.

———————— : Ancient Records of Egypt, 5 Vols., Chicago, 1907, 2nd. Ed., London 1925.

———————— : A History of the Ancient Egyptians, London, 1929 (1)

BAIKIE, J. : A History of Egypt from the earliest times to the end of the XVIII dyn . 2 Vols , Blackie 1929.

BORCHARDT, L. : Alt agyptisch Festungen an der zweiten Nilschnelle, Leipzig, 1923.

BRUGSCH, HENRY : A History of Egypt under the pharaohs, 2 Vols., Murray, London, 1881.

BUDGE, W. : Egypt and her Asiatic Empire, from Vol. IV of the series entitled "A history of Egypt from the end of the neolithic period to the death of Cleopatra, 1901

CHABAS, F. : Sur les campagnes de Thotmis III en Asie d'après la steles d'Amenemhat., 1874

CHAMPOLION : Monuments de l'Egypte et de la Nubie, Paris 1835—45

(١) ترجمه الى العربية الدكتور حسن كمال . القاهرة .

DRIOTON, E. : Vandier, J. : Les peuples de l'Orient Mediterranéen, II. L'Egypte Presses Univer- sitaires de France (1)

EDGERTON. W. & WILSON, J. : Earlier Historical Records of Ramses III 1935.

EMERY, W. B : Archaic Egypt. Pelican Ed. London, 1961

ENGBERG, ROBERT: The Hyksos reconsidered. Studies in Ancient oriental Civilization. Institute of the University of Chicago, 1939.

ERMAN, ADOLF : (tran.) Life in Ancient Egypt, London, 1894.

——————— : The literature of the Ancient Egyptians. London 1927.

FAIRSERVIS, W. A : The Ancient Kingdoms of the Nile (with map and photogaaphs). Mentov. New York, 1962

FISHER, CLARENCE The Ex-avations of Armageddon. Orientl Institute. Communications. No, 4, 1928 (with maps).

GAUTHIER, H. : Précis de l'Histoire d' Egypte par divers historiens. Le Caire, 1932.

GRIFFITH : Beni Hassan; Surrey of Egypt.

HALL, H. R. : The Ancient History of the Near East. London, 1920.

HASSAN, SELIM : Le Poème dit de Pentaour et le Rapport officiel sur la Bataille de Qadesh, Le Caire, 1929.

Helck, Hans Wolfgang: Der Einfluss der Militarfuhrer in der 18 egyptischen Dynastie. Leipzig, 1939.

KUENTZ, Ch. : La Bataille de Qadesh, Mem. de l'Inst Fr., Le Caire, 1928 1934.

LEPSIUS, R. : Denkmaler aus Agypten und Athiopien nach den Zeichungen.... Berlin 1842/45.

LORET, V. : L'inscription d'Ahmès, fils d'Abana. El kab. Bibl d'étude de l'Institut Français.

LUSHINGTON, E. : The Victories of Seti I recorded on the Great Temple of Karnak, 1879.

MASPERO, G : Life in Ancient Egypt and Assyria, London, 1892

(١) ترجمه إلى العربية الدكتور عباس بيومى وراجعه الاستاذان محمد شفيق غربال وعبد الحميد الدواخلى .

——————— : The Struggle of the Nations. Edited by A. H. Sayce, 2 Vol , London, 1896.

——————— : Les mémoires de Sinouhit - la lutte de Sinouhe contre le béduin

MEYER, E. : Bericht uber eine Experdition nach Agypten zur Erforshung der Darstellungen der Frend volker. 1913.

——————— : Gottesstaat, militarherrschaft und Landewesen in Aegypten zur 21 und 22 Dynastie. Berlin Akademie, 1928.

MURRAY, M. A. : The Splendour that was Egypt, London, 1949.

MONTET, P. : (trans) . Everyday Life in Egypt in the daysof Ramses the Great, Paris 1946, London, 1962.

MORET, A. : Les invasions iraniennes et asiatiques — les hyksos, le concert international au XVe. siècle L'entente égypto-hittite et les peuples de la mer.

& Davy : From Tribe to Empire : Social organization among primitives and in the Ancient East, London, 1926.

MULLER, M. : Asien und Europa nach altagyptischen Denkmalern, Leipzig, 1893.

——————— : Die Alten. Agypten als Krieger und Eroberer in Asien, Alter Orient, 1903.

Nelson, Harold. H. : The Battle of Megiddo, Chicago, 1913.

PASSYPKHIN, E. A. : L'Art militaire de l'ancienne Egypte, St. Petersbourg, 1901 (en russe).

PEET, T. E. : The Stela of Sebek-Khu, the earliest recordo an Egyption campaign in Asia, 1914.

——————— : Egypt, the imperialism of the 18th dynasty, (See. : Great events in History), London, 1934.

Petrie, Flinders : Tools and Weapons illustrated by the Egyptian collection in the University College, London, 1917

——————— : Tel Defeneh (Tanis), La forteresse. London, 1888

——————— : Hyksos and Israelite cities, 1906

———————— : A History of Egygt, 3 Vols.. London 1984, 1920, 1923.

READE, W. : The Martyrdom of Man, Chapt. on War) Thinker's Library, No. 25 London

Save, T.-Soderbergh : The Navy of the 18th Egyptian Dynasty, Ypsala Universitets Aras Krift (6)

———————— : Agypten und Nubien, Lund.

Shipton, G. M. : Guide to Megiddo, Dept. of Antiquities. Palestine, N. D.

Smith, G Elliot : The Ancient Egyptians and their influence upon he civilization of Europe, London, 1911

STEINDORFF, G and SEELE, K. : When Egypt ruled the East. The University of Chicago Press, Illinois, 1942.

TOMKINS, H. : The Campaigns of Ramses II in his fifth year against Kadesh.

Von PAWLIKOW-SKI-CHOLEWA,A. : Die Heere des Morgenlandes. Berlin. 1940.

WEIGALL, A. : The Glory of the Pharaohs. London. 1923.

———————— : The History of the Pharaohs, 2 Vols., London 1925. 27.

WEIL, R. : XIIme. dynastie, royauté de Haute - Egypte et domination Hyksos dans le Nord. Le Caire 1953.

———————— : Les deuxiême et troisième dynasties ègyptiennes, Paris, 1908.

WIEDERMANN, E. : Das alte Agypten.

WILKINSON. J. G. : Manners and Customs of the Ancient Egyptians, 3 Vols., London, 1837.

WINLOCK, H. E. : The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes., New York, 1947.

WOLF, WALTER : Die Bewaffnung des Alte Agyptischen Heeres. Leipzig, 1926.

WRESCINISKI, W. : Bilder Atlas zur agyptischen Kulturgeschichte. Leipzig, 1923.

II. Articles*

Blackman, A M. : An indirect reference to Sesostris III's campaign in the tomb chapel of Dhoty-htp at el-Bersheh, J. E. A , Tome II, 1st part.

Bucher, P. : Les textes des tombes de Toutmosis III et d'Amenophis II, M. del Inst. Fr.

Burne, : Some notes on the Batt'e of Khadesh, J.E.A. Vol. 7, p .191-195. 1921.

Clarke, Somers : Ancient Egyptian Frontier Fortresses, J.E.A., part 3, p. 155 179, 1916.

——————— : El Kab and the Great Wall, J.E.A., part VII, p. 51-79, 1921.

Emery, W. B. : A Master Work of Egyptian Military Architecture of 3000 yeare ago, Illustrated London News, Sept., 1959, pp. 232-233 and 249-251.

——————— : A preliminary Report on the Excavations of the Egyptian Exploration Society at Buhen, Kush, VII, (1959).

Fakhry, Ahmad : Tomb of Nabamun, Captain of Troops, Ann. du Service des Antiq. de l'Egypte, t. XLIII, pp. 369-375, 1943.

Faulkner, R. O. : Egyptian military standards, J E.A , Vol. 27, pp. 12 18, 1941.

——————— : The Battle of Megiddo, J.E.A. Vol. 28, pp. 2-15, Dec. 1942.

——————— : The Wars of Sethes I, J.E.A Vol. 33, pp. 34-39, 1947.

——————— : The Euphrates Campaign of Tuthomosés III. J.E A. vol. 32 p. 39—42. 1946.

——————— : Egyptian sea — going ships. J.E.A. vol XXVI, p 3—9; and vol. 27. P. 158. 1940—41.

* J.E.A : Journal of Egyptian Archaeology.

———————— : Egyptian military organization. J. E. A. vol. XXXIX p. 32—47. 1953.

———————— : The Baale of Kadesh. Mitteilungen des Deutschen Arch. Institut. Band 16, p. 93—III. 1958.

Floyer, : L'ancien mur de Denderah, B. I. E., 99-102, 1894.

Foucart, G. : Une expédition au desert sous les Pharaons de l'ancien Empire, 1896.

Gardiner, A. H. : The defeat of the Hyksos by King Kamose J.E.A. Vol. III, p. 95, ff. 1916 and Vol.V, pp.54 ff.

———————— : An ancient list of the fortresses of Nubia, J.E.A., Vol. III, p. 184, 1916.

———————— : The ancient military road between Fgypt and Palestine, J.E.A. Vol.VI. pp.179-205, 1920.

Gardiner, & Langdon : The Treaty of alliance between Hittites and Ramses III, J.E.A., p. VI.

Gardiner, A.H. : Piankhi's Instructions to his Army, J.E.A. Vol. 35. pp. 219-233, 1949

————& Gunn : The Expulsion of the Hyksos, J.E.A.. Vol.5, pp. 36, 1918.

Goedicke, H. : Considerations on the Battle of kadesh. J.E.A. vol 52, pp. 71—80 1966.

Hogarth, D. G. : Egyptian Empire in Asia, J.E.A.

Lesqier, G. : Les armes (armes de main, de choc, de jet, les armes défensivés). Mémoires de l'Inst. franc. du Caire.

Kitchen, K.A. : Some new light on the Asiatic Wars of Ramses II. J.E.A. vol 50, pp. 47—70. 1964.

Loukianoff : Un troisième texte du Poème de Pentaour sur la face ouest du Temple de Luxor, Bull. Inst. d'Egypte, t. IX, p.57, 1927

Lucas, A. : The Battle of Megiddo, Bull. S. Royale d'Archeology, Alex. No. 34, Vol. II, pp 74-80, 1941;

Maspero, G. : Le récit de la campagne contre Megiddo, sous Thoutmès III, Rec. de travaux relatifs à la philologie et l'archéologie égyptienne et assyriennes, p.48-56, 139-150, Paris 1880.

Michalidis, G. : De la signification spéciale de certaines armes dans l'antiquité. Annales du Service des Antiq. de l'Egypte, t. XLVII, 1947.

Moret, Alexandre : La campagne de Seti 1er. au Nord du Carmel d'après les fouilles de N. Fisher. Revue de l'Egypte ancienne, t. I, p. 18-30, Paris 1925

Muller, Georg : Die Agypten und ihre libyschen Nachbar, D. M.G.Z. Ed. 78, p.36-60, Leipzig, 1924.

Muller, Max : Inscriptions of Shoshenq 1sr., Karnak, Egyptolical Researches, Carnegi Inst. of Washington Publications, p. 143-153, Washington 1910.

——————— : Syrian Victories of Ramses II, Luxor (Northwest wall). Egyptolical Researches, p. 154-180 Washington 1910.

——————— : Ramses II taking Palestinian Cities (Karnak) Egyptolical Researches, V. 2, p.104-108, Washington 1910.

Naville, E. : Did Meneptah invade Syria, J.E.A. Vol. II8

Noth, M. : Die Wege der Pharaonenheere in Palastina und Syrien. Deutscher Palast Verein Zeitschrif, Bd. 60, p.183-239, Leipzig 1937-1938.

Parker, Richard : Darius and his Egyptian campaign. American Journal of Semetic Languages, Revival, p. 1-2, London 1925.

Passypkinn, E. de : Les operations militaires de Thoutmès III après la prise de Megiddo, Rec. de travaux, pp. 169-175, Paris 1904.

Reisner, G. A. : Uronarti, Sudan Notes and Records, XIV, pp. 1-14, 1931.

——————— : Excavations at Semna and Uronarti, Sudan Notes and Records, XII, p. 154, 1929

Save, T. - Soderbergh : The Hyksos Rule in Egypt, J.E.A. Vol. 37, pp. 53-71, 1951.

Sethe, K. : Altaegyptische Ordensauszeichnung. Zeit argypt. Spr. und Altertumkunden. Vol. XLVIII, p. 143, Leipzig.

Taggart, E. : A note on the Horemheb Relief. The Brooklyn Museum Quarterly, Vol. XIX, No. 4.8, p. 147 ff.

Wilson, J.W. : The Texts of the Battle of Kadesh. The American Journal of Semitic Languages and Literatures, Vol. XLIII, pp. 266-287, October 1926.

III — GRECO-ROMAN

Bell, H. Idris	: Egypt from Alexander the Great to the Arab conquest Oxford, 1948.
Bevan, E.	: History of Egypt under the Ptolemaic DynastyJ London, 1927.
Butler, A. J.	: The Arab Conquest of Egypt and the last thirty years of the Roman Dominion. Oxford, 1902.
Chester, A V.	Byzantine Egypt : Economic Studies, pp. 215-229
ohnson and West	: Princeton University Press, 1949.
Droysen, H.	: Heerwesen u Kriegfuhrung der Grichen, 1889.
Emery. W.B.	: Nubian Treasure, London, 1948.
Garofalo, M.	: Sulle armate tolemaiche, Bull. de la Société d'Arch. d'Alex. 1898, 1902.
Graindor, P.	: La Guerre d'Alexandrie. Le Caire, 1931.
Lesquier, J.	: Les institutions militaires de l'Egypte sous les Lagides, Paris 1911.
———————	: L'armée romaine d'Egypte, à Auguste à Dioclétien, Mem. de l'Inst. Fran., 1918.
Mahaffy, J. P.	: The Empire of the Ptolemies, London, 1895.
———————	: A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, London, 1898.
Maspero, J.	: Organization Militaire de l'Egypte Byzantine, Paris, 1912.
Meyer, P. M.	: Das Heerwesen der Grischen und Romer in Aegypten, 1900.
Milne, G.	: History of Egypt under Roman Rule, London, 1924.

الفهرست

المحتـــوى

صفحة

القسم الأول

الجيش فى مصر القديمـة :

القسم الثانى

حروب مصر القديمة

صفحة

القسم الثالث

القسم الرابع

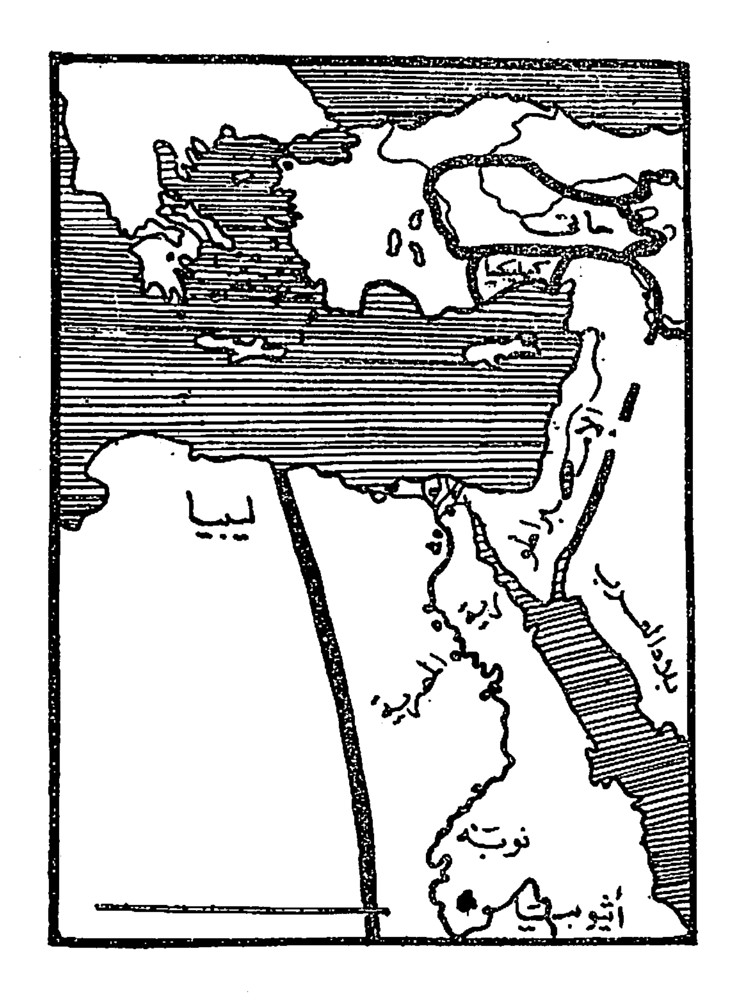
القسم الخامس

فهرست الصور والخرائط

صفحة

صفحة

صفحة



(ش ٨٠) الامبراطورية المصرية فى عنفوانها

صدر من هذه السلسلة

- حائط الصواريخ - لواء محمد سعيد على.
- المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية - ١٥٧٠ ق. م - ١٠٧٨ ق. م - د. أحمد قدرى.
- الأورطة السودانية فى حرب المكسيك - الأمير عمر طوسون - ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٢م.



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب